عودة إلى كانط

سامر الصليبي

رواية

عودة إلى كانط

رواية

لسامر الصليبي

حقوق
الطبع والنشر والاقتباس والترجمة
متاحة للجميع تماشيًا مع قناعات الكاتب

11 نيسان (ابريل)

صديقي العزيز ج.ل

أتعجَّب يا صديقي من مطالبتك لي بأخذ استراحة من بحثي الفلسفي، فهل أنت جاد، هل تعني وتعي ما تقوله؟! أتراني لم ألتقط ما قصدتَه وطلبتَه في رسالتك، فتهتُ عن مقصدك، وانحرفتُ عن طلبك؟ لا أعتقد ذلك، فرسالتكَ كانت واضحة ومباشرة، وهذا يثير دهشتي وتعجبي!

أتطالبني أنا بأخذ استراحة، أتحثني أنا الذي لم يعرف طعم الراحة لثماني سنوات بالتوقف لتذوقها؟! ألا تعي أنني بتُّ بحواس مُعطَّلة بعد كل هذا الزهد والتنازل وفي أحيان الحرمان والفقد والإهمال، ألا تدرك أنني بتُّ بلا قدرة على حيازة اهتمامات كالتي تحوزها العامة بعد هذه الدرجة الفريدة من الالتزام بالبحث التي أبديتها؟

لنفترض أنني اقتنعتُ بمطلبك وقررت الامتثال له، ما هي الاهتمامات التي سيكون بمقدورها جذبي، ما هي النشاطات التي سيكون بمقدورها اغرائي بممارستها، كيف سيكون متاح لي تعطيل عادة عقلي في طرح الأسئلة وقراءة المعطيات والاحتمالات من المشاهد والأحداث التي حولي، كيف سيكون متاح لي التواصل مع الآخرين بعد هذا الانقطاع الطويل؟! كيف سيتاح لي استيعاب واحتمال المشاعر والعواطف والأحداث والأصوات والأضواء من حولي، وأنا الذي أدمنتُ على الإضاءة الخافتة وابتعدت عن العواطف والمشاعر واعتزلتُ التفاعل مع الأحداث اليومية التي تجري حولي لمدة ثماني سنوات ليتاح لي التفكير الفلسفي؟!

أي محيط سيكون قادر على استيعابي يا صديقي؟! وهل بَقِيَ لي محيط بعد هذا الانقطاع الطويل عن الجميع؟ هل بَقِيَ لي بعد هذا الاعتزال صديق أو أخ أو حبيب أو قريب أو حتى من يذكر أنه في وقت ما كانت تجمعني به علاقة، أو كان لي وجود في حياته؟ هل هناك أحد بمقدوره التعرُّف على اسمي أو شكلي أو على ما يصلني أو وصلني وربطني به بعد كل هذا الانقطاع؟

نعم، هذا الانقطاع الطويل أوقف الزمن عندي، فبقيتُ محتفظ بحبي للبعض، ولكنه لم يوقف الزمن عند الآخرين، ولهذا جرَّدني من وجودي. نعم، لم يبقَ لي أحد أرجع إليه بعد كل هذا الانقطاع، ولهذا الاستمرار والمواصلة في بحثي ضرره أهون عليَّ من ضرر التوقف.

لنفترض أنك لا تطالبني بالتوقف إلا لدفعي للنوم، فهنا أنت أيضًا تطالبني بالكثير الذي لا قدرة لي على تقديمه. نعم يا صديقي، كيف سيتاح لي النوم وأنا الذي كنتُ على مدار ثماني سنوات عاجز عنه، لا يدفعني إليه سوى العجز التام عن رؤية الحروف، والذي أيضًا سرعان ما يوقظني منه سؤال عجزتْ أو غفلتْ يقظتي عن طرحه؟! كيف يا صديقي ستتاح لي القدرة على النوم، والأسئلة تلاحقني فيه كما تلاحقني في يقظتي؟! كيف سيتاح لي النوم وأنا طوال هذه الفترة أتعامل معه على أنه عادة درج عليها الإنسان مستبعدًا كونه حاجة؟! هل بمقدوري بعد كل هذه المقاومة للنوم الاستسلام أمامه؟ كيف سأستوعب أنَّ التوقف عن المقاومة ليس خيانة؟

النوم، يا له من نعمة لأولئك الذين اختاروا شقاء الجسد، ويا له من نقمة على أولئك الذين اختاروا شقاء العقل. نعم، لقد اخترتُ يا صديقي باختيار البحث في مجال الفلسفة بؤس العقل ومعاناته، وبهذا أهدرتُ جميع النعم التي أُتيحتْ للبشر.

هل أنا راضٍ بمعاناتي، أم عاجز عن دفعِها؟ لا أعلم، لربما أنا راضي وعاجز في نفس الوقت، لستُ متأكد. ما أشد حماقتي! متى كنتُ متأكد؟!

ألم تدرك بعد يا صديقي أنَّ الباحث الفلسفي لا جنة ستكون قادرة على استيعابه، ألم تدرك بعد أنَّ الراحة لن تتاح له إلا بالموت، ألم تدرك بعد أنه يستحيل مُغلق من لحظة ولادة اهتمامه بالفلسفة؟

الراحة باتت لفظة لا مدلول لها عندي. نعم، لا مدلول لتلك الألفاظ التي لا تُعبِّر عن شيء نشعر به أو نتلمَّسه أو ندركه أو نحدسه، ولهذا ما هي الراحة التي تُحدِّثني عنها؟ حاضري ومستقبلي جرداني حتى من مدلولها الذي استقيته من تجربة الماضي الذي كان قبل اهتمامي واشتغالي الفلسفي.

أعترف لك أنها تتردد كثيرًا في بعض الكتب التي أطالعها، ولكنني عاجز عن إدراك ما يعنيه الكتَّاب بها، ولهذا تجدني أغبطهم ليس فقط على إدراكهم لمدلولها، وإنما أيضًا على استخدامها بكثرة وترديدها بشكل متواصل.

لنفترض أنك تطالبني بالتوقف مؤقتًا كأمي لدفعي للتعرُّف على إحداهن لضمان وقوعي في الحب والسعي للزواج، وذلك بهدف إشغالي عن بحثي الفلسفي. هنا أجد أنك كأمي أيضًا تطالبني أنا المُغلق الفقير بالكثير. كيف ستتاح لي القدرة على التواصل مع إحداهن، وأنا لم أقف للتحدَّث مع امرأة في قضايا غير جادة طوال حياتي؟! كيف ستتاح لي القدرة على التعامل مع

البشر بشكل عام وأنا المنعزل طوال هذه الفترة عنهم، حبيس جدران غرفتي، وملكِيَّة لأفكاري وأسئلتي؟! هل لمثلي أنا وقت للحب، للنساء؟! هل لمثل قلب بليد كقلبي القدرة على الإفاضة بمشاعر كثيفة كالحب بعد كل هذا الوقت من التحجُّر؟! هل اعتقدتَ حقًا أنَّ حياتي تتسع لأحد لاحتلال مكان فيها؟! هل اعتقدتَ حقًا كأمي أنَّ بمقدوري التعامل مع النساء؟! هل اعتقدتَ حقًا أنَّ فيَّ ما يمكن تقديمه لامرأة، أنَّ فيَّ ما يمكن بذله في سبيلها، أنَّ فيَّ ما يمكن تعويضها به عن كُلِّي المُنشغل بالأفكار والأسئلة؟! أي امرأة سيكون بمقدورها احتمال شخص مثلي، أي امرأة سيكون بمقدورها تحمُّل كل هذا الظلم؟!

لا يا صديقي، أنا لستُ بهذه القسوة التي بمقدورها دفعي للطمع بأن تشاركني امرأة معاناتي، نعم حتى الطمع بذلك لا أجرؤ عليه، فكيف تطالبني بالسعي؟!

أنا أستحق الاحتراق وحيدًا، وأنا متيقن أنَّ العالم سيتيح لي هذا تقديرًا لجهودي وسعيي. تُراك تتعجب من قولي: "أنا أستحق الاحتراق وحيدًا". لا داعي لتعجبك يا صديقي، فمقصدي أنني مُستحق بأن لا يتأذى أحد من احتراقي، مُستحق بأن لا يشاركني أحد معاناتي، مُستحق بأن لا أكون سببًا ببؤس أحدهم.

نعم، أرجو من العالم أن يكون عادلًا معي، وأن يتيح لي المساحة التي تتيح لي الاختفاء عن الجميع، وفي ذات الوقت غير متضرّر أحد من اختفائي، مساحة لا يضايقني فيها أحد بطلبات ورغبات تشغلني وتصرفني عن بحثي الفلسفي، مساحة لا يحاصرني فيها أحد بمشاعره وعواطفه، مساحة لا أكون فيها مُلزَم بمبادلة الإحسان الذي قد يُلهيني عن عملي الفلسفي، مساحة غير مُطالب فيها بعائد قد يدفعني لأعمال لا أستسيغها، مساحة غير مطالب فيها بعائد قد يدفعني طلبه من خلال نشر أعمالي وأبحاثي قبل إتمامها، مساحة غير مطالب فيها بعائد قد يدفعني طلبه لطلب ما يطلبه ويلهث خلفه عامة الناس كالمال والشهرة والسلطة والملذَّات.

نعم، من الظلم أن يُهمِلني هذا العالم وأنا بمطلب وحيد، ويلتفت لأصحاب الطلبات والرغبات. لا، ليس عادل تفضيله للجشعين. لعلِّي سأبقى معوّل على الموت لتخليصي من هذا العالم غير المُكترث لي.

نعم يا صديقي، أنا قلق وخائف من أن لا يكون العالم عادلًا معي في مطلبي الوحيد، خائف من أن يتم تجريدي من هذه المساحة المتاحة لي الآن. نعم،

لربما لهذا السبب أريد الإسراع، لهذا أريد الاستمرار بدون مقاطعة، لهذا أريد المواصلة بدون توقف حتى يدركني الموت أو أدركه.

أنا خائف على جهودي يا صديقي، أنا خائف من تلك الظروف التي تُهدد بسلبي القدرة على إتمام مشروعي الفكري، أنا خائف من كل العوائق، أنا خائف من كل ما هو مصدر سعادة ولذة للبشر، أنا خائف من الانشغل بالسعادة واللذة عن العمل على مشروعي الفكري، أنا خائف ولهذا راضي بمعاناتي وبؤسي وآلامي، أنا خائف من الاحتفالات، ولهذا أُؤَجّلها لآخر النهايات، خائف من الجنازات، ولهذا أبقيها لآخر البدايات.

يا صديقي، دوستويفسكي لم يكن يقامر ليربح، وإنما ليخسر. نعم، لقد أدرك أنّ خسارة أمواله تتيح له المعاناة التي يكون بها بمقدوره التفكير والكتابة. نعم، المعاناة سبيلنا لإحلال التغيير في هذا العالم البائس، الجامد، الراكد. هناك الكثير من الأسباب التي تدفعنا للطمع بأن نكون أحد هؤلاء الذين تمكَّنوا من إحلال حتى ولو تغيير بسيط في هذا العالم.

مريحة ولذيذة ومفرحة ومطمئنة جدًا تلك النظرة الأخيرة -التي يتيحها لنا الموت- لما أضفناه لهذا العالم.

أُدركُ أنَّ تلميحاتك في رسائلك لي مؤخرًا، وطلبك الصريح مني في آخر رسالة بالتوقف دافعه تعاطفك، ولهذا أرجوك توقف عن التعاطف معي احترامًا لجهودي، توقف عن مطالبتي بالتوقف احترامًا لإصراري وعنادي الذي تحلَّيتُ به طيلة هذه السنوات.

لعلها شكواي المتكررة إليك مؤخرًا هي التي حفَّزتك على التجرؤ ومطالبتي بالتوقف، ولهذا أرجوك توقف، فأنا محتاج لوجود من يستمع لشكواي. نعم، أنت بمطالبتي بالتوقف، تطالبني بعدم البوح لك عما يختلج في نفسي.

دعني يا صديقي أكشف لك عن ضعفي بدون ندم، دعني أشعر أنني غير مطالب بتقديم شيء بهذا البوح، دعني أشعر أنَّ قراري بالحفاظ على معاناتي يلقى الدعم.

أنت تفهمني على الدوام، ولهذا أرجوك لا تجادلني، لا تدفعني للشعور بأنَّ هذا العالم عاجز عن منحي شخص يفهمني ويتفهَّم قراراتي. يا إلهي ما أصعبهُ ذاك الشعور الذي يدفعنا للاعتقاد بأن لا وجود لمن يفهمنا ويتفهَّم قراراتنا.

أرجوك، كن لي ذاك الشخص، أو على الأقل دعني أعتقد أنك هو، ليتاح لي عدم فقدان أملي بهذا العالم. نعم، أعنف شعور يا صديقي، هو شعورنا بأن لا أمل من هذا العالم، ولهذا أرجوك اتركني آمل، اتركني لخيالي الذي ما زلتُ واثقًا بأنه سيكون قادر على إصلاح واقعنا المرير هذا.

أحتاجُكَ يا صديقي في منحي الثقة بصواب قراري بالمواصلة في لحظات ضعفي وترددي، أحتاجُكَ في دفعي للمطالبة ببؤسي في لحظات يأسي منه وطمعي بالرغد، فلا أحمق من ذلك الذي فقد أمله ببؤسه، أحتاج منك أن تكون قاسيًا.

تجرَّد يا صديقي من إنسانك في التعامل معي، كن وحشًا، أنا لستُ بحاجة لعواطفكَ ومشاعرك، أنا بحاجة لعقلك، أنا بحاجة لأن تكون معي وضدي، معي عندما أكون مع الإنسان، وضدي عندما أكون مع نفسي.

كثرة هم أولئك اللاهثون وراء مصالحهم ومنافعهم؛ أكثرتهم بعد غير كافية لإدراك الكارثة، أكثرتهم بعد غير كافية لأُطالَب بالانضمام إليهم؟! نعم، لماذا يحاول كل من يحيط بي إشعاري بأنني بتقديم نفسي في سبيل الإنسان أقدِّم الكثير، فيطالبونني بإبقاء بعضي وفي أحيان كُلّي لنفسي؟

كثيرون هم من تخلوا عن أدوارهم التي ألزمهم بها الإنسان الذي ينتمون إليه، فلماذا يُستكثر على الإنسان التزامي بتقديم أدواري، ولماذا يُستكثر عليّ ذلك أيضًا.

هناك سعي من الأغلبية لتحصيل المال والشهرة والسلطة وكافة المتع وكل ما هو زينة في هذه الحياة، فلماذا يُطالَب منا نحن القلة السعي وراء ما تسعى إليه الغالبية، لماذا هناك محاولات لإلزامنا بالسعي وراء ما لا يناسب طموحنا، لماذا هناك محاولات لإنهاء المعركة بهزيمة الإنسان؟!

لماذا يا تُرى يا صديقي تُعد بعد كل هذه التضحيات في سبيل الإنسان قليلة، كل هذه المعاناة في سبيل نصره بعد غير كافية؟ نعم، لطلب الإنسان ضريبة كبيرة، ولهذا أنا على يقين أنَّ لحيازته ونيله عائد كبير. ومع ذلك يا صديقي لا أجد نفسي تطلبه طمعًا بالعائد، وإنما أجدها مدفوعة لذلك بلا سبب، مدفوعة لطلبه بالفطرة. نعم، لله خطط من وراء دفعنا إليه. لعل هناك نعيم عظيم في انتظارنا، ولهذا نحن محسودون، مطالبون على الدوام بالتخلي عن موقفنا.

لا يا صديقي، أنا لا أواسي نفسي بهذا الكلام، أقسم لك أنني أستشعر نسمات ذلك النعيم، وأشتم رائحته، وأتذوق طعمه، ولعل هذا أيضًا سبب عنادي وإصراري على المواصلة.

لعلِّي الآن ضائع، تائه. لا بأس، الحكمة تقول أنَّنا بحاجة للضياع والتيه لتتاح لنا مساراتنا. لا أنكر زلزال مؤخرًا بدأ يراقص أرضي، ونيازك آخذة بقصفها، وأعاصير فيها نار تلفح سمائي وتحرق زرعي، ولهذا تداعيتُ أمامك وأخذتُ أشكو وأتذمر إليك. نعم، بات مؤخرًا كل شيء بنيْتُه ينهار أمامي، الأفكار التي تبنَّيتها أخذ بالتخلي عنها، الحبال آخذة بالتمزق. أنا أفقد نقطة ارتكازي وانطلاقي، أساساتي آخذة بالتشقق والتحرُّك من مواقعها لثقل الحِمل، ولربما لثقله على عقلي الذي لربما خيالي هو الآخذ بتشويه واقعي له وعملي وبنائي، وذلك بإظهارهم على ذاك النحو من الخراب، لدفعي لطلب الراحة.

لا يا صديقي، لن أستجيب له هو أيضًا، وسأواصل المسير. صدِّقني، من ذاق جحيم البداية، لن يتاح له البدء من جديد. نعم، كل من يطالبني بالتوقف لم يدرك بعد أن لا شيء أصعب من البدايات. كيف سيكون متاح لي في حال التوقف، العودة والتعامل مع كل هذه الأفكار، كيف سيتاح لي تذكُّر الروابط التي أنشأتُها بينها في حال ابتعدت. التوقف قد يلائم من كان لديه العزم والقوة، للأسف أنا يا صديقي أوتيت الحزم فقط.

ستتشوّهنا قراراتنا، وقد تشوه العالم في نظرنا، ومع ذلك هي جزء لا يتجزأ من تكويننا، هي نحن ونحن هي، ولهذا لا ترفض قراراتي فترفضني أرجوك. التوقف سيتاح لي لا بقراري، وإنما بقرار إلهي، وأرجّح أن يكون هذا القرار متحققًا بالموت.

يا صديقي، لا أريد أن ألقى ربي مستسلمًا، منهزمًا، فلا شعور أسوء من شعور الوقوف أمام إله عرفناه ولم نقتدِ به في اختبارنا. نعم، أريد أن أقف أمام ربي قائلًا: من أجلك أيها العظيم لم أستسلم، من أجلك أيها العظيم لم أتوقف، من أجلك أيها العظيم لم أنهار أمام مغرياتهم وتهديداتهم، من أجلك واصلت ولم أنهار أمام أشد النوازل.

يا لها من لحظات جليلة، تلك التي نقف فيها أمام الله ونحن مدركون أننا قضينا حياتنا في التجهُّز لها، ونحن في وقوفنا أمامه سبحانه متحصِّلون على تلك المعرفة عنه، التي قضينا حياتنا في البحث عنها.

دعني الآن أُطلعك على ما خططتُ له. بدأت مؤخرًا بجمع جميع نتاج إيمانويل كانط، فلقد آن الأوان لمطالعته ودراسته من جديد، فبه يا صديقي سيكون بمقدوري الاهتداء إلى طريق بعد كل هذا التيه، به سيتاح لي مجددًا الاستقرار وإيجاد مرتكزات تخدمني في بنائي الجديد.

أتذْكُر قبل اطِّلاعي على جميع نتاجه سابقًا إلى كم مَرَّة أجَّلتُ المطالعة، أتذكر كيف كنتُ حريصًا على الاستعداد له بالحرص على مطالعة نتاج جميع من سبقوه وأثَّروا به، أتذكر لكم من سنة احترقتُ بالشوق الذي تسبب به حرصي على لقائه بأبهى حلَّة، أتذكر كيف كانت سُمْعَتُه توترني وتقلقني، أتذكر كيف كنتُ أتجنب الخوض في أي حديث فلسفي قبل التعرُّف عليه مخافة اعتراضي ومجابهتي به، وفي أحيان مخافة تسبب أحدهم بدفعي لمطالعة نتاجه قبل الانتهاء من الاستعداد.

نعم يا صديقي، لقد تطلَّب مني الاستعداد لاستحقاق مطالعة نتاج هذا الفيلسوف العظيم الكثير من الجهد والوقت، وهو استحق ذلك مني عن جدارة. هذا المقدار من الجمال الذي قدَّمه يتطلب منا جميعًا الاستعداد لإدراكه واستيعابه. نعم، كان عليَّ تدريب عقلي على احتمال كل هذا الجمال، تدريبه على الصبر على الوقت الذي يحتاجه الجمال للدخول، فالجمال لا ينفذ إلا للعقول الصابرة، المثابرة باستمرار. أتذكر كم كانت تأخذ مني بعض النصوص التي لا تتخطى بضع سطور من الوقت لتفكيكها وتحليلها وتركيبها وربطها.

نعم يا صديقي، لقد منحني الوقوف على نصوص كانط الكثير، ولهذا التضحية بالوقوف عليها كانت مجدية. نعم، تلك الساعات التي كنتُ أمضيها في الوقوف على نص وحيد، كانت سبب استقراري على أساسات بمقدوري البناء عليها بثقة.

النعيم الذي أتاحه لي الوقوف على نصوص كانط، جعلني مدمنًا الوقوف على جميع النصوص التي لغيره أيضًا، جعلني مُحصَّن من سحر اللغة الشعرية والثورية والدينية وفي أحيان الإحصائية. نعم، لم يمنحني مخلوق كما منحني كانط، ولهذا سأبقى شاكرًا لصنيعه ما حييت.

تمنى لي التوفيق في مهمتي القادمة يا صديقي، فهي على الأرجح ستأخذ مني بضع سنين، وانسَ ما كنتَ تطلبه مني، ولا تعد إليه مجددًا، فهذا أسلم لي ولعلاقتنا التي أحرص عليها كل الحرص.

عهدتُكَ متفهّمًا لقراراتي، ومراعيًا لظروفي، وداعمًا لتوجهاتي، ومطبباً لجروحي، ومواسيًا في أحزاني، ومشجعًا في انكساراتي، فعد يا صديقي لما عهدتُكَ عليه.

لا أُخفي عليك أنني مؤخرًا بدأتُ أشك في وجود من يؤثِّر عليك، ويدفعكَ للقيام بما لم تقم به من قبل معي، ولعلها شقيقتي من تفعل ذلك بتحريض من أمي.

إن كان ظني في محله، فأرجوك لا تدع الحب يُملِي عليك ما لا ينبغي عليك فعله، أرجوك لا تترك الحب يدفعك للفتك بما هو أعظم منه، بالصداقة التي هي أثمن ما يمكن للمرء أن يحوزه.

أنت تجيد التهرُّب، فتهرَّب من طلباتها منك. شقيقتي تتحلى بالذوق، ولهذا ستدرك أنَّ تهرُّبك نتيجة عجز، وبالتالي ستتوقف عن الطلب منك أو الإلحاح عليك.

أرجوك، لا تُطلِعها على حالتي التي وصفتها لك في رسائلي إليك، فأنا لا أريد التورط بقلقها وخوفها. حاول الفصل بين علاقتي معك وعلاقتك بها. في علاقتنا حاول نسيان أنَّ زوجتكَ شقيقتي، لا تطلعها على أخباري، فإذا زاد الإلحاح عليك، حاول إنكار تواصلنا، أو ادعاء وجود خصومة بيننا.

يا إلهي كم أمقت تلك العلاقات التي يشعر فيها الآخر بأنه يملك شيء مني. نعم، الخوف والقلق المبالغ بهما، هما نتيجة رغبة بصون ملكِيَّة. تبًا، متى يدرك الناس أنَّ رابطتا الدم والمشاعر وغيرهما من الروابط لا تُملِّك.

لا أحد يملك الحق بالخوف والقلق عليَّ، وكل من يدَّعي بأنَّ له الحق بذلك، هو في الحقيقة يُحقِّر قياسي واجتهادي وخياراتي واختياراتي، هو في الحقيقة يتَّهمني بالتهور واللامبالاة والبلادة وبعدم المسؤولية. لا أنكر، للجميع الحق بتمني الخير وبالشوق لي، ولهذا لا تجدني أتذمر من دعواتهم، ومن تعبيرهم عن شوقهم، وإنما أتذمر وأتضايق من خوفهم وقلقهم.

اعذرني يا صديقي، فلقد أطلتُ عليك، واعلم أنني لم أقدِم على ذلك إلا لتوضيح موقفي لضمان تفهُّمه، ولعرض طلبي لضمان تحققه.

صديقك المحب

ت.ه

13 نيسان (ابريل)

صديقي العزيز ج.ل

إذًا فلقد كانت محاولات الجميع في دفعي للتوقف، التمهيد لهذا الخبر ودفعي للتجاوب معه. حتمًا كنتَ تعلم به وأخفيتَه عني، وشاركتَهم المؤامرة. خيانتكَ هذه لن أغفرها لك يا صديقي. أتُراك أنت من شجعتهم على اختيار هذا التوقيت لإعلامي به. نعم، لا بد أنهم استشاروك، ولا بد أنك تفاعلتَ وخططتَ معهم.

لقد بدأ العالم يطمع بي أكثر، يزداد إلحاحًا بمطالبتي بالتوقف. أتراه بدأ يتلمَّس معاناتي، ولهذا بدأ بمحاولة إغرائي. أنا لم أُعيِّر قط عن الندم، لأنني في الحقيقة لستُ نادمًا، فلماذا يحاول هذا العالم تصويري على أنني نادم، عاجز عن الانسحاب مكابرة. لطالما كنتُ أعترف بأخطائي، وأنسحب منها وأعتذر عنها بتواضع، فلماذا هذا العالم يصورني على أنني متكبر، متغطرس؟ أتراه يريد من الضغط عليَّ، دفعي للشك بموقفي، وبالتالي دفعي لمراجعته والتردد بالتمسك به.

أكاد لا أصدق أنَّ هذا حدث. نعم، لولا اطلاعي على الأدلة الواضحة المباشرة لما صدَّقت ذلك. نعم، هذا خبر حتى بالأدلة القاطعة يصعُب عليَّ تصديقه.

لما حدث هذا، وكيف، ولماذا معي أنا على وجه التحديد؟! نعم، هذا أمر مثير للتساؤلات، مثير للدهشة، مثير للفضول، مثير للاعتراض والرفض، مثير للشك. لم أنم طيلة الأيام الثلاث الماضية من شدة تفكيري وذهولي من هذا الخبر.

من المعلوم يا صديقي أنَّ تجرُّد مجتمع ما من سطوة عاداته وتقاليده وعرفه وأصوله يتطلب وقت وتحركات أيديولوجية وفنية وثورية، وهذا لم يحدث في مجتمعنا بعد، ولهذا ما زال أهل الرجل هم من يتقدَّمون لأهل المرأة لخطبتها، فلماذا حدث معي العكس؟!

نعم، هناك خطأ جرى في مقاييس وأقدار هذا العالم، ولكن لماذا حدث هذا معي، معي أنا على وجه التحديد، لماذا اختارني القدر من بين الجميع وأنا الأقل استحقاقًا، لماذا اختار مجتمعنا المتحفظ بل المتزمت أن أكون أنا أول من يبدأ به التغيير.

لطالما فضَّلتُ تزمت وتحفظ مجتمعنا على غيره من المجتمعات لمنحه لي الخطوة الأولى التي فضَّلتُ على الدوام عدم الإقدَام عليها مع أي امرأة للمحافظة على عزلتي.

أن تكون الخطوة الأولى مفروضة عليَّ، يعني أن يتاح لي عدم مبادلة الآخر كرمه في الإقدام. نعم، يصعب عليَّ تجاهل الآخر الذي قرر التقدُّم نحوي، ولهذا فضلتُ على الدوام مجتمعنا المتزمت.

نعم، أنا في مجتمعنا المحافظ للبعض لا رافض ولا مرفوض، وهذا مريح جدًا، فالخطوة الأولى التي أمتنع عن استغلالها من نصيبي على الدوام.

لعلَّ العالم أدرك سبب انتصاراتي، ولهذا انتزع مني الخطوة الأولى، ومنحها للمرأة. هذا خطير يا صديقي، فلطالما كنتُ أبادل الآخرين كرمهم وإحسانهم، لطالما كنتُ عاجز عن التجاهل واللامبالاة وعدم تقديم الشكر وعدم رد الجمائل، لطالما كنتُ أردُّ بعشر خطوات على ذلك الذي خطا نحوي خطوة، وهذا ما أنا خائف منه الآن أشد الخوف، وقلق منه أشد القلق.

لطالما كنتُ خائف من سلب إحداهن مني هذا الامتياز، ولهذا لطالما كنتُ أتفادى الاختلاط، وفي الأحيان التي أعجز فيها عن التهرُّب التعامل ببلادة وجلافة وحدة معهن.

لطالما كنتُ أتساءل بخوف: كيف سيكون بمقدوري رفض امرأة خطت باتجاهي خطوة؟ من أين لي بقدر الوقاحة الذي سأكون به قادر على تجاهل كرمها وعدم مبادلته؟، ولعجزي عن الإجابة، كنتُ دائم الهرب والانطواء.

من أنا لأرفض امرأة، من أنا لأتجاهل كرمها؟! نعم يا صديقي، امرأة تتمرد على كل هذه الحدود والعراقيل من أجلي، هي امرأة عظيمة، هي امرأة تحوز الكثير الذي لا أستحقه، هي امرأة تعرف كيف تُحِب.

ماذا وجدتْ فيَّ لكي تحبني؟! في أي حلم التقتْ بي وأعجبتها أنا المنطوي الذي لم أخرج من غرفتي طوال هذه السنين إلا في بضع مناسبات؟ ماذا سمعتْ عني لكي تُعجب بي؟!

أيعقل أن تكون تائهة، مخطئة؟ ولكن لماذا أوصلها التيه إليّ، لماذا الضياع قادها لي، لماذا قُدِّر لها الخطأ معي أنا المُنعزل عن هذا العالم؟!

نعم، ها قد بدأ العالم بإغرائي بجدِّية يا صديقي. ولكن لماذا الآن؟ هل هذا لأنني على وشك الإقدام على مهمة كبيرة، هل هذا لأنني على وشك البدء

بمشروع فكري وأدبي كبير، هل هو يمقت المشاريع الكبيرة ولهذا قرر إغوائي وإلهائي وإشغالي عنها؟ عالمنا هذا وقح يا صديقي أشد الوقاحة. ما أشد عداوته لي وللإنسان!

ها هو لعابك يسيل على لحيتك، معتقدًا من كلامي وتذمري هذا أنني وافقتُ على التوقف لمبادلتها الخطوة التي تقدمتْ بها نحوي. أنت مخطئ يا صديقي، لا لم أحسم قراري بعد. يا إلهي كم أتمنى أن لو كنتُ حائزًا على تلك الدرجة من الوقاحة التي تؤهلني لتجاهلها وتجاهل كرمها. نعم، لعلَّ هذه اللحظات هي أصعب لحظات حياتي.

لعلك تتساءل الآن: "لماذا لم يتحدَّث عنها، أهو يعرفها؟ لماذا إلى الآن لم يشر لمحاسنها أو لعيوبها؟ لماذا هو الآن ليس حائر فيها هي بحد ذاتها، وإنما بقرار مبادلتها الخطوة فقط؟". أيها الجاهل، أتعتقد أنني مهتم بها؟! أنا مهتم بمشروعي الفكري والأدبي فقط، ولهذا لا تعنيني عيوبها ومحاسنها. أتعتقد أنها تعنيني لكي أعرفها؟! أنا لستُ مهتم إلا بالتعرُّف على الخطوات الملائمة لمشروعي. نعم، أنا لا أفكر الآن سوى بالتهرُّب منها بذوق ولباقة، هذا ما ينبغي عليك معرفته، وأرجو منك مساعدتي فيه.

لعلك تتساءل قائلًا: هل هي جميلة في نظره؟ سأجيبك أيها الفضولي. هناك ممن عرفتهن من هنَّ أجمل منها، ولكن أخبرني متى كان الجمال دافعي للارتباط وحافزي للإعجاب؟ لعلك تتراجع عن تساؤلك، وتعتذر لنفسك ولي وتتساءل: هل هي مثقفة، لديها أهداف، طموحة، لديها طريقة تفكير مخصوصة، هادئة؟ سأجيبك مجددًا أيها الفضولي، لكي لا تعود لسؤالي عنها. هذا مغري حقًا لو كانت كذلك، وهذا باعتقادي سيزيد صعوبة انسحابي وتهربي، وقد يدفعني هذا مُكرهًا للتحلِّي بقدر من الوقاحة في انسحابي متنازلًا عن اللباقة والذوق اللذين قد يعجزان عن مساعدتي.

لعلَّك تتساءل عما إذا كانت لديَّ الرغبة بالتعرُّف عليها بعد تغرُّبها طوال هذه الفترة، أليس كذلك؟ لا، ليس لدي رغبة بمعرفتها، بل ليس لدي الرغبة بالتعرُّف على أي امرأة، فلماذا سأرغب بالتعرُّف عليها.

كونها كانت جارتي لسنوات لا يضيف لها شيئًا، لا يمنحها امتيازًا عندي، فلماذا سأفضِّلها على غيرها؟! لم يسبق لي أنْ عرفتُ شيئًا عنها، وليستْ لدي الرغبة بمعرفة شيء عنها الآن.

لعلك تتساءل قائلًا: "لم تكن ما أنت عليه الآن في مراهقتك، ولهذا ألم تحبها حين ذاك، أو على الأقل ألم تُعجب بها؟" يا لك من جاهل، كيف سأحبها وأنا لا أعرفها؟! لعلِّي أعجبتُ بجمال مظهرها أو ظهورها في وقت من الأوقات، لستُ متأكد، ولكن هل الإعجاب كافي للحب؟!

دعني أُطلعك على سر. الحياء والجُبن في مراهقتي منعاني من الحديث مع كل من وقع عليهانظري، أما مؤخرًا فمشروعي الفكري والأدبي هو مُعيقي، ولهذا لم أحب قط. قد أكون أُعجِبتُ بإحداهن ولكنني لم أقع في الحب.

لعلِّي أكون قادر على تذكُّر موقف عابر مع إحداهن، وهذا ليس دليل على الحب، وإنما دليل على فقر تجربتي مع النساء، فتذكري للحظات التقائي بإحداهن، هو نتيجة قلة وندرة مخالطتي لهن. دعك الآن من أسئلتكَ الساذجة التي لا جدوى منها، وفكِّر بطريقة تساعدني على الهرب، فأنا قررتُ في كل الأحوال التهرُّب منها سواء كان ذلك بلباقة أو بوقاحة.

هل دافع أهلها للحديث مع أهلي حبها لي أم معاناتها من مشاكل نفسية تسبب بها انفصال عن حبيب أو خيانة صديق أو عزلة بحث؟ هي لا تعرفني جيدًا، ولهذا لا أعتقد أنَّ الحب دافعهم لذلك. إذًا هل المعاناة هي السبب؟ إذا كانت المعاناة حقًا هي السبب، فهذا خطير أيضًا.

على الدوام يا صديقي كنتُ أخاف من الاطِّلاع على معاناة الآخر، لأن تعاطفي في معظم الأحيان كان يدفعني للتضحية بنفسي في سبيل مساعدته. نعم، معاناة الآخر جارحة لي، ولهذا دائمًا كنتُ أسعى لتقديم المساعدة حتى لو كان ذلك على حساب نفسي. خير دليل على ذلك انغماسي في مشروعي الفكري والأدبي الذي كرَّستُ له كل وقتي تعاطفًا مع الإنسان المُعذَّب، وخدمة له، ورغبة في مساعدته.

معاناة البعض يا صديقي تخيفني، وبالأخص معاناة أولئك المقربون من قلبي، ولهذا كنتُ على الدوام أتجاهل الالتفات إليها وإلى أثرها عليهم، لكي لا يدفعني تعاطفي معهم للتضحية بمشروعي الفكري والأدبي الذي يدفعني إليه تعاطفي مع البشر جميعًا.

أنا لا أحتمل تخصيص أحدهم بتعاطفي. نعم يا صديقي، أنا عاجز عن تقديم المساعدة للبعض، فأنا مشغول بتقديمها للجميع. على مُحيطي أنْ يعذر لي تقصيري الذي أتسم به بالخيانة، عليه تفهُّم موقفي.

نعم يا صديقي، التعاطف قد يدفعني لادعاء الحب وتقديم ما يوجبه لمن يحتاج لذلك، وقد يدفعني لادعاء الصداقة وتقديم ما توجبه، وقد يدفعني لادعاء الأبوة وتقديم ما توجبه. نعم، قد يدفعني لادعاء وتلبُّس أي دور وتقديم ما توجبه هذه الأدوار، وهذا سر خوفي ودافعي للابتعاد عن الآخر وعدم الالتفات لمعاناته.

أنت لا تتصور كم هو جارح ومؤلم لي عدم الامتثال لما يحثُّني عليه التعاطف، وكم هو مؤلم وجارح للآخر معرفته أنني عالم بمعاناته وأتجاهل مساعدته.

أتذكر أيام الجامعة ذاك الشخص الذي ادعيتُ صداقتي له -على الرغم من عدم قدرتي على التواصل فكريًا وعاطفيًا معه-، وذلك لكي لا أجرحه بعدما فرض نفسه عليَّ، أتذكر كيف دفعني عجزي عن احتمال تبعات الادِّعاء إلى الانسحاب. أتذكر كيف كان يلح عليَّ على الدوام لتحديه على رقعة الشطرنج وهو بعد مبتدئ لا يجيد أساسيات اللعبة، أتذكر كيف كان إلحاحه ذاك ينتزعني من جلساتنا ونقاشاتنا. أتذكر يومها كيف تهرَّبتُ منه؟ نعم، لقد راهنته يومها على عدم لعب الشطرنج في حال هزمني ثلاث مرات متتالية. أتذكر كيف أتحت له الفرصة لهزيمتي لكي أضمن عدم مضايقته لي بإلحاحه، أتذكر يومها كيف لعبتُ دور المنهزم لكي أضمن ألا يشك بي، أتذكر كيف منحته الهزيمة بشعور النصر.

نعم لطالما كنتُ عاجز عن الانسحاب بوقاحة، أراعي مشاعر الآخر، أتخوَّف أشد التخوُّف من جرحها وإيذائه.

أتذكر فعلي مع ذاك المدير الذي كنتُ مضطر للعمل معه؟ أتذكر ماذا فعلت لدفعه لطردي بدلًا من الاستقالة التي ستتسبب لي بالإحراج أمام عائلتي التي كانت تمر في تلك الأثناء بضائقة مالية؟ أتذكر كيف كنتُ أدفعه للشك بي بالاحتفاظ ببعض الأوراق عند الجرد وإعادتها بعد الجرد، وذلك لدفعه لتسريحي. أتذكر تلك الأخطاء الساذجة التي كنتُ أرتكبها بقصد مع العملاء لدفعه لطردي. نعم يا صديقي، حين ذاك لم يكن متاح لي في ظل الضائقة التي كانت عائلتي تمر بها التصريح أمامهم أنني بحاجة لعزلة القراءة لأنني نويت أن أصبح كاتبًا. أتذكر كيف كنتُ أدفع الشركات لعدم القبول بي بتشويه سيرتي الذاتية، أتذكر كيف ادعيتُ أنني مرفوض من الجميع لكي أضمن عدم وصفي بالنذل والمتخاذل والخائن وناكر الجميل، لكي أضمن تفرغي للقراءة التي كانت تحتاج لأجواء هادئة في البداية. نعم على الدوام كنت أتفادى إشعار الآخرين بخذلاني لهم، لكي أتجنب أذيتهم.

أتذكر كيف تكبدتُ الهزيمة عن قصد في الشطرنج أمام ذلك الشخص الذي كان يمنحها كل وقته واهتمامه، لكي لا أدفعه لليأس أمامي أنا الذي لا أوليها كثير من الاهتمام. نعم، جارح ومحبط تجرُّع الهزائم في تلك المجالات التي تحظى بكل اهتمامنا ووقتنا أمام من لا اهتمام لهم بها.

أنا ضعيف يا صديقي، أنا مرهف الإحساس، تتدفق وتنبعث فيَّ العواطف والمشاعر بقوة وغزارة، فلا أحتمل عدم الامتثال لها وعدم القيام بما تدفعني إليه وتحثني عليه، ولهذا كنتُ وما زلت أخاف من الاقتراب، لهذا كنتُ وما زلتُ أفضِّل البُعد وخاصة مع النساء، لهذا العزلة ملائمة لي، لهذا الوحدة تكفل لي الاستمرار بمشروعي الفكري والأدبي الذي هو نتيجة تعاطف مع معاناة الإنسان في كل مكان وزمان.

نعم يا صديقي، أنا خائف أن تعرقل معاناة البعض تفاعلي مع معاناة البشر جميعًا. كنتُ وما زلتُ أقبل من الآخرين وصفي بالأنانية وأتفاعل معهم بهدوء مراعاة لمشاعرهم ومعاناتهم، بالرغم من الحرائق التي يُشعلها في نفسي هذا الوصف. كيف أكون أنانيًا وأنا لم أُبقِ من أناي شيء لي.

نعم يا صديقي، لا أعتقد أنَّ حبها لي دافع أهلها لطلبي لها، وإنما معاناتها، ولهذا أنا خائف من الاقتراب منها. أنا خائف من الالتزامات التي يلفتني إليها تعاطفي معها، والتي قد تُلهيني عن الالتزامات التي يلفتني إليها تعاطفي مع الإنسان.

لربما لن تتفهَّم ما أقوله الآن، ولا أطمع بذلك منك، ولكنني أُطالبك بعدم الاعتراض عليه فقط. نعم، وحده ربي من بمقدوره تفهُّم موقفي وتشجيعي عليه، فما إقدامي هذا وإصراري على التمسك به، إلا لدعم إلهي أتلقَّاه، والذي لولاه لقُدِّر لي التنازل والانسحاب من فترة طويلة. ماذا أنا بدون دعم إلهي؟! نعم، حُق لي التشبُّه به سبحانه بالحد الذي تسمح به القدرة الإنسانية. أنا أحب الله كثيرًا يا صديقي، وهذا الحب الذي تفجَّر في قلبي له سبحانه وسَّع قلبي، فبات قادر على الاتساع لحب الإنسان. الحب يُوجد التبعيَّة يا صديقي، ولهذا أنا تابع لله، وبما تُمليه عليَّ تبعيتي الأولى، ألتزم بما تُمليه عليَّ تبعيتي الثانية. نعم، أنا بحاجة لتبعيتي الأولى في تبعيتي الثانية، فالتبعية الأولى تُعلِّمني الاتباع بدون انتظار عائد، تدفعني لعدم اليأس، تحثني على مواصلة الامتثال. لهذا يا صديقي، أخاف من عواطفي ومشاعري التي تتدفق لتطال من هم حولي، أخاف من اتِّباعي لأحدهم على حساب تبعيتي للإنسان، ولهذا أنا بحاجة للعزلة، بحاجة إلى أن أكون وحيدًا.

لعلَّكم تفترضون بأنها لن تتمكن من إشغالي عن مشروعي الفكري والأدبي. هنا أجد نفسي أشد تعجبًا من استمراركم بمطالبتي بالارتباط بها. نعم، كيف سيكون موقفي أمامها عندما أطلب منها التوقف عن مشاركتي الحديث لفكرة خطرت ببالي أحتاج لتدوينها، كيف سيكون موقفي أمامها عندما أعبّر لها عن رغبتي بالانسحاب من نزهة أو رحلة خططت لها لرغبتي بتدوين حكاية واضحة المعالم تمكَّن قلبي من رسمها في ذهني وخيالي، كيف سيكون موقفي أمامها وأنا عاجز عن مبادلتها الرعاية والاهتمام، كيف سيكون موقفي أمامها وأنا لن تتاح لي القدرة على مراعاة مشاعرها والوقوف بجانبها في أزماتها وضوائقها؟! عجيب أمركم، لماذا تريدون مني الارتباط بتلك التي سأهملها، من تلك التي سأتركها مُعلَّقة؟!

يا صديقي لا امرأة سيكون بمقدورها احتمالي، ولهذا تناسبني العزلة. أنا في صمتي مزعج، وفي حديثي كذلك، أنا في وجودي جارح وفي غيابي كذلك، أنا في بؤسي ممل وفي سعادتي كذلك. أنا محض جحيم فبأي ذنب تستحقني، أنا محض عقاب إلهي فبأي ضلال شيطاني ستنالني؟

معاناتي جعلتني يا صديقي غير صالح لأي امرأة، معاناتي تسببت لي بكراهية نفسي التي بتُّ لا أحتمل تقديمها لأحد أحبه أو أكرهه، معاناتي جعلتني فاقد المتعة والمرح، فكيف تطالبونني بالارتباط بمن سيُفترض أن أحبها، كيف تطالبونني بتقديم لها نفسي التي أمقتها؟!

يا صديقي، معاناتي جعلت الوقت يسير ببطء، ولأنني أفضل الحياة البطيئة أفضل معاناتي وبؤسي على راحتي وسعادتي. يا إلهي كم أمقت الحياة السريعة، ولهذا تجدني يا صديقي أرفض الارتباط بامرأة، أرفض لأنني أريد الاحتفاظ ببؤسي وفي ذات الوقت لا أريد لامرأة المعاناة بمعاناتي.

هناك لحظات في حياة كل شخص يشعر فيها بأنه لا ينتمي لأي مكان، ولكنني بخلاف الجميع على الدوام أشعر بذلك، فأين سأصطحبها في حال طالبتني باصطحابها للأماكن التي أنتمي إليها، كيف سيتاح لها تفهُّم أنني على الدوام أشعر بأنني لا أنتمي لأي مكان.

نعم، ينبغي عليكم جميعًا أن تدركوا أنني بحاجة إلى أن أكون وحيد، بحاجة لعزلتي، لأنني إن كنتُ مع من هم في محيطي وقلبي لن أكون مع الأفكار والشخصيات والأحداث والمشاعر والعواطف في كتاباتي وحكاياتي، إذا كنتُ مع صديقي لن أستطيع الكتابة عن الصداقة بصدق، وإذا كنت مع من قُدِّر لي الوقوع في حبها لن يكون بمقدوري الكتابة عن الحب، وإذا كنتُ

أُجرى الأحاديث مع من هم حولي لن يكون لحكاياتي أحاديثها القيّمة، وإذا كنتُ أتبادل الأفكار معهم لن تكون لحكاياتي أفكارها الجادة، وإذا كنتُ أبادلهم المشاعر لن يتاح لي التعبير بصدق عن مشاعر وعواطف شخصيات حكاياتي. نعم، أنا بحاجة ماسة للعزلة، ليتاح لي تطوير أفكاري وعرض حكاياتي بأسلوب جيد. أنا بحاجة لفقدان الجميع، ليتاح لي تقدير قيمتهم، والتعبير بصدق عن حبي لهم، أنا بحاجة إلى معاناتي، أنا بحاجة إلى الحرمان والفقد، أنا بحاجة للإهمال، أنا بحاجة إلى عداوة الجميع ومناهضتهم ليتاح لي المواصلة في مشروعي الفكري والأدبي.

ولكن توقف لوهلة، لعلِّي جشِع يا صديقي. نعم، لربما أرفض الارتباط بامرأة لأنني عاشق لجميع النساء، بالرغم من حرصي على المحافظة على المسافة بيني وبينهن. نعم، لربما لأنني أحب التنقل في زوايا وجه كل امرأة، لربما لأنني أحب الاستمتاع بكل ملمح متميز في وجه كل سيدة، لربما لأنني أحب التمتع بجمال الجميع، لربما لأنني أحب الالتفات، أحب الحرية. نعم، لربما لأنَّ الارتباط قيد. هل هذه حقيقتي؟ أستبعد هذا، فما هو السبب؟ ألأنني جبان عاجز عن الارتباط بإحداهن، أم لأنني عاجز عن الحب بالرغم من قدرتي على الإعجاب بالجمال، أم لأنني طمَّاع، أم لأنني مكتفي، أم لأنني زاهد، أم لأنني أعرف كيف أحب؟ نعم، لربما ذلك لأنني أعرف كيف أحب. نعم، كل من عرف كيف يحب لن يصل، لن يرتبط، فالحب لا يوصل.

لربما يا صديقي نحن الأدباء كذابون، مخادعون، جشعون. نعم، نحن لا نعرف الوقوع في حب إحداهن، لأننا نُبقي مشاعرنا مُحتكرَة لتلك الصور التي نرسمها بمخيلتنا وقلوبنا وعقولنا للمرأة. نعم، لربما لا وجود لتلك القادرة على تجاوز ما نرسمه وما نحتفظ به بمخيلتنا وقلوبنا وعقولنا، ولهذا لا وجود لتلك القادرة على دفعنا للوقوع في حبها. نعم، نحن نعرف كيف نحب، لأننا نعرف كيف نرسم صورة للمرأة مُنزَّهة بمخيلتنا، لأننا نعرف كيف نرسم صور لها خالية من كل عيب ونقص، لأننا نعرف كيف نخدع أنفسنا بسهولة، وذلك لربما لأننا لا نرغب بتقديم التنازلات.

نعم، نحن نخاف على صورة المرأة التي في مخيلتنا، ولهذا نحافظ على المسافة بيننا وبين النساء. ولربما كذلك الأدبيات في حبهن للرجال. نعم، لا يوجد صادق يكتب عن الحب، لا يوجد قنوع يكتب عن الحب، لا يوجد من هو قادر على تقديم التضحيات وفي نفس الوقت يكتب عن الحب.

الحب للمخادعين والجشعين والمراوغين، الحب لمن يرغب بالمحافظة على حزنه وألمه وبؤسه ومعاناته، الحب لمن فضَّل الحياة البائسة والعزلة

والغُربة. الحب يا صديقي، لا يتفجر فيمن يُفضِّل القرب على البعد، لا يتفجر فيمن يُفضِّل الاجتماع على العزلة، لا يتفجر فيمن عرف حقيقة المرأة، الحب لا يتفجر فيمن لديه عطب في مخيلته، لا يتفجر في القنوع، لا يتفجر فيمن يرغب بتقديم التنازلات، الحب فقط للمعذبين المتلذذين بعذابهم وبؤسهم وجحيمهم.

نعم، لا توجد امرأة قادرة على المحافظة على صورتها التي في خيال الرجل، وكذلك العكس، ولهذا البُعد يصون صورنا، يحفظ لنا كبرياءنا، يقينا من الخيبات، يقينا من الحقيقة المُرَّة ويتركنا للزيف ذو المذاق اللذيذ. نعم، من الأجدر على كل امرأة ورجل التوقف عن اشتراط وجود الحب للزواج، فذلك أسلم للزواج وللحب. يا صديقي، الحب لا يوصل، لا يَجْمَعْ، وإنما يحافظ على المسافات، يحافظ على البعد.

أعرفتْ الآن لماذا لا أستطيع التقدُّم لخطبتها حتى مع طلب والديها ذلك مني. نعم، ذلك لأنني صاحب خيال واسع، ذلك لأنني أريد المحافظة على صورة المرأة التي رسمها خيالي وعقلي وقلبي لي، ذلك لأنني غير مستعد لالتفات تلك التي تُدير لي ظهرها في أحلامي وتتركني أتعذَّب ببعض ملامحها التي كان الوصول إلها شاقًا، وذلك لأنني بعد غير مستعد للقائها.

أنا متيقن أنها يا صديقي بعيدة كل البعد عمن تحتل خيالي، أنا متيقن من هذا بالرغم من عدم معرفتي لها جيدًا بعد. حتى لو كانت تحبني، لن أستطيع مبادلتها الحب أبدًا، حتى لو كانت تطلبني لن أستطيع طلبها بتاتًا. أنا يا صديقي، أعشق الصورة التي في خيالي للمرأة، ولهذا أي سذاجة هذه التي قد تدفعني لإهمالها والرضى بصورة هذه التي تطلبني.

لا، أنا لا أقلل من شأنها، فكيف سأفعل وأنا بعد لا أعرفها، ولكنني أقدِّس تلك التي في خيالي وأحلامي. نعم، المرأة التي في خيالي تتفهَّم أنني لستُ مستعد بعد، ولهذا لم تلتفت لتكشف لي عن كافة ملامحها، فلماذا أترك من تفهَّمت موقفي، وأذهب لطلب من لم ولن تكون قادرة على تفهُّمه.

لعلك تتساءل عما أواسي به نفسي للمواصلة، ومعك الحق في ذلك، فدعني أجيبك. أجد المواساة والتعويض يا صديقي ببسط كفيّ لشعاع شمس دافئ، وبتسليم وجهي لنسمات هواء عليلة. نعم يا صديقي، القليل فقط ما نحتاجه، فإذا رغبنا وطمعنا به، فإننا هنا محرومون منه، وبالتالي منحرفون بالكثير الذي نحوزه، أو بالكثير الذي نستمر في طلبه.

أرأيت كم من سببٍ قدمتُ لك. لا تستكثرها، فبعد لدي المزيد، إن احتجتَ زودتُك بها. يا صديقي، بعد كل هذا الإيضاح آمل أن تساعدني بالبحث عن حل يساعدني بالتهرُّب بأسلوب لبق، يساعدني بعدم رفضها بأسلوب جارح، يفقدها الثقة بالحب، وبجميع الرجال. أنا على أعتاب بداية جديدة في مشروعي الفكري والأدبي، لا أريد لأي حدث تعكير صفوي فيها، ولهذا أريد التخلص من هذه العقبة بأسرع وقت وبأقل الأضرار.

نعم، الزواج مشروع لا يناسبني. أنا مكتفي بالزواج من مشروعي الفكري والأدبي، أنا مكتفي بصورة المرأة التي رسمها الأدباء في مخيلتي، والتي رسمتها عواطفي ومشاعري المكبوتة وتكويني الفكري والثقافي وأحلامي وأخيلتي ونبضات قلبي واستراحة عقلي، فهلا ساعدتني أرجوك.

المخلص لك

ت.ه

18 نيسان (ابريل)

صديقي العزيز ج.ل

طيلة الأيام الثلاث الماضية من شدة الضغط الذي مورس عليَّ من قِبَل أفراد عائلتي، اضطررت لإيقاف بحثي الفلسفي الذي يتطلب الهدوء والصفاء الذهني.

تبًا لهم، أيعتقدون حقًا بأنني ساذج لتصديق ادعائهم بتقبُّل قراري بالانسحاب بعد محاولة التواصل معها والتعرُّف عليها، أيعتقدون أنني لا أدرك أنهم سيزدادون إلحاحًا بمجرد تقديمي أولى التنازلات مطالبيني بالمزيد والمزيد، أيعتقدون بأنني أجهل خططهم لي التي يطمحون من خلالها لإخراجي من عزلتي ودفعي للاستغناء عن مشروعي الفكري والأدبي؟!

نعم يا صديقي، هم ينتظرون مني تقديم أولى تنازلاتي، لإحياء آمالهم بجدوى إلحاحهم وبالتالي لمواصلة الضغط بحيوية وتفاؤل. نعم، سيكون الثمن باهظًا في حال قدمتُ تنازلًا، سيطمعون بالمزيد والمزيد. السكين لا تستمر بالذبح، إلا إذا تذوقتْ طعم الدماء، فكيف تطلب مني إذاقة سكاكينهم طعم دمي؟!

نعم، سكاكينهم الآن حافية باليأس، فلماذا أعود لشحذها بالأمل؟! نعم، تنازل وحيد سيُحيي آمالهم وينعشها، سيُعيدهم للإلحاح مجددًا بنهم وباستمرار.

محاولاتهم الأولى كادتْ تدفعني للجنون لسلبها الهدوء من حياتي، فلماذا أمنحهم الفرصة لتكرار محاولاتهم. لربما الآن أنا أضعف مما كنتُ عليه. نعم، لقد كنتُ كالجبال الراسِية في البداية، لا تحركني أشدّ الرياح، لا تهزُّني أقوى الزلازل، لا يهدني أعنف قصف، أما الآن فأنا أرجّح أنني متآكل، ولهذا من الجنون إعلامهم بهذا، من الحماقة دفعهم مجددًا للمحاولة معي.

يا إلهي كم أنا خائف من اكتشافهم لضعفي. نعم، خوفي هذا أحيا كوابيسي، فبتُّ أُطرد على الدوام حتى من نومي القليل بالقلق الذي تبثه أسئلتي. لم تعد للحجج المادية -التي كانوا يقدمونها في البداية- جدوى، فلقد بات لي عائد كبير من عملي الفكري، ولهذا بدأت الحجج العاطفية والمعنوية والفوقية.

نعم، ادعاء آبائنا وأمهاتنا أنهم أكثر منا خبرة، يدفعهم للتعامل معنا بفوقية، يجعلهم سلطويين، يدفعهم لعدم رؤية ما يناسبنا. نعم، عجزهم عن تفهُّم قراراتنا، هو نتيجة أنانية، هو نتيجة سعي لما هو سبب في راحتهم لا راحتنا.

الزواج، الأبناء، الجامعة، العمل، المال، جميعها رغبات لديهم لا يدفعهم سوى حبهم لأنفسهم لمطالبتنا بإشباعها. إنهم لا يشبعون من الطلب والرغبة، ولهذا هم يلاحقوننا. نعم، عدم تفهُّمهم لقراراتنا هو نتيجة تحقير لقياساتنا، نتيجة اعتقاد لديهم أننا ما زلنا أطفالًا، ما زلنا تلك الملكيَّة التي كانوا يلهون بها.

إنَّ هذا الجشع يدفعهم للمطالبة بالمزيد على الدوام، فتجد من يراهم يعتقد أنَّ الحياة لم تمنحهم. افعل كذا من أجل العائلة؛ تبًا للعائلة. أين أنا من هذه المطالبات، لماذا لا أستطيع أن أفعل ذلك لنفسي، ولماذا ما أريده دائمًا يُصوَّر على أنه ليس في خدمة العائلة، لماذا أصوَّر دائمًا كمجرم، كابن غير بار لمجرد عدم الامتثال لما لا يناسبني.

نعم، أنا غاضب يا صديقي، لأنني لو حظيتُ فقط بدعمهما، لما قُدِّر للعالم أجمع إيقافي، لما شعرتُ بخيبة الأمل والخيانة أبدًا. نعم، ليس من طبع الحياة تمام الحظوظ، ولهذا لم أحظَ بدعمهما لقراراتي وتوجهاتي.

لربما قُدِّر لي ذلك، ليتاح لي استشعار وحدتي التي بدونها لم يكن سيتاح لي بذل كل هذه الجهود، لربما قُدِّر لي ذلك لتكون العزلة عليَّ أخف وطأة. نعم،

جميع أقدارنا السيئة ما هي سوى رحمة نزلت علينا للمساهمة بتصويب مسارتنا.

نعم، لطف الله بي لا أستطيع إنكاره، ولهذا تجدني كثير الحمد. نعمه الكثيرة عليَّ تدفعني لتكريس نفسي لخدمة الإنسان بأفضل شكل والإصلاح في الأرض. يا إلهي ما أشد حيائي منه سبحانه، فبالرغم من تقصيري في عبادته، ما زال يغدق عليَّ. نعم، في أحيان تجدني أواسي نفسي لتخفيف وطأة حيائي، بالقول بأنَّ سعيي في مشروعي الفكري والأدبي جزء من العبادة التي أؤدّيها له سبحانه.

نعم، جميعهم عاجزون عن تصور كم أحب الله، ولهذا عاجزون عن تصور كم أحب الإنسان، وكم أنا مستعد للتضحية في سبيله.

سأتفرَّغ لنفسي عندما يُعلن الإنسان في عالمنا الشيطاني هذا انتصاره. لعلك تقول: "إذًا فأنت لن تتفرغ أبدًا لنفسك.". نعم، لربما هذا صحيح، ولكن سأبقى متمسكًا بالأمل والعمل.

ولهذا كل ما أطمع به الآن هو تركي أعمل وحيدًا بدون إزعاج، ولكن في المستقبل حتمًا سأطمع بمشاركة الآخرين لي في سعيي. نعم، لن يتاح لي الوصول، فهدفي العظيم يحتاج كثير من الوقت، ولهذا تجدني أقول أنَّني سأطمع في المستقبل فقط بمشاركة الناس لي في سعيي لذات الهدف.

أترى ماذا سببتْ لي بظهورها في حياتي، أترى إلى ماذا دفع أهلي إقدَام أهلها على طلبي لها، أترى كيف فتحتْ بظهورها أبواب الجحيم في وجهي، أترى كم أدخلتْ من الفوضى والضجيج لحياتي.

نعم، لقد كانت حياتي هادئة نسبيًا، أما الآن فلا هدوء فيها. هذا هو ما يسببه وجود المرأة في حياتي. انظر، هي لم تحضر بعد بكامل حضورها وتسببت لي بكل هذا العذاب، هي لم تضع بعد قدمًا لها في حياتي ومع ذلك تسببتْ فيها بكل هذا الاضطراب. نعم، لا استقرار في حياتي مع امرأة، أأدركت هذا أم بعد ما زلت تراوغ؟

بعد لم أستقر على وسيلة للخروج من هذا المأزق، بعد لم أجد وسيلة لرفض كرمها معي بذوق، بعد لستُ قادر على تحصيل ذلك القدر من الوقاحة الذي قد يساعدني في رفضها بدون الالتفات لارتدادات ذلك عليها، بعد لم أجد القدرة على تحصيل ذلك القدر من اللامبالاة والبلادة الذي يجعلني قادر على

عدم الالتفات لحبها أو معاناتها، بعد لم أجد تلك القسوة القادرة على دفعي لتجاهل عنف رفضي وتجاهلي لها.

إلحاح الجميع لا يُتيح لي الفرصة للتفكير بحل لهذه المعضلة، فهلا ساعدتني. أنت وحدك من تعرِف منطلقاتي وطريقة تفكيري وظروفي ودوافعي وأسبابي، أنت وحدك القادر على تفهُّم قراراتي في بعض الأحيان، أنت وحدك من تراعي توجهاتي، أنت وحدك من لا يجابهني باستمرار بالرفض والاعتراض، ولهذا أنت فقط من سيكون بمقدوره مساعدتي، من سيكون بمقدوره تقديم الحلول لي، من سيكون بمقدوره التعاطف معي.

نعم، أنا أحتاج تعاطفك، فبرهن لي أنك تستطيع منحي ذلك التعاطف الذي هو في خدمتي لا في خدمتك، برهن لي أنك قادر على تقديم المساعدة التي أنا أطلبها لا تلك التي تعتقد بأنني أحتاجها انطلاقًا من قياساتك. إذا كنتَ تعتقد أنك تُلحق بي الضرر بمساعدتي في هذه القضية، فلا بأس، اضغط على نفسك وألحق بي الضرر. امنحني ما أطلب، لا تكن أنانيًا، لا تقدِّم لي ما يُريحك، قدِّم لي ما يريحني. الصداقة تتطلب التضحية يا صديقي، ولا تضحية في تقديم ما نرتاح بتقديمه. نعم، التضحية تكون بتقديم ما يرتاح الصديق به. نعم، عليك منحي الموت إذا كان هذا يريحني. أنا يا صديقي لا أطلب ترفًا، وإنما حاجةً، فقدِّم لي أرجوك ما أطلبه إذا كان في مقدورك ذلك.

أعلم أنك لا تستطيع إقناعهم بالعزوف عن مطالبتي بالتوقف، وأعلم أيضًا أنك حتى إن حاولت ستلقى صدًا وتعنيفًا، وهذا ضرر لا أقبله لك. نعم، لا أحد بمقدوره إقناعهم، ولهذا ما أطالبك به فقط هو التفكير معي بحل، بخطة للخروج من هذا المأزق، بحيلة نستطيع بها خداعهم بدون أن يشعروا بذلك.

صديقك المحتاج لك

ت.ه

23 نيسان (ابريل)

صديقي العزيز ج.ل

أنا عاجز عن احتمال عنفوان هذا الالحاح الذي أُجابه به، ولهذا حان الوقت لتقديم تنازل أوحي لهم به أنني استسلمت، ثم أعود لدفعهم لليأس بسحبه من جديد بطريقة توحي أن الانسحاب ليس خياري. نعم يا صديقي، لقد قررتُ منحهم الأمل ثم قتله فيهم من جديد لضمان عدم عودتهم مجددًا لمطالبتي بالتوقف.

لعلك تتساءل بتعجب عن سر هذا التحول وفجائيته. نعم، لقد ألهمني الله يا صديقي خطة مضمون بها النصر، بعدما تفرغتُ لمناجاته. أرأيت، وحده الله القادر على مساعدتي. أمدني سبحانه بخطة ستتيح لي الإفلات من الجميع بدون إيذاء أحد، خطة ستتيح لي التلاعب بالجميع كما أتلاعب بأحجار الشطرنج على الرقعة.

سأعاقب الجميع على مضايقتي، سأمنحهم الهزيمة بشعور النصر. سأتظاهر أمام الجميع بأنني الخاسر، لكي أكون منتصر بدون دوافع لدى الآخر لهزيمتي. لن أتبجح بانتصاري، ولن أعلنه لكي لا أتيح لأحد الفرصة للسعي لهزيمتي. المتبجحون لا تليق بهم الانتصارات، ولهذا سرعان ما يتكبدون الهزائم. نعم، لا هزيمة لمن منح خصمه الشعور بالانتصار. لعلِّي شوقتكَ لخطتي، فدعني أطلعك على بعض خطواتها وملامحها.

في البداية يا صديقي سأخرج من الغد مدعيًا أمام جميع أفراد عائلتي أنني كنتُ أفكر بقرار التقدُّم إليها منذ مدة طويلة قبل عرض والديها، وبأنني كنتُ متردد حياءً وانشغالًا، ثم سآخذ بالادعاء أمامهم بأنني كنتُ معجب بها ومحب منذ فترة طويلة، وبالادعاء بأن سر تقدُّم أهلها لطلبي لها هو صدور بعض الأفعال والأقوال مني والتي أوحت بأنني مُعجَب وبرهنت على أنني محب، وذلك كله بهدف تحسين وتجميل صورتها وصورة أهلها اللاتين تشوَّهتا في عيون بعض أفراد العائلة بجرأتهم على التقدُّم لطلبي. لعلَّك توقفني هنا قائلًا بأنني أظلم أفراد عائلتي بتصويرهم بهذه القسوة. معك حق، أعتَرِفْ، هناك تفهُّم لخطوة والديها، بل هناك تقدير واحترام لها وتبرير مفاده الحرص والرغبة بتأمين مستقبل ابنتهم بزوج قادر على إسعادها، نظرًا لغربتهم التي لا تتيح لهم ذلك بسهولة.

بعدما أفرغ من ذلك، على الفور سأتواصل مع والديها لأخفف وطأة الحرج الذي هما فيه، وذلك بادعاء إعجابي وحبي لابنتهما منذ فترة طويلة، وبادعاء وجود نية لديَّ مؤخرًا للتقدُّم إليها.

بعدما أفرغ من أهلي وأهلها، تأتي الخطوة التالية والتي ستكون معها. في البداية سآخذ بالادعاء بأنني معجب بها ومحب لها منذ الصغر، ولدفعها لتصديق ذلك، سآخذ بالادعاء بأنني في كثير من المناسبات التي كانت متواجدة فيها حاولت مررًا التعبير والكشف لها عن حبي وإعجابي بنظراتي وأفعالي، وأيضًا بالادعاء بأنني عبر مقالتي المنشورة في مختلف الصحف والمجلات حاولت إيصال رسائل إليها. نعم يا صديقي، لديَّ كروائي الأدوات التي تتيح لي دفعها لتصديق ادعاءاتي. صراحة، لا أستبعد يا صديقي تصديقها لادعاءاتي، فجميع النساء خيالهن واسع يخفي العيوب من كذبات الرجال ليسهل تصديقها. نعم، سيأخذ خيالها بربط أحداث وأقوال لا صلة لي بها، للإيحاء لها بأنني صادق، نعم سيساعدني خيالها. هدفي من ادعاءاتي هذه لها، ضمان استعادتها لكبريائها وثقتها التي سأستغلها لاحقًا.

لعلك يا صديقي تسأل متعجبًا: "لماذا أنت مضطر لذلك، مضطر للإيحاء بأنك الطالب لا المطلوب، وذلك بادعاء الحب، لماذا تحاول الإيحاء بأنك مدفوع للزواج لا بإلحاحهم، وإنما برغبتك وطلبك؟". ذلك يا صديقي لأنني لا أريد أن أكون صاحب نظرة ونبرة التعالي، في حين أريد منها أن تكون كذلك. لعلك تعود وتسأل بتعجب أكبر: "لماذا؟". ذلك يا صديقي ليتاح لي دفعها لاستغلالي الذي به ستكشف لي عن نواياها وخططها وأسرارها. لعلَّك لم تدرك بعد هدفي النهائي، ولهذا بحوزتك علامات استفهام كثيرة. لا بأس، ستتضح لك خطتي مع قادم الأيام. ولكن عليك أن تدرك أنَّ خطوات تعديل الموازيين هذه ضرورية، وأنا مضطر لها لضمان نجاح خطواتي اللاحقة في خطتي.

بخطواتي هذه يا صديقي سأرد جميلهم. نعم، بهذا سيتاح لي التعادل معهم. الخسارة التي تكبَّدوها بإقدامهم على الخطوة الأولى، سأعوّضهم عنها بادعاءاتي التي سأقدّمها بخطواتي هذه. الهزيمة التي أُلحِقُها بنفسي بادعاءاتي، ستكون لهم بمثابة نصر في هذه المرحلة، وهذا ما أريده. لا ليس التعاطف كما تعتقد دافعي لذلك، وإنما خدمة للهدف النهائي من خطتي.

ستعود لتسألني بإلحاح وفضول، رافضًا تأجيلي التوضيح والكشف عن كامل خطتي: "لماذا كل هذا؟". حسنًا، لا تتعجل سأجيبك. في حال كانت تحبني حقًا، فأنا بادعاء الحب أرد كرمها بتعبيرها عن حبها، وفي حال كانت المعاناة هي دافع أهلها لطلبي لها، فإنني بادعاء الحب أمنحها الثقة بنفسها. المرأة في كثير من الأحيان، تحتاج لمن يُظهر لها الحب لكي تتعافى، ولهذا سأتظاهر بحبها، لعلي به أمنحها العلاج لمرضها. نعم، سأظهر لها مضطرًا

بصورة لن أكون راضي عنها، ونفسي لن تكون متقبّلة لها، بصورة مرغوبة ومطلوبة من قِبل النساء الجشعات، وذلك ليتاح لي النجاح في إتمام خطواتي اللاحقة في خطتي.

لعل ثقتها بنفسها تراجعت بتقدُّم أهلها لطلبي لها، ولهذا سأحاول ضمن استعادتها لثقتها. لربما يا صديقي إذا وثقت بنفسها انسحبتْ باعتقادها أنها تستحق من هو أفضل مني، ووفرتْ عليَّ عناء دفعها لذلك.

الخطوة التالية، ستكون معرفة السر وراء طلب أهلها لي، السر وراء جرأتهم على التمرد على عادات وتقاليد وأصول وعرف مجتمعنا الذي يطلب الرجل فيه المرأة، لا العكس.

نعم، أنا أستبعد الحب، ولهذا أُرجّح المعاناة كسبب، ولهذا سأبحث عن سبب المعاناة أو الكارثة. أنا بحاجة لسبب كبير لكي يكون كافي لإقناع أهلي بضرورة انسحابي عند التلميح به أمامهم.

لعلك توقفني هنا معترضًا بالتأكيد على أنّني لن أستطيع البوح بسرها أمام أهلي، لأنه ليس في مقدوري الخيانة بإفشاء الأسرار وخيانة الثقة. نعم، لقد فكرتُ في ذلك، ولهذا لديَّ خطوة بديلة، دعني أطلعك عليها.

في حال كان هناك سبب قبيح -أقصد بمعايير مجتمعنا- لمعاناتها، سأحاول دفعها للاعتقاد بأنني لا أستحق امرأة مثلها، وذلك بالظهور أمامها بصورة ملائكية لكي أدفعها للاعتقاد بأنها قليلة على شخص مثلي. نعم، سأتظاهر أمامها أنني سريع التأذي، وحينها ستتفادى إيذائي، وتنسحب من حياتي. سأُظهر لها زهدي وعفتي لكي تخجل وتنسحب، وتذهب للاعتقاد بأنني كثير عليها، وبأنها فاقدة استحقاق الارتباط بشخص يحوز قلب كقلبي.

سأحاول التلاعب -بها إن فشلتْ الخطوة السابقة- بدفعها للاعتقاد بأنه لا ينبغي لمن هم في حالتها النفسية اتخاذ قرار مصيري كالزواج، وذلك لدفعها للتراجع.

نعم، أولويتي دفعها لرفضي بأي سبب تفضّله، فإذا فشلتُ حينها سأضطر لرفضها ولكن بطريقة غير مباشرة، مثلًا بإشعال نزاع بين أهلي وأهلها يجعل الرفض ليس قرارنا بل قرار محيطنا.

كل هذا يا صديقي يستوجب في البداية مني تلبس دور العاشق، ودفع الجميع لتصديق ذلك. لا أعرف كثيرًا عما تطلبه النساء في الرجال، ومع ذلك

سأحاول التعرُّف لكي أغرقها بما تعتقد أنه كثير عليها، لدفعها للانسحاب، وفي حال كانت وقحة وجشعة حينها سأعمل على الظهور أمامها بأبشع الصور لكي أدفعها للتراجع.

ولنجاح خطتي يا صديقي هناك خطوة ضرورية تتمثل بالظهور أمام أهلها بشخصيتي التي حازت إعجابهم قبل سنوات، تلك الصورة التي تعرفوا عليها عندما كنت ألتقي بهم عند زيارتهم لمدينتنا.

في شخصيتي القديمة محاسن أنا على يقين أنها هي سر إعجابهم بي وطلبي لابنتهم، ولكن أيضًا فيها عيوب سيحاول والدها الماكر استغلالها لخدمة هدفه. لقد سبق وحلَّلتُ شخصية والدها، هو شخص مادي، حقود، حسود، محب للفتنة، فارغ، مدَّعي للثقافة والوعي والتحضر، معتز بجنسية الدولة التي يقطن فيها لقدرتها على تسهيل دخوله لمختلف الدول، شخص لا دين له، لا اهتمامات له، يلعب الورق على الدوام، ضيق الأفق، صغير العقل كالأطفال، ماكر، سريع الغضب، جاهل، أحمق، متكبر أمام أولئك الذين يجهلونه، وصغير أمام أولئك الذين يعرفونه، متفاخر بنوعية سجائره ومأكله ومشربه.

شخص كهذا يا صديقي، لا بد أن لديه أطماع يحاول الوصول إليها باستغلال عيوب شخصيتي القديمة. شخصيتي القديمة كانت صدامية وخاصة مع أفراد عائلتي، فهل يهدف لإيقاع العداوة بيني وبينهم؟ شخصيتي القديمة تفضِّل السفر والعيش خارج مدينتنا، فهل يطمع من تفضيلي القديم ذاك إلزامي بالعيش مع ابنته في الخارج. شخصيتي القديمة مسالمة في أحيان كثيرة وخصوصًا مع الغريب، فهل يطمع من ذلك باحتوائي له وتحمُّلي لجنونه وحماقته؟ شخصيتي القديمة تُحب الاجتماع ولعب الورق، فهل يطمع من ذلك بجلوسي على طاولته؟ شخصيتي القديمة تحب اللهو، فهل يطمع بأن أصاحبه في لهوه. ذاك الفارغ، أيعتقد أنَّ وقتي يسمح لأمثاله. أهدافه ونواياه الخبيثة سأتعرَّف عليها في حال التزمتُ بإخفاء شخصيتي الجديدة، ولهذا لن أكشف لأحد عنها.

وجود شخص مثله، سيجعل إيقاع العداوة والنزاع بين أهلي وأهلها يسيرًا، ولهذا أنا مطمئن ومتيقن أنَّ مصير خطتي النجاح، فالخطوات البديلة فيها متعددة، متاحة على الدوام أمام جميع الاحتمالات والوقائع.

يا صديقي، في عالمنا الفضولي الوقح هذا، ينبغي علينا عدم إطلاع الآخرين على اهتماماتنا وميولنا ورغباتنا وتفضيلاتنا وحاجاتنا وانتماءاتنا

وتحركاتنا، وذلك لكي نضمن عدم التعرض للابتزاز أو المساومة أو الاستغلال أو الملاحقة. يا إلهي كم هي عظيمة الجهود التي أبذلها في إخفاء هويتي وشخصيتي، وبالرغم من ذلك لم أفكر يومًا بالتوقف. أقسم أنني في أبسط شؤون حياتي أفعل ذلك، وهذا مزعج ومرهق يا صديقي، ولكنه على الأقل يوفِّر لي الحماية. في أكلي أحاول إخفاء تفضيلاتي بتناول ما لا أفضله في أحيان، في ملبسي أرتدي ما لا أفضله في أحيان سعيًا لإخفاء تفضيلاتي، في الموسيقى أحاول إخفاء تفضيلاتي بالسماع لما لا يحظى بتفضيلي في أحيان، وكذلك الحال في جميع احتياجاتي الأخرى. هويتي الحقيقية ينبغي أن تبقى في الخفاء، وهذا صعب في ظل هذه الرقابة الشديدة، ومع ذلك سأواصل. إنني لا أستأمن حتى عتمة غرفتي عليها، فكيف أُطلع هؤلاء الجشعين عليها. إخفاء هويتنا الحقيقية يا صديقي يضمن لنا في حال قررنا الاختفاء عدم اكتشاف مواقعنا، يضمن لنا في حال قررنا الاختيار عدم توجيهنا، يضمن لنا في حال قررنا الاقتراب عدم الوقوع في الفخاخ، يضمن لنا في حال طلبنا ورغبنا حصولنا على طلباتنا ورغباتنا بدون عراقيل، بدون وجود أعداء متربصين في طريقنا، بدون وجود سم في مطالبنا ورغباتنا. مغتال يا صديقي ذلك الذي يكشف للآخرين هويته الحقيقية. الكشف عن هوياتنا الحقيقية، يتسبب في تبعيتنا للآخر، يجعلنا من ضمن القطيع، يجعلنا أدوات للآخر، يجعلنا مُستهلَكين على الدوام. نعم، لا أحد يستحق الاطلاع على هويتنا الحقيقية، لا أحد يستحق منا التنازل عن حريتنا لأجله، الجميع يستحقون أن يكونوا مضللين عن هويتنا، لا أحد يستحق ثقتنا به هنا، لأنه لا أحد يستحق السلطة. يا إلهي كم تفتك بنا هذه السلطة التي نمنحها للآخرين بالكشف لهم عن هويتنا.

هل هناك لعبة وخديعة من وراء طلب أهلها لي؟ لا أعلم، ولكن هذه العائلة سمعتها تجعل كل الاحتمالات واردة. هل والداها وحدهما المشاركان في هذه اللعبة أم هي معهما مشاركة؟ هل سيكون هناك في قلبها حب حقيقي لي، أم سيكون هناك محض ادِّعاء وتمثيل؟ نعم، سأكتشف الحقيقة، سأجد الإجابات، فأنا لديَّ الأدوات اللازمة لاختراق أشد القلوب تكتمًا.

بهذه الخطة التي أعددتها وأطلعتك على بعض ملامحها، سيتاح لي ادعاء الحزن والألم والبؤس بفشل زواجي -بمن سأدَّعي حبها- أمام أفراد العائلة، وبهذا سيُتيح لي تعاطفهم مع حالتي هذه، الابتعاد عني لمدة لا تقل عن سنتين، وبهذا أكون وفَّرت لنفسي فترة من الهدوء والسلام أكون فيها قادر على تحصيل ذلك الصنف من التركيز والصفاء الذي تحتاجه عودتي لكائط.

نعم يا صديقي، المواجهة مع هذا المحيط العاطفي التقليدي المُلِح على الدوام، تتطلب ذكاء ليتاح لي الانتصار، المواجهة أحيانًا تتطلب مني ألا أُظهِر سوى هزائمي للاستمرار في تحصيل الانتصارات، المواجهة تتطلب مني أحيانًا التصدِّي بأسلوب غير مباشر لتقليل الأضرار، المواجهة أحيانًا تتطلب مني التعامل بحِنكة وهدوء لا بقوة وعنف وغضب، المواجهة تتطلب مني في أحيان تقديم التنازلات التي تكفل عدم تقديمي التنازلات المُكلِفة التي لا طاقة لي على التعامل مع تبعاتها.

الخطة التي أعددتها مرنة يا صديقي، ولهذا سأضيف إليها بعض التعديلات عند التنفيذ في حال اضطررتُ لذلك، أو في حال طرأ جديد، أو في حال استجدت أخبار وأحداث غير متوقعة. نعم، هذه الخطة حتمًا ستقودني لما أصبو إليه.

ذلك القدر من الوقاحة الذي لا أحوزه لصِدّها، لستُ مضطر لإيذاء نفسيتي في السعي لحيازته، وهذا بفضل هذه الخطة المُحكَمة، تلك الصدامية في مواجهة رغبات ومطالبات أهلي لي بالتوقف، أنا في غنى عنها بهذه الخطة، تلك النزاعات التي كنتُ متخوف منها ومما ستثيره في نفسي من غضب وحزن يعكِّر صفو تركيزي، لستُ متخوف من حدوثها بهذه الخطة. نعم، ستتيح لي هذه الخطة هروب سلس، سريع، مكتسباته يبقى نعيمها لفترة طويلة، هروب الهزيمة فيه انتصار، هروب لا عداوة فيه، لا أحد شاعر بالهزيمة فيه، لا أحد راغب بالانتقام فيه. ما ألذَّها تلك الخطط التي تتيح لأصحابها التحكُّم بظروفهم وبمساراتهم، وتضمن لهم الوصول لأهدافهم.

من الجيد أنَّ انفعالي في البداية لم يدفعني لردود فعل عنيفة، تدفعهم للشك في سر تحوُّلي السريع واستجابتي لطلبهم. نعم، الانفعال يُعرقل خططنا، ولهذا كنتُ محظوظًا بعدم اتخاذ الإجراءات التي حثتني عليها.

ما رأيك إذًا في خطتي؟ أعتقد أنها أذهلتك. إن رأيت أنه ينقصها بعض اللمسات، فزودني أرجوك باقتراحاتك وتوصياتك وأعلمني بكل ما تراه مناسبًا وملائمًا على الدوام.

صديقك على الدوام

ت.ه

27 نيسان (ابريل)

صديقي العزيز ج.ل

لقد أنجزتُ الخطوة الأولى من خطتي يا صديقي، والنتائج كما توقعتُها. أنت عاجز عن تصوّر فعل الصدمة بوجوه جميع أفراد العائلة عندما أخبرتهم بموافقتي على التقدُّم لخطبتها، عاجز عن تصور وجوههم التي انتزعتْ ملامحها الدهشة المرسومة عليها عند ادعائي أنني معجب بها وواقع في حبها منذ فترة طويلة، وعندما ادعيت أنني كنت أنوي الخروج من عزلتي لطلبها قبل إقدام أهلها على الخطوة الأولى.

في تلك اللحظات كانت وجوه الجميع متحجّرة بتعابير توحي بالصدمة والدهشة، وكان الصمت قد أغرق الغرفة، وكانت الأنظار كلها مُوجَّهة إليَّ فضايقني هذا الوضع وكاد يدفعني للانسحاب من الجلسة لولا أنني تذكرتُ عواقب ذلك على خطتي.

لحظات ثم أخذوا بالالتفات لبعضهم البعض، محاولين التأكُّد مما سمعوه من بعضهم، ثم بعد ذلك أخذتْ تعابير الفرح والسرور بطرد ملامح الصدمة والدهشة من وجوههم، وهذا ضايقني جدًا، فلقد كنتُ بالكاد قادر على تحمُّل تلك التعابير المستفزَّة التي لا تليق بحياتنا.

على الرغم من معرفتهم مقتي للأجواء الاحتفالية، إلا أنهم لم يستطيعوا كبت مشاعرهم ومقاومة رغبتهم بالاحتفال، فأخذوا في البداية بمعانقتي وتقبيلي، على الرغم من محاولتي صدّهم للمحافظة على المسافة، ثم أخذ بعضهم بالرقص وأخذ البعض الآخر بالغناء والتصفيق.

يا إلهي كم كنتُ في تلك اللحظات محتاج وراغب بالانسحاب من تلك الأجواء المقيتة البائسة الزائفة التي لا تليق بالحقيقة في عالمنا، ومع ذلك قاومتُ رغبتي وصمدتُ أمام إلحاحها حرصًا على خطتي.

نعم، أخذتُ بمتابعتهم وبمحادثتهم في نفسي قائلًا: هيا افرحوا أكثر، احتفلوا بشغف أكبر، هيا عبّروا عن سعادتكم، هيا تشرَّبوا طعم الأمل، فأنا على وشك الإطاحة بهذه السعادة وتعطيل هذه الاحتفالات ودفن هذا الفرح وقتل هذا الأمل، هيا فكلما كان التحليق أعلى كان السقوط أعنف، هيا فكلما كان الطمع والأخذ أكثر كان الفقد أشرس. هيا افرحوا لكي تتوهموا على الأقل أنني أسعدتكم في يوم ما، أنني كنت سببًا في احتفالكم ولو لمرة. هيا ساعدوني في تسهيل منحكم يأس يدفعكم بعيدًا عني لسنوات، هيا ساعدوني

في طردكم من حياتي وإيقاف تدخلاتكم فيها. انتظرني يا كانط، فأنا قادم مجددًا إليك، ولكن هذه المرة بدون مضايقات وتدخلات تُعكِّر صفو تفكيري وتوَّلد فيَّ مشاعر تحرق الهدوء والسلام في نفسي.

كان وجهي أثناء جلوسي بينهم وهم يحتفلون، تتقلب فيه تعابير حالات مزاجية متناقضة ومتفاوتة. نعم، لم أكن آن ذاك قادر على التحكُّم به، فكانت ترتسم عليه تعابير الحزن تارة وتعابير الفرح تارة أخرى، وفي أحيان تعابير الغضب وفي أخرى تعابير الهدوء، في لحظات تعابير المكر وفي أخرى تعابير الصدق، في أوقات تعابير المتضايق وفي أخرى تعابير المرتاح المنسجم.

كان حرصي على خطتي في أحيان ينجح في رسم التعبير المناسب على وجهي، وفي أحيان يفشل لشدة غضبي وحقدي وإحساسي بالوقت المُهدر وشعوري بألم البعد عن الكتاب.

نعم، وجهي مُرهق من كثرة ما عبَّر اليوم عما يختلج في نفسي وعن تلك المشاعر والعواطف التي اضطررتُ لادعاء حيازتها. إنه بالكاد يستطيع حمل ملامحي من شدة التعب. إنني أشعر بتشنجاته وأنا أكتب إليك الآن. خدودي من تلك الابتسامات والضحكات التي كنتُ مضطر لها، ما زالت إلى الآن ترتجف من ثقل الحمل، عيوني مرهقة من اللمعة المصطنعة فيها لإتقان دور العاشق والمسرور، لساني مرهق من بضع الكلمات التي نطق بها بعدما تحجر في فمي من قلة الكلام طوال هذه السنين.

نعم، لعلِّي بالغتُ في أداء الأدوار التي خولتني بها خطتي. نعم، لحيتي وشاربي وشعر رأسي والتجاعيد في وجهي من قلة النوم، جميعهم كان لهم دور ليس قليل في إخفاء ملامحي وتعابيري لتغطيتهم وجهي. لقد غفلتُ عن ذلك، بسبب حماسي للبدء بخطتي وحرصي على نجاحها.

بعد هذه الأجواء جلستُ مع أمي على انفراد، ووضعتُ شروطي والتي منها، عدم إشهار الخطبة إلى حين الزواج متحججًا برغبتي بالتعرُّف عليها أولًا، والاشتراط بأن تكون الخطبة سنة كاملة إلى حين تهيئة نفسي سيكولوجيًا للزواج، وأيضًا عدم إزعاجي بالاستفسار طوال فترة الخطبة عن علاقتي بها أو عن الأحاديث التي تدور بيننا، وأيضًا منحي المساحة التي أطلبها وتفادي حصاري بالطلبات والأسئلة والمشاورات والتجهيزات، وأيضًا تفادي التواصل معها من ورائي وإزعاجها بالأسئلة عن وضعي معها

وتفادي مطالبتها من ورائي بالحرص عليَّ وعلى علاقتنا. وهناك المزيد من الشروط التي لا تسمح الرسالة بسردها لك.

لعلك تتساءل عن المغزى من وراء بعض الشروط التي ذكرتها لك والتي لم أذكرها، وأنا أنوي وأخطط للانسحاب قريبًا. نعم، معك حق في التعجُّب والتساؤل. نعم، هو الشرط الأول فقط من له هدف مباشر في خطتي، فوجوده يكفل أن يكون الانفصال والفسخ أسهل وأسرع وبدون أضرار وتكلفة كبيرة، أما باقي الشروط، فمعظمها لم أضعها إلا لدفعهم لعدم الالتزام بها. نعم وضعتها لأعزز فضولهم، وأدفعهم للاستعلام عن علاقتي معها، وعن الأحاديث التي تدور بيننا. ها أنت تتساءل مجددًا بتعجب: ولم ذلك؟ ذلك يا صديقي لأنني أريد منهم الاطلاع على الرومانسية التي سأغرقها بها، لكي لا يشكُّوا في أمري، ولكي يُصدِّقوا أنني أحبها حقًا، ولكي يتوهموا أنني لن أسمح بوقوع ما يُفرّق بيني وبينها، وبأنني متمسك بها أشد تمسك. نعم، أريد من الجميع التيقن من أنني عاشق، لكي لا يكون لديهم ذرة شك بي عند توجيه ضربتي القاضية.

بعد انصراف أمي، قدِم إليَّ أخي وجلس معي على انفراد. يا إلهي كم من الوقت مضى على جلوسنا آخر مرة! ثلاث أم أربع سنوات؟ لا أذكر بالضبط، لعلها أكثر. يا إلهي كيف تحرمنا أهدافنا من الالتقاء بأحبائنا. نعم، لعلَّ هذه ليست هي الحياة التي سنحيا فيها، وإنما هي تلك التي سنموت فيها. لعل جهودنا في هذه الحياة، ما هي سوى محض هشيم تذروه الرياح، ومع ذلك أنا متيقن أنها ضرورية لاستحقاق الحياة الأخرى. نعم، لربما جهودنا الملزمون ببذلها وتقديمها لا وظيفة لها سوى جعل الموت أسهل وأسرع وأقل ألمًا إلى حين لفظ ذاك النفس الأخير، ذاك الذي نطرق به بوابة جديدة. ها أنا أعود للتذمر الذي أمقته. كم مرة عاهدتُ نفسي بعدم العودة إليه وأخلفت؟! تبًا لي. اعذرني يا صديقي، فكلما التفتُ لخسارتي وحجم تضحياتي في سبيل هدفي، غضبتُ وحزنت وقادني ذلك للتذمر. لهذا لا أحب الالتفات، لهذا أفضِّل تكبد الهزيمة تلو الهزيمة والخسارة تلو الخسارة بدون توقف.

في بداية حديثنا لاحظتُ أنَّ لديه شك في نواياي، وهذا استوجب مني تبديد كل الشك الموجود لديه، لضمان نجاح خطتي، فبدأتُ بسرد بعض القصص التي اختلقتها وبعض الأحداث والمناسبات التي ادعيتُ أنني التقيتُ فيها بها وبوصف بعض النظرات التي ادعيتُ أيضًا أننا تبادلناها في بعض الزيارات المتبادلة بيننا وبينهم، محاولًا في أثناء حديثي معه تلبُّس دور العاشق وذلك

باختلاق براءة في وجهي ولمعة في عينيَّ وسلام في ابتسامتي. لقد صدقني بحيث لم يبقَ لديه ذرة شك، وهذا أكد لي أنني أجيد التمثيل.

بعدما نجحتُ في خداعه، أخذ بمحاولة إقناعي بترتيب ظهوري ومظهري، وذلك بحثِّي على تهذيب لحيتي وشاربي، وباقتناء ملابس جديدة، وبالتدرُّب على تحسين طريقة تعاملي مع النساء، فلقد سبق ولاحظ منذ مدة طويلة برودي وجلافتي، ثم أخذ بمطالبتي بتدريب ملامح ومعالم وجهي على التفاعل مع تعابير وجه الآخر والتدرب على رد التحايا والمجاملة، وبالتدرب على تحمُّل الأحاديث الساذجة والبسيطة الدارجة على لسان العامة، وبالتدرب على المشاركة فيها عند الاضطرار.

في البداية رفضتُ جميع طلباته لكي لا يشك بسرعة قبولي وتنازلي أنا الذي اعتادني عنيدًا، ثم أخذتُ بالقبول بها شيئًا فشيئًا مع وضع بعض الشروط، كجلب الحلاق للمنزل، واقتناء الملابس لي بدون خروجي معه، وقد تقبَّل شروطي مدركًا أنَّ طول أمد عزلتي وعدم خروجي لفترة طويلة أحد الأسباب التي ولَّدتْ لديَّ الخوف من الخروج والالتقاء بالناس.

أخي هذا يا صديقي خطير جدًا، ولهذا عليَّ الحذر منه أكثر من غيره. مع أنه يتفادى التدخل في شؤوني كغيره، ويضع لنفسه الحدود في التعامل معي، ومع أنني أعتقد أنه من المُستبعَد في حال شك في أمري مشاركة شكوكه مع بقية أفراد العائلة ليتجنب صدامهم معي، إلا أنني مُلزم بأخذ الحيطة والحذر معه، لتجنُّب أي سيناريو غير متوقع.

بعد انتهاء الحديث الذي كان يطمع أن يتطرق فيه لمواضيع أخرى، ليطيله ويستأثر بمزيد من الدقائق معي، استأذنتُ منه وانصرفتُ لغرفتي متذرعًا بالتعب والإرهاق والحاجة للنوم، وما أن دخلتها وأغلقت بابها حتى استلقيتُ على فراشي منهكًا، وأخذت أفكِّر في الخطوة التالية، والتي معها بدأتُ أتوتر، لكونها ستدفعني للتعامل مع امرأة، أنا الذي لم يسبق لي أن تعاملتُ مع إحداهن في مواضيع كهذه. نعم، أنا الآن خائف من احتمال عدم قدرتي على أداء دور العاشق باحترافية أمامها، خائف من الفشل في التمثيل، فلعب دور كبير كدور العاشق أمام امرأة مربك، موتِّر، مقلق.

لا تخف عليَّ، سأحاول السيطرة على هذه المشاعر السلبية بمراجعة خطتي وتذكير نفسي على الدوام بحيازتها، وأنتَ بدورك يا صديقي تمنى لي الحظ، ولا تتردد باطلاعي على أي مقترح جديد لديك يُضفي على خطتي مزيد من

المثالية والقدرة على التحكُّم والسيطرة على الأحداث والشخصيات والأدوار والنتائج والوقت والحكاية ككل.

يا صديقي، أطمع بخطة تمنحني تلك النتائج التي تعوّضني عن تلك الأيام التي سأكون مضطر فيها للابتعاد عن القراءة والكتابة، أريد خطة تمنحني على الأقل سنتين من الهدوء والسلام.

أعلم أنك ترجّح أنني لن أصمد على أقصى تقدير لأسبوع بدون مطالعة وكتابة، ولهذا تعتقد أنني سأنسحب وأُفشِل خطتي، ولكنك هنا باعتقادي - وأرجو ان أكون محقًّا- غفلتَ عن طمعي بعائد الصمود الذي لطالما تمنَّيته، غفلتَ عن معاناتي من إلحاحهم المتواصل بمطالبتي بالتوقف، غفلتَ عن تفضيلي للعائد الآجل على العاجل.

نعم، سأحترق بالبُعد طوال هذه الفترة عما لا أتصور حياتي بدونهما، ولكن سأعود لأُبعث من جديد كطائر الفنيق. نعم، لن أعود بحماس أكبر، فلطالما كنتُ أصل لأقصى درجات حماسي عند إمساكي بالكتاب وبقلمي، لن أعود بشغف متجدد، فعلى الدوام كنتُ شغوفًا بذلك، ولكنني سأعود بالهدوء والسلام والطمأنينة على مشروعي الفكري والأدبي.

نعم، أعظم كنز هو راحة البال، ولهذا كنا حمقى عندما كنا نتذمر من جدَّاتنا عند الدعاء لنا بها، مطالبين إياهن بدعوات بديلة. نعم، بساطة جدَّاتنا والإيجاز الذي يتسمن به في الدعاء، فيه الحكمة التي بها أُتين خيرًا كثيرًا. يا إلهي ما أكثر طلباتنا من الله، وما أقل طلباتهن منه سبحانه، يا إلهي ما أفقرنا بكثرة طلباتنا، وما أغناهن بقلة طلباتهن. نعم، قلة الخير في حياتنا ناجمة عن غياب الحكمة التي رُهنت بها كثرته.

يبدو يا صديقي أنَّ هذه الليلة ستكون صاخبة، لن ينام أحد من أفراد العائلة فيها، وستبقى الأجواء الاحتفالية لعدة أيام، وهذا سيُصِّعب عليَّ الأمر، ومع ذلك سأُبدي صبرًا كصبر الأنبياء، ورغبة بالتحدّي كتلك التي يُبديها أصحاب القضايا التي راهن الجميع على انسحابهم. نعم، تَّفقد عزيمتي عندما يُراهن على خسارتي، ولهذا استعد يا صديقي لتكون شاهدًا على ثباتي وانتصاري، استعد للتمتع بهذا الثبات الذي لا يُبديه إلا قلة في عالمنا هذا.

لعلك تقول وتُحذِّر من أنّ المراهنات تدفع البعض لإثبات جدارتهم في مسارات غير المسارات التي خُلقوا للتواجد فيها، أي أنَّ السعي بالمراهنات في أحيان كثيرة يكون نتيجة عقدة نقص، أي أنَّ السعي يكون بها نتيجة

توجيه غير ذاتي، أي توجيه خارجي. نعم، ما تقوله صحيح، وأنا متنبّه لذلك. لا تقلق، لا خوف عليَّ من مشاعري، فلقد سلَّمت دفة القيادة لعقلي منذ أمد بعيد.

لا تقلق عليَّ يا صديقي، فقط تمنى لي التوفيق، وزودني بكل ما تراه ملائم لخطتي. أتطلع لإعلامك بنجاح خطوتي التالية.

صديقك الشاكر والممتن

ت.ه

30 نيسان (ابريل)

صديقي العزيز ج.ل

تقدَّمتُ لخطبتها يا صديقي عبر التقنية الجديدة -أقصد الهاتف-، وبهذا أكون أنجزتُ خطوتي الثانية في خطتي.

ولكن قبل أن أسرد لك كيف جرى ذلك، دعني أعلمك أنَّ أخي عاد وشكَّ في نواياي، وذلك لطلبي الإسراع في إجراءات الخِطبة بدون طلب صورة لها.

جلس معي على انفراد في أثناء التحضير للمكالمة الهاتفية، وأخذ يسأل عن سر تجاهلي لفرضية أنها فقدت جمالها طوال هذه السنين التي غابت فيها، وعن سر تجاهلي السؤال عنها والاستعلام عن مستوى تحصيلها الأكاديمي والثقافي، وعن سر تجاهلي السؤال عما إذا كانت تحظى بعمل أو اهتمام ما، وعن سر تجاهلي السؤال عن ظروف عيشها وطبيعة اهتماماتها والاستعلام عن طبيعة المحيط الذي تعيش فيه، بالرغم من حيازتي القدرة على تحصيل كل هذه البيانات نظرًا لعلاقاتي الحزبية التي تنتشر في كل مكان. نعم، أخذ يتساءل عن سر تجاهلي لكثير من المعلومات المهمة والتي من حقي الإحاطة بها، والتي ما كان ينبغي عليَّ تجاهلها.

ثم قام بعرض تفسيرات لذلك، قدمها من خلال قراءته ومتابعته لشخصيتي القديمة لا الجديدة التي بعد لم يتعرف عليها لعزلتي، ومن هذه التفسيرات:

حيائي الشديد، وخوفي من جرحها بأسئلتي، وخوفي من ذهاب البعض للقول بسطحية اهتماماتي، وخوفي من الطلب بحد ذاته، ورغبة بالقبول بها بكل أحوالها نظرًا لإقدامها على الخطوة الأولى، وخوفًا من مجابهة ضغط أفراد العائلة، وخوفًا من كسر قلب أمنا -التي تحبها- برفضي، ورغبة بالانتقام من نفسي ومنهم بعدم الاهتمام بما هي عليه، ورغبة بعقاب نفسي وعقابهم.

نعم يا صديقي، لقد قام بطرح تفسيرات كثيرة، وأحمد الله أنه لم يكن من ضمنها سببي الحقيقي، والذي مفاده أنني أريد الانسحاب. لستُ متأكد إذا ما كان تردد في تقديم هذا التفسير لرغبته بحيازة أدلة أكثر بالنظر في معطيات جديدة، أم أنَّ ذلك في الحقيقة لعدم حيازته له.

ألم أقل لك أنَّ أخي هذا خطير، وبأنه سيُشكِّل تهديد على نجاح خطتي. في لحظة ما توقعتُ أنه سيشك بأمري نظرًا لعدم تظاهري بوجود اهتمام لديَّ بتحصيل بعض المعلومات عنها. نعم، شعرتُ بأنَّ هذا التقصير سيثير التساؤلات من بعض أولئك الذين لم تُسكرهم فرحة موافقتي، ولكنني كنتُ مضطر لذلك، لأنَّ لعب دور المُستقصِي والباحث عن المعلومات يستغرق وقتًا، وهذا سيطيل الفترة الزمنية لخطتي. نعم، أنا أرفض التضحية بمزيد من الوقت، فأنا بالكاد أستطيع تحمُّل الوقت المُهدَر، الوقت الذي فيه أنا بعيد عن كتابي وقلمي.

لعلَّك تتساءل عن طبيعة ردودي عليه وكيفية تعاملي معه. لا تتعجل سأطلعك على كل ما جرى. في البداية ادَّعيتُ صحة بعض تفسيراته، وفندتُ بعضها، لكي لا أدفعه بإنكار صحتها جميعًا لمزيد من التحليل الذي قد يوصله لسببي الحقيقي. نعم، لقد قررتُ منح جهوده بعض الثمار، لكي أكفَّه عن البحث عن الثمرة الألذ، قررت منحه شعور الانتصار لأكفه عن البحث عن الانتصار.

كنتُ مضطر أمامه لتمثيل دور المرتبك والخجل والخائف لدفعه للاعتقاد بصحة بعض التفسيرات التي قدَّمها، وادعيتُ أنها من أسبابي. نعم، كنتُ أتنقل من دور لدور حتى كاد وجهي وكامل جسدي يكذبني من سرعة التنقل والتقلب بين الحالة والحالة الأخرى، وفي أحيان الحالة النقيضة.

بإطالته في الحديث وتقديمه الكثير من التفسيرات، منحني الوقت لاختلاق بعض التفسيرات، وبالتفكير فيما سأقوله، ولعلَّه لو سألني بسرعة وطالبني بالإجابة على الفور لأفقدني هدوئي وتخطيطي بصدمة سؤاله. نعم، لقد أخطأ، وهذا لم ألفته إليه، لكي أضمن استمراره في منحي الوقت وبالتالي الانتصار.

قبل تقديم بعض التفسيرات التي اختلقتها، أخذتُ بعد تلبُّس دور الغاضب، بالإشارة إلى إساءته لي، عندما أشار لحزبنا العالمي في حديثه عن هذا الموضوع،وأخذتُ بالتوضيح له كيف أنه أخطأ بالاعتقاد بأنني أسمح لنفسي باللجوء لطلب المساعدة من علاقاتي الحزبية، والاستعانة ببنك معلومات الحزب لخدمة شؤوني الخاصة.

نعم، لقد كنتُ غاضبًا آن ذاك بحق، فتصويره لي على ذلك النحو كان مقيتًا. كيف له الاعتقاد بأنني أسمح لنفسي باستغلال كل هذه الجهود والأدوات التي كُرستْ لخدمة هدفنا الإنساني، لخدمة شؤوني الخاصة؟! يا إلهي، أي درجة من الجشع والوقاحة والجهل قد تدفع المرء لفعل ذلك؟!

أخذ بالاعتذار مني بعدما لاحظ انفعالي غير المقصود. نعم، ما كان ينبغي عليّ الاستسلام لغضبي في تلك الأثناء، والبوح بما بحثُ به، فلقد صورني ذلك على أنني عاجز عن جمع المعلومات، وهذا دفعه لعرض المساعدة، مبينًا لي أنَّ لديه بعض الأصدقاء في البلد الذي تقيم فيه، لديهم القدرة على جمع البيانات المطلوبة والمرغوبة عنها بدقة عالية، وباعتذاره وبمقترحه أدركتُ خطئي، فتراجع غضبي، وارتبكتُ للحظات، ولكنني سرعان ما هدأتُ وأخذتُ بشكره وبالتعهد له بطلب مساعدته لاحقًا في هذا الشأن، متحججًا بأنَّ جمع المعلومات سيتطلب وقتًا، ومبينًا أنَّ تأخري عن رد جميلها بإقدامها على الخطوة الأولى سيكون جارح لها. نعم يا صديقي، لقد كان هذا أفضل تفسير ممكن لي تقديمه، وهذا أراحني وطمأنني.

بعدما سمع السبب الذي ادعيته، أحسستُ بتراجعه واقتناعه، ولكنني وجدتُه يحذرني من مراعاة مشاعر الآخرين في قرار كالارتباط، وجدتُه يحثني على عدم الاستسلام أمام إلحاح أمي عليّ للارتباط بها هي تحديدًا، وعدم الاكتراث لحزنها في حال اخترتُ غيرها، ثم وجدتُه يحذرني من النساء، ويطالبني بالحذر من مشاعرها التي ستبديها لي، مؤكدًا لي أنَّ معظم الرجال يسقطون في هذا الفخ، ومشيرًا إلى أنَّ كثير من النساء يبرعن في تسوّل التعاطف للتغطية على عيوبهن وفقرهن الثقافي.

يا إلهي كم كان جاد في حديثه معي في تلك اللحظات. نعم، لربما عمله في أوساط مختلطة ساعده على تكوين هذه الخبرة في التعامل مع النساء، وجعله مؤهلًا لتقديم هذه النصائح. نعم، لعلَّ هذا الانسجام الذي بينه وبين زوجته كان السبب فيه هذه الخبرة المتحصّلة من تجاربه الكثيرة.

لعلك تسألني عن موقفي من هذه النصائح. لستُ متأكد،لربما يا صديقي فيها شيء من الحقيقة والحكمة، ولكن أخاف من قول ذلك أمام أحدهم مخافة التعميم. نعم، هي نصائح لا يستحق الكثيرون الاستماع لها، لعدم احترامهم المرأة.

صراحة يا صديقي، نصائحه تثير خوفي. هل يُقدِّمها لي لتحريري من عبء وضغط إقدامها على الخطوة الأولى، وبالتالي دفعي للتأني، أم يُقدِّمها لدفعي لغض النظر عنها والتقدُّم لأخرى وجد فيها ما هو ملائم لي؟ إذا كانت هذه أسبابه، فإنَّ هذه مشكلة كبيرة ومعقدة.

نعم، وجود أخرى سيدفعهم للإلحاح عليَّ للتقدُّم إليها في حال انسحابي، ولهذا أنا مطالب الآن يا صديقي، بإظهار أنني عاشق لها، لكي يدفعهم حزني الذي سأدَّعيه عند فشل الزواج للانسحاب والتراجع ومنحي وقت للتعافي.

من الآن سأتخلى عن عشوائيتي في ادعاء حبي لها أمام الجميع، وسأعمل على إضافة بعض الخطوات لخطتي لضمان ذلك، لكي أتجنب المفاجئات.

عرضه الذي قدَّمه في نصائحه لم أرتاح له أيضًا يا صديقي، فهل كان ذلك هدفه اختبار صدق ادعائي له سابقًا بأنني أحبها، أم للتأكد من صدق نواياي، أم لاستدراجي للكشف عن أهدافي؟ نعم، هو بذلك الدهاء الذي يدفعني للشك بكل ما يقوله ويطالبني بالإجابة عنه، وبالتالي لاتخاذ أقصى درجات الحيطة والحذر في الإجابة ورد الفعل، أو في أحيان التهرُّب من الإجابة وإبداء ملامح لا يحسن قراءة التعابير منها، أو الولوج لما يَشغل البال والقلب من خلالها.

نعم، أنا بحاجة لبعض من سمات شخصيتي الجديدة التي لم يتعرف عليها بعد، والتي أحاول إخفائها عنه وعن الجميع، لكي يتاح لي مجابهته وصده بها.

لعلَّك يا صديقي تتساءل عن سر عدم مطالبتي بصورة لها للادِّعاء بأنني أرغب بالتعرُّف عما إذا كانت تناسبني أو لا، وبالتالي عدم إعطاء الفرصة لأحد للشك في نواياي، لعلك تتساءل عن سر عدم حيازتي الفضول بمعرفة شكل المرأة التي ستكون ضحية خطتي. السبب في ذلك يا صديقي، أنني لا أريد التعرُّف عليها، لا أريد أن أتورط بصورة لها في ذهني، أريد ضمان عدم دخولها في حياتي وذاكرتي، لا أريد لصورتها مطاردتي في أحلامي معاتبة ولائمة، وأيضًا لرغبتي بضمان عدم ذهابها للاعتقاد بأنني أنسحب

لعدم إعجابي بمظهرها. نعم، لا أريد زعزعة ثقتها بنفسها، لا أريد لها أن تشعر بالنقص الذي قد يدفعها للمسير في مسارات غير مساراتها، والاهتمام باهتمامات غير اهتماماتها وغير متناسبة مع قدراتها وميولها. أما سؤالكَ عن فضولي، فأجدك لم تطرحه إلا لغفلة، فأنت تدرك أنَّ فضولي بأكمله استأثر به كل ما بداخل تلك الكتب المُلِحَة التي خططتُ لقراءتها، وكل ما يتخفَّى داخل تلك النصوص -التي ما زلت أقف عليها- من مقاصد. يا صديقي، ليس لديَّ رغبة ولا فضول لمعرفة شيء عنها، وإنما حاجة لمعرفة فقط تلك المعلومات التي إلمامي بها يخدم خطتي.

وباعتقادي أيضًا يا صديقي، أنَّ عدم طلبي صورة لها، يُعزز ادعائي بأنني واقع في حبها، ويوحي بأنني مستعد للتضحية في سبيل حبي لها.

ولكنني أجدكَ غفلت عن سؤال أهم وهو: ما سر عدم إرسالهم صورة لها بالرغم من إرسال أهلي صورة لي لهم؟ ما سر وقاحتهم، ما سر تجاهلهم للطلب غير المباشر لأهلي؟ هل ذلك لأنني فقط لم أطلب؟ لا أعتقد ذلك يا صديقي. نعم، هناك غموض، هناك سر لربما لا يريدون البوح به. لن أسعى لمعرفة الأسباب، فهي لا تعنيني ولا تهمني، وأيضًا لأنَّ معرفتي لها قد تثقلني بمسؤوليات جديدة، تقودني للمسير في مسارات لم أخطط للمسير فيها، توقعني في مشاكل تُعرقل سير خطتي، أو تطيل الوقت اللازم لتنفيذها. نعم، أنا بدون الاطلاع على تلك المعلومات التي لا تخدم خطتي في أمان. وباعتقادي أيضًا عدم حيازتي صورة لها، سيتيح لي الانسحاب بدون تبعات وعقبات، وسيتيح لأهلي تهوين انسحابي لأهلها وتخفيف حدته، ولهذا سأحرص على عدم طلب أهلي صورة لها من ورائي. هذا لم أخطط له من قبل، ولكن ها هي الظروف تتيح لي الالتفات إليه. هذا رائع يا صديقي، فباعتقادي ظروفها ستتيح لي ما يساعدني على الإسراع في تنفيذ خطتي.

دعني الآن أسرد عليك ما تم الاتفاق عليه بين أبي وأبيها، وما حدثتني به في الدقيقة التي أتيحت لنا للحديث فيها على انفراد.

في البداية، جرى الاتفاق على التعتيم على الخِطبة إلى حين تسجيلها قانونيًا وشرعيًا، وهذا سيستغرق مدة تقارب الشهر للحاجة لتصديق بعض الأوراق الضرورية لذلك. هذا الاتفاق زاد من تسارع دقات قلبي، فكادت ملامح وجهي الزائفة التي ادعيتُ بها الفرح والسرور تختفي وتفضح أمري. لقد اعتقدتُ أنَّ هذه الخطوة ستستغرق مدة أطول، وذلك لعدم توفُّر الأوراق القانونية لإتمام هذه الخطوة، وللحاجة إلى إرسالها وتصديقها من قنصليات

دولتنا ومن مؤسساتها في الداخل. نعم، لقد اعتقدتُ أنَّ بيروقراطية هذه المؤسسات ستُعرقل وصول الأوراق، وبالتالي ستُأخِّر هذه الخطوة.

لعلَّك تتساءل عن سر خوفي من هذه المدة، وأنا أخطط لإنهاء الأمر في مدة أقل منها. يا صديقي، سأحاول جاهدًا ضمان أن لا تطول فترة تنفيذي لخطتي، ومع ذلك أنا خائف من العراقيل الفجائية، وأيضًا كون المدة التي يستغرقها التسجيل قصيرة يُشكِّل ضغط عليَّ ويتسبب بتوتري. لا تقلق، سأجد حل لهذا المعضلة. دعني أكمل لك.

انتقلا بعد ذلك للاتفاق على مدة الخطبة، فاتفقا على أن تكون سنة ونصف، ثم اتفقا على نزولها إلى مدينتنا بعد سنة من الخِطبة ليتاح لي ولها التعارف أكثر على بعضنا البعض قبل الزواج.

هذا يا صديقي أثار تساؤلاتي. نعم، لماذا طلبوا إمهالهم سنة للنزول إلى مدينتنا؟ نعم، هي مدة طويلة، فهل هي تساعدهم في إخفاء شيء ما؟ سبق وعلمتُ من أحد أقاربهم أنهم غير مرتبطين بدراسة أو عمل، ويعيشون على نفقة الدولة، فلماذا هذا التأخير؟ نعم، هذا سبب آخر يدفع للشك بجانب سبب تجاهلهم إرسال صورة لها، وبجانب سبب تقدُّمهم لطلبي لابنتهم الذي ما زالت أمي تبرره بخوفهم على ابنتهم ورغبتهم في ضمان مستقبلها مع شخص مثلي، ولكونهم يعيشون في بلاد بعيدة ومختلفة ثقافيًا ودينيًا عن بلادنا.

لا تعنيني الأسباب يا صديقي ولا الدوافع، فأنا سأنسحب قريبًا، ولكن هذا الغموض ينبغي أن أستعين به في مقاومة شعوري بأنني سأؤذيها بالانفصال. نعم، لن أسعى للتعرُّف على الأسباب والدوافع، فالغموض قد يساعدني أكثر في الانسحاب. المعرفة قد تدفعني للتعاطف الذي قد يُصعِّب عليَّ قراري بالانسحاب.

نعم، سأدفعهم للاعتقاد بأنني ساذج لعدم استفساري عن الأسباب والدوافع، سأدفعهم للاعتقاد بأنني مُغرم بها، ولهذا مُضلَّل ومصاب بالعمى، سأدفعهم للاعتقاد بأنني مُحب لها لدرجة تدفعني لتقبُّل أي خبر بشع مفزع عنها، سأدفعهم للاستهانة بي، لينكشفوا لي وليتاح لي التعرُّف على دوافعهم التي لربما لن تشعرني بأنني مخطئ في حقها.

نعم، إنني أريد منهم أن يكونوا بتلك الوضاعة والخسة واللؤم والجشع الذي سيتيح لي الانسحاب بدون شعور بأنني ظلمتها. سأظهر بسذاجة مقززة لكي

أغريهم باستغلالي، وبهذا أُدينهم. نعم أعرفهم، هم لا يحوزون الأمانة والوداعة التي تستوجب مني عدم استغلالهم، وعدم الاستسلام لمغريات جهلهم وسذاجتهم. نعم، هم يتَّسمون بالجشع، ولهذا أريد إدانتهم لا بما يتسمون به، وإنما بالأفعال التي ستصدر عن سماتهم معي أنا تحديدًا. نعم، لا أريد محاسبتهم بما هم عليه مع غيري، وإنما بما هم عليه معي أنا تحديدًا.

لربما تعتقد يا صديقي أنني أصورهم بصورة بشعة، هم ليسوا عليها في الحقيقة، لتبرير ما سأقوم به معهم، ولكنك مخطئ. نعم، هم كما وصفتهم، بل هم أسوأ، ومع ذلك سأتعامل معهم بأسلوب حضاري، بأسلوب لبق.

لربما تقول يا صديقي بأنني بهذا سأظلمها بسمعة وفعل أهلها. هذا ما يُخيفني يا صديقي، ولهذا سأكون حذر معها. سأحاول مساعدتها على استغلالي، وحثها على طلب العون منهم في ذلك، فإذا وقعت في فخي، فحتمًا ستكون مثلهم.

نعم، لن أطالبها بالحفاظ على خصوصيتي وخصوصية رسائلي إليها، فإذا احترمتْ خصوصيتي، فإنها حين ذاك ستكون مختلفة عنهم، ولكن إذا لم تحترمها، فستكون مثلهم، ستسعى لاستغلالي، لن تقاوم العوائد التي سيصورونها لها من استغلالي.

أرأيتْ يا صديقي لما أنا بحاجة إلى ادِّعاء أنني واقع في حبها، أرأيت يا صديقي لما أنا بحاجة للتصوير لها بأنني مستعد للتضحية بكل شيء في سبيلها، أرأيت يا صديقي لماذا أريد منها الاعتقاد أنني مستعد للاستغناء عن مشروعي الفكري والأدبي في سبيلها، أرأيت يا صديقي لماذا أريد منها الاعتقاد بأنني مستعد للخروج من عزلتي لإرضائها.

نعم، سأجعلها تظن أنني غارق في حبها، أنني كالخاتم في إصبعها، أنني كالطفل الوديع في يدها، لكي أوقعها في فخي. نعم، أرجّح أنها ستقع يا صديقي، وهذا يريحني كثيرًا. نعم، لا أريد منها أن تكون أمينة، صادقة، نزيهة، على الأقل معي.

أقسم أنه لو كان من طلبني أناس غيرهم لترددت، ولكن لسمعتهم قبلت، لأنني على يقين أنني سألقى منهم ما يجعل انسحابي أسهل، ما سيجعل انسحابي مُبرر لي بمحاولتي تفادي الضرر الذي يخططون لإلحاقه بي.

نعم، خطَّتي لم يلهمني الله بها إلا معهم، لأنه سبحانه يعلم أنهم يستحقونها، لأنه سبحانه أراد أن يمكر بهم بمكرهم، وأن يرد كيدهم في نحرهم. لقد

ناجيتُ الله مؤخرًا أن يتيح لي الفرصة لإيقاف الجميع عن مطالبتي بالتوقف عن المواصلة في مشروعي الفكري والأدبي، وها هو سبحانه بكرمه ورحمته استجاب لي بإرسالهم لي وبإلهامي هذه الخطة. نعم، سخَّرني الله لهم وسخَّرهم لي، بالرغم من المسافات التي تفصل بيننا، نعم سخَّرني لهم لرد مكرهم بحنكتي، وسخَّرهم لي كوسيلة أستخدمها بإيقاف الجميع عن مطالبتي بالتوقف. نعم، الله ضربهم بي، وأكرمني بهم، بدون أن يكون أحد منا ضحية للآخر.

أرأيت كيف يُحيطنا الله بلطفه، أرأيت كيف كان مع العسر يسرا كما وعدنا، أرأيت كيف لمَّا ضاقت فرجت. نعم، بلطفه سبحانه ما كان لي الاستمرار بمشروعي الفكري والأدبي.

سأمضي الليلة حامدًا شاكرًا يا صديقي، ليتاح لي الالتفات أكثر لنعمه عليَّ، ليتاح لي نصيب أكبر من كسبي، ليتاح لي التوقف عن الطلب والانشغل والالتهاء بالتكاثر والمراكمة، ليتاح لي السعي للاستفادة مما نلته، ليتاح لي التوقف عن الطمع بالمزيد وبالكثير الذي لن أتسع له أنا الضيق.

نعم، للشكر يا صديقي نِعم كثيرة لا سبيل لحصرها. يا إلهي كم هو ساذج ذلك الذي ظن أنه يمنح الله بشكره! نعم، نحن وحدنا المستفيدون بشكرنا. نعم، ضيق أفقنا يجعلنا عاجزين في كثير من الأحيان عن قراءة الأبعاد السيكولوجية للحمد والتعرُّف عليها، ولهذا نستكثره ونمُن على الله به. نعم يا صديقي، معرفتنا بوجود إله غني مُستكفِي بذاته بحد ذاتها رحمة من الله، فهذه المعرفة أتاحت أن يكون في حمدنا فرصة للالتفات إلى ما حُزناه، وفرصة لإدراك أنَّ أوامره ونواهيه سبحانه فيها خير لنا لا له هو المُستكفِي، وعليه فالتقديم لا يكون لذاته وإنما لذواتنا. نعم، إدراكنا أن لا طلب لله لذاته، إدراك أنَّ طلبه لذواتنا، وبالتالي إدراك أنَّ الحمد والشكر أيضًا عوائدهم لذواتنا.

معاناتي تجعلني أعرف الله أكثر، ولهذا يا صديقي أفضِّلها، وأحافظ عليها حفاظي على حياتي. نعم، الحمد لك ربي حمدًا كثيرًا غير موفٍ لعظمتك وعظيم عطائك على جميع نعمك المدركة وغير المدركة، التي نراها والتي لا نراها، الماضية والحاضرة والمستقبلية. احمد الله يا صديقي، واعمل جاهدًا على استحقاق أن تكون عبدًا شكورًا، فهذه نعمة لا يُضاهيها نعمة. سأبقى عاجز عن وصف فعل الشكر والحمد معي لك، ولهذا أكتفي بما بيَّنته لك، لأكمل سرد بقية ما جرى معي.

اتفق أبي وأباها على مناقشة بقية الأمور في وقت لاحق، لترك المجل للعائلتين للاحتفال، ولإتاحة الفرصة لي ولها للتحدث على انفراد. ناولني أبي سماعة الهاتف، فأمسكتها وقلبي من شدة الخفقان يكاد يخرج من صدري، ووجهي المُتجعلك من سرعة تعبيره عن الحالة ونقيضها يكاد يفضحني.

التفتُ حولي فلم أجد أحد، وهذا كان ينبغي له أن يريحني، ولكنه أربكني لكوني معها بمفردي. أمسكتُ السماعة ووضعتها على أذني، وفي تلك اللحظة فكرتُ فيما يجب عليَّ قوله، ولأنني لم أجد شيئًا بقيتُ صامتًا. لعلها ملَّتْ من صمتي وجبني بعدما تأكدتْ من وجودي بسماعها أنفاسي، ولهذا تجرأتْ وأخذتْ تُعبّر لي عن سعادتها بخطوتي. صُدِمتُ يا صديقي، فها هي مجددًا تُقدِم على الخطوة الأولى معي. نعم، كان أنا من ينبغي عليه البدء، ولكن لأنني لم أبدأ قط في حياتي، تجمدتُ وتركتها تبدأ.

هل هي واقعة في حبي، ولهذا اختارتْ أن تكون صاحبة الخطوة الأولى معي دائمًا، أم هي مُعتادة على ذلك، ولهذا استسهلتْ ذلك معي؟ هل جرأتها نتيجة حب، أم نتيجة كونها امرأة لعوب؟ هذا مخيف في الحالتين يا صديقي. في حال كانت جرأتها نتيجة حب، فهذا سيزيد صعوبة حرصي على ألا يكون انسحابي جارح، وأما في حال كانت جرأتها لكونها امرأة لعوب، فهذا سيصعب عليَّ قراءتها لخبرتها في التعامل مع الرجال، وبالتالي سيُصعِّب عليَّ انتقاء الخطوات الملائمة لكل مرحلة، والمناسبة لكل حدث.

استجمعتُ قواي، وأخذتُ أدَّعي لها أنَّ سعادتي كبيرة بذلك أيضًا، وبعد ذلك عدتُ للصمت بعدما لم أجد ما أقوله مجددًا. كانت تلك لحظات مرعبة، موتِّرة، فلقد تحلَّتْ هي بالصمت أيضًا، ولربما كان ذلك لنفس أسبابي، ولكنني أرجِّح أنه كان لأسباب أخرى.

بعد تلك اللحظات، وفجأة سألتني سؤالًا صدمني لدرجة أبقاني فيها عاجز عن النطق ببنت شفة، وكان هذا السؤال كالتالي: "لماذا لم تُقدِم على هذه الخطوة من قبل، لماذا لم تكن أثناء تواجدي قبل نحو سنتين في مدينتنا، لماذا تأخرتْ، لماذا انتظرتَ خروجي للتقدُّم إليَّ؟". يا إلهي ما هذه الجرأة، ما هذه الصراحة! من أين أتت بكل هذه الرغبة والقدرة على المواجهة؟! هذا سؤال يتطلب من البعض عمرًا بأكمله لحيازة الجرأة على طرحه، فكيف أتيحت لها الجرأة والقدرة على طرحه؟! وفي أول مكالمة! ما هذا، أهو الحب من مكَّنها من فعل هذا أم هي الوقاحة، أم البلادة، أم الرعونة، أم الجهل؟! أقلَّة الخبرة أم كثرتها؟! أتحسبني شخص آخر كان سبق وأن تعهَّد لها بالتقدُّم

إليها؟! أسبق وأن التقيتُ بها في حلم ما ووعدتها بالتقدُّم إليها؟! أسبق وأن تخيلتْ أنني أتعهد لها بالتقدُّم لخطبتها؟! أيختلط عليها الواقع بالخيال والأحلام؟ هذا جيد ومفيد يا صديقي، فهذا يُسعف واقعنا المريض، وفي أحيان يُسعفنا. نعم، في أحيان وليس باستمرار. يا صديقي، لم أخرج من غرفتي طيلة هذه السنين إلا في بضع مناسبات، فهل أوحتْ لها نظرة غير مقصودة مني بأنني أخطط لطلبها، هل بدت رمشة إحدى عينيّ كغمزة لها، هل أوحى فعل صدر عني أنني أتعهد لها بالتقدُّم إليها.

صدقني، لم أرها طوال سنين عزلتي إلا لثواني في بضع مناسبات، فلماذا اعتقدتْ أنَّ اللمحة والنظرة الخاطفة قادرة على خلق الحب بين طرفين. أي درجة من السذاجة يحتفظ بها المرء للاستمرار بالاعتقاد إلى يومنا هذا أنَّ هناك حب من النظرة الأولى!

هل أخبرها أحدهم أنني أنوي التقدُّم لخطبتها؟ من عائلتي أستبعد هذا، ولهذا من هو هذا الوقح الذي تكلم بلساني؟ سبق وأن اضطررتُ للجلوس مع أبيها على انفراد في إحدى المناسبات مضطرًا لتحمُّل مواضيعه السخيفة مجاملة واحترامًا لسنه، وكان يُلمِّح لي عن رغبته مني بالتقدُّم لخطبتها، وكنتُ أتجاهل تلميحاته محاولًا تبيان أنني مشغول في مشروعي الفكري، فهل هو الذي تكلم بلساني وكذب بإسمي، محاولًا فرضها عليَّ وفرضي عليها؟

نعم، هو وحده من لديه الوقاحة والجرأة لفعل ذلك. ألم أخبرك يا صديقي من قبل أنه نذل، خبيث. لا بأس، لن أُبين لها ما توصَّلت إليه، لكي لا أصدمها في هذه المرحلة المبكرة، ولن أُظهر لذلك الخبيث أنني اكتشفتُ صنيعه لكي لا أدفعه للحذر، وسأعمل على استغلال جهله بمعرفتي لفعله في التنبؤ بقادم أفعاله وقراءة نواياه، و الحذر منها واستثمارها بما يخدم أهدافي وخططي.

كما سبق وأخبرتك، سؤالها كان صادمًا، ولهذا تجمدتُ وعجزتُ عن الكلام والتفكير برد، وما هي سوى لحظات حتى قاطعنا الجميع بعودتهم، فتناولت أمي السماعة مني، وتناولت أمها السماعة منها، وأخذتا بتبادل التهاني وبالغناء.

يا إلهي كم حمدت الله آن ذاك على إنقاذي في ذلك الموقف الصعب، يا إلهي كم وددت احتضان أمي لتناولها سماعة الهاتف مني. هذا لن يُنجيني من الرد، ولكنه سيتيح لي الوقت للبحث عن الإجابة المناسبة لخططي، وعن الإجابة غير الجارحة لها في هذه المرحلة المبكرة.

من الغد سأبدأ بمراسلتها، لكي أتفادى أي تعطيل للجدول الزمني لخطتي وخطواتها. نعم، التردد الآن والخوف بعد التعرُّف على جرأتها لا داعي لهما، الآن سأبدأ بإغراقها بالكلام الرومانسي الذي سيتيح لي تمرير كل ما أريد ادعاءه لنجاح خطتي. قدرتي على التعبير سأستغلها للإيحاء بأنني غارق في الحب ليتاح لها تلمُّس سذاجتي وبالتالي استغلالي. من الغد سأبدأ بلعب دور لم يتح لي من قبل لعبه، ولكنني متيقن من نجاحي في تقديمه على أكمل وجه. جرأتها التي أبدتها لي من أول مكالمة ستُسهّل عليَّ جرأتي.

هذا كل ما جرى يا صديقي، اعذرني الآن، سأذهب للتحضير لرسالتي الأولى إليها، والتحضير للرد على رسالتها الأولى والتي ستبدأ فيها باعتقادي من حيث انتهت مكالمتنا. تمنى لي التوفيق في خطواتي القادمة، واكتب لي إن خطر في بالك تعديل على خطتي.

المخلص لك

ت.ه

2 أيار (مايو)

صديقي العزيز ج.ل

يبدو يا صديقي أنني سأبقى متخلِّفًا عنها في الجرأة،ويبدو أنَّ الخطوة الأولى ستبقى لها على الدوام. نعم، لقد باغتتني برسالتها مبكرًا هذا الصباح، وهذا دفعني للتراجع عن إرسال رسالتي لكي أعيد كتابتها ليتاح لي الرد والإجابة على ما جاء في رسالتها.

افتتحتْ رسالتها بمطالبتي بمصارحتها في الإجابة عمن دفعني للتقدُّم لخطبتها، وأخذتْ تُعدِّد لي مبتدئة بأمي مرورًا بشقيقاتي وأبي وأصدقائي ومنتهية بمللي ورغبتي بالانتقام من إحداهن.

من سؤالها هذا استنتجتُ أنها مجروحة في كرامتها لإقدامها على الخطوة الأولى التي كان من المفترض أن أقوم أنا بها. وأيضًا استنتجتُ أنها فاقدة لثقتها في نفسها، وأيضًا مدركة أنَّ دافعي للتحرك نحوها ليس الحب، ولهذا كان عليَّ في البداية انعاش كبريائها ورد كرامتها والعمل على استعادتها

للثقة بنفسها، ثم دفعها للاعتقاد بأنَّ دافعي هو الحب لا غيره، فافتتحتْ رسالتي بشكرها على القبول بي وبالتعبير لها عن امتناني الشديد لفعلها، ثم أخذتُ بتعداد كل ما قررتُ الادعاء أنه جذبني إليها، وبذكر بعض محاسنها التي ادعيتُ أنَّ لها تأثير كبير عليَّ، فأخذتُ أدَّعي إعجابي الشديد بابتسامتها التي ادعيتُ أنها تحمل سلام الله، وبنظراتها التي ادعيتُ أنَّ لها القدرة على الولوج ببراءتها إلى أكثر القلوب تحجرًا، وبشعرها المتجعد الذهبي الذي ادعيتُ أنه كمشهد شروق الشمس. ثم أخذتُ بعد ذلك بالادعاء بأنني واقع في حبها منذ فترة طويلة، بل إنني ذهبتُ للادعاء بأنها حب طفولتي وجميع مراحل حياتي. شعرت أنَّ هذا غير كافٍ بعد، فأخذتُ بالقول مدعيًا بأنني لم أكن سأقبل بأن تكون لغيري، وكنت سأرفض بشدة فكرة ضياعها مني، ثم أخذتُ بالادعاء -وهذا ندمتُ عليه لاحقًا وآلمني كثيرًا- أنني عندما أكتب حكاياتي الرومانسية أكون بحاجة للتفكير بها، واستحضار صورتها في ذهني. نعم، تأذيت جدًا بهذا الادعاء القاسي، فلقد شعرتُ بالرغم من كون ما قدَّمته محض ادعاء، بأنني قمت بخيانة تلك الصورة التي في خيالي وأحلامي للمرأة التي لم أتعرَّف عليها بعد، والتي لا أكتب إلا بالرجوع إليها وبالنجاح في استحضارها في ذهني وأحلامي. نعم يا صديقي، لو كان متاح لي الرجوع بالزمن وعدم تقديم هذا الادعاء، لرجعتُ وسحبته، ولكن للأسف هذا غير متاح لي، ولهذا شعور الندم سيبقى ملازم لي لفترة أحسب أنها لن تكون قصيرة.

هل هذه الادعاءات كانت كافية؟ لا أعلم، ولكن رسالتها القادمة ستكشف عن هذا. لا تقلق، حتى لو لم تكن كافية، فأنا بحوزتي المزيد، وأنا لم أبدأ بعد بالغزل الذي أجيده، والذي قادر به على تضليل وخداع أي امرأة. نعم، في جعبتي الكثير الذي سيجعلها متيقِّنة من صدق ما ادعيته.

مما جاء في رسالتها أيضًا، تكرارها للسؤال الذي طالبتني بالإجابة عنه في مكالمتنا الأولى، أي سؤالها عن سر تأخري في التقدُّم لطلب يدها. أجبتها يا صديقي في رسالتي بعرض العديد من الأسباب التي اختلقتها، منها أنني كنت في فترة تواجدها في مدينتنا قبل سنوات، بصدد البدء بتشكيل مشروعي الفكري والأدبي، وبالتالي صعوبة البدايات حالت دون إقدامي على خطبتها، وأيضًا أشرتُ لصعوبة ظروفي المادية كسبب في ذلك، وأشرتُ إلى رغبتي بتطوير نفسي لأكون خير شريك لها كسبب لذلك أيضًا، وأشرتُ لنشاطي في اتحادنا العالمي وانشغالي في صياغة برنامجه كسبب في ذلك، وأشرتُ لكوني أحسستُ بأنها تستحق من هو أفضل مني كسبب لذلك أيضًا، وأشرتُ لجبني وترددي وحيائي الشديد كسبب أيضًا، وأشرتُ لعزلتي الطويلة وأثرها

عليَّ كسبب أيضًا، وأشرتُ لنشاطي الفلسفي الذي أثَّر على نشاطي العاطفي كسبب، وأشرتُ لانهماكي في العمل على أبحاثي كسبب، وأشرتُ لخوفي عليها من الوقت الذي أمضيه بين الكتب، وخوفي من تجاهلها وإهمالها كسبب.

نعم يا صديقي، وسردتُ غير ذلك من الأسباب، ولهذا لعلك تعتقد بأنني أكثرت، ولكنك غير مصيب في اعتقادك. نعم، هي بحاجة للكثير من الأسباب، لأنه قد لا يحسن لها تفهم الكثير من أسبابي، ولكون الجشعين يهتمون بالكثرة لا بالنوعية، ولكون الفارغين يعجزون عن تفهُّم أسباب المنهمكين أصحاب الاهتمامات. نعم، أرجِّح أنها فارغة، لا اهتمامات لديها، فسؤالها يوحي بذلك، انشغالها بقضية كالزواج ومعاناتها من هذا الانشغل يوحي بذلك. نعم، كنتُ بحاجة لإغراقها بالمبررات لدفعها لتصديق ادعاءاتي، ومعذرتي وتفهُّم موقفي.

ومما جاء في رسالتها، سؤالها لي عن سر تقدُّمي إليها في هذه الفترة بالتحديد، متسائلة عن سر عدم تقدُّمي إليها قبل نحو سنتين عندما كانت متواجدة في مدينتنا، أي في ذلك الوقت الذي صارحتني أنها استقرت فيه في مدينتنا بهدف الزواج.

بسؤالها هذا يا صديقي تأكدتُ أيضًا أنها فاقدة للثقة بنفسها، وكبريائها مجروح، لعدم تقدُّم أحد لطلب يدها طوال فترة تواجدها في مدينتنا. هل شكَّت بصدق مرآتها، هل شكَّت بمعايير الجمال التي تحوزها، هل شكت في صحة حكمها على نفسها؟ ها أنا أتوصَّل بهذه التحليلات لاحتمال لم أفكر به من قبل.

نعم، لربما فقدانها ثقتها بنفسها، دفعها للاقتناع بمعايير الجمال الشائعة في زماننا، فكانت ضحية لعمليات تجميل كانت نتائجها سلبية، ولهذا السبب لم تُقْدِم على إرسال صورة لها لي. ولربما سبب تأخير قرارها بالنزول لمدينتنا سببه الأمل بالتعافي خلال هذه المدة من أثر فشل هذه العمليات.

ولربما أيضًا فقدانها الثقة بنفسها ولَّد لديها غضب ورغبة بالانتقام دفعاها لفعل غير أخلاقي أو غير ديني، تسبب لها بأزمة نفسية، ولهذا لربما هي تعمل على التعافي في هذه الفترة.

بدأ رأسي يزدحم باستنتاجات واحتمالات كثيرة، آخذة بإزعاجي. نعم، مؤلم الاطلاع على معاناة الآخر من هذه الاهتمامات الساذجة والمعايير البشعة. لا بأس مع الوقت سأعتاد، فدعني أكمل لك ما جرى بيني وبينها.

من الأسباب التي اختلقتها للإجابة بها على سؤالها، كوني لم أعد أحتمل كتمان حبي، وكوني لم أعد أستطيع تحمُّل بعدها، وكوني لم أعد أستطيع تحمُّل الخسارة التي أتكبدها بجبني، وكوني في وقت تواجدها لم أكن بعد متهيئ للتقدُّم إليها.

ولكنني يا صديقي تداركتُ أنَّ في سؤالها ذاك أيضًا تلميح خطير، ولهذا أخذتُ بإنكار وجود أي علاقة لي مع إحداهن طوال حياتي، وبالتأكيد لها أنها كانت على الدوام هي الوحيدة المالكة لقلبي، ذاهبًا للقول بأنني أقبل اتهامها لي بالجبن ولكن لا أقبل تشكيكها بحبي لها وإعجابي بها، مؤكدًا لها أنه لم يسبق لي أن نظرتُ لغيرها نظرة حب، وبأنَّ قلبي لا يتسع لغيرها، مضيفًا أنني حتى في الوسط الثقافي كنت على الدوام أحاول الابتعاد عن الأجواء المختلطة، وأنني في تلك التي لا أستطيع تفاديها أضع الحدود والمسافات بيني وبين النساء فيها ببراعة.

نعم يا صديقي، تلميحها بأنَّ تأخُّري بالتقدُّم إليها سببه ارتباطي عاطفيًا بغيرها، هو تلميح خطير جدًا ويهدد نجاح خطتي، ولهذا اضطررتُ للتعامل معه بسرعة وبحزم.

ما أكد لي أنها تُلمِّح لذلك، ذهابها بعد بضع أسطر من سؤالها ذاك، لمنحي الحق بالإعجاب وبحب غيرها في تلك الفترة. نعم، لقد كشفتْ فخها، ولهذا نفيتُ اتهامها نفيًا قاطعًا، وأكدتُ بكل ما أتيح لي على عدم وجود صلة أو علاقة أو رابطة لي بإحداهن.

هل هذا الفخ يا صديقي لإسقاطي، أم لتبرير سقوطها بسقوطي؟ نعم، لربما ادعاؤها بأنَّ هذا من حقي، ليس الهدف منه اصطيادي، وإنما تبرير إعجابها وحبها لأحدهم، ورغبة بمصارحتي بذلك. نعم، لربما تسرُّعي وحزمي في إنكار ارتباطي بإحداهن، وعدم تهربي من تلميحها بذكاء وخفة، سيدفعها للتردد في مصارحتي، ولهذا أعتقد بأنني تسرعتُ وأخطأتُ في رسالتي في هذه النقطة. ومع ذلك، أعتقد أنَّ جرأتها واندفاعها وحماسها وعشوائيتها سيتسببون بسعيها لإشباع رغبتها بالإفصاح عما تخفيه. نعم، مجرَّد التلميح في أول رسائلها لي، يعني أنها ستكون عاجزة عن مقاومة رغبتها بالبوح.

في قادم الرسائل ستتداعى أمامي وتُعلِمني بكل شيء. لن أضغط عليها، سأتظاهر بأنني غير مكترث، غير مبالي، لكي أُسهِّل عليها البوح.

هذا معظم ما جاء في رسالتها، وما وُرِدَ في رسالتي التي ختمتها بالاعتذار لتأخري في التقدُّم إليها. نعم، لقد كنتُ بحاجة للاستسلام أمام اعتقادها بأنني مخطئ، لكي لا أطيل القضية وأضطر لفتح باب للجدل الذي قد يأخذ إغلاقه أيامًا، وأيضًا لكي أوحي لها أنني الخاسر وبأنني نادم وراغب بالتعويض والتكفير عن ذنبي.

نعم، محاولة التبيان لها أنَّ سن زواج الطموحين أصحاب المشاريع الكبيرة متأخر نظرًا لانشغالهم في الصمود أمام صعوبة البدايات، بخلاف أولئك البسطاء الفارغين، كانت حتمًا ستفتح باب للجدل سيصعُب غلقه. نعم، كونها متواجدة في محيط فقير ثقافيًا وعلميًا ووظيفيًا، ومنعدم الطموح والرغبة بالسعي وبذل الجهود، وبالتالي سن الزواج فيه مبكر، جعلها تعتقد أنها متخلِّفة عن غيرها، وأنني متأخر. إنَّ تبيان ذلك لها، كان سيدفعها للدفاع عن إخوتها وأخواتها الذين تزوجوا في سن مبكرة، وكان سيدفعها للدفاع عن ثقافة عائلتها التي ترى ضرورة لتزويج أبنائها مبكرًا.

لا يا صديقي، لا تعتقد أنني أصف تلك الثقافة بالرجعية، فأنا أفضِّل تفادي الحكم لتفادي الظلم. كل ما أقوله، أنها ستظلم ذلك الذي سيتقدَّم للزواج بها في حال حكمت عليه بثقافة عائلتها. نعم، أنا لست متضرر من حكمها هذا، لأنني قريبًا سأنسحب للعودة إلى عزلتي التي هي جنتي.

ختامًا، لعلَّك تتساءل عما أبقيتُه للمستقبل من ادعاءات، بعد كل هذا الذي قدَّمتُه؟ هذا متوقع منك يا صديقي، ولهذا دعني أرد عليك. أعلم يا صديقي أنَّ هذه الادعاءات التي قدَّمتها كبيرة، ولربما غير مناسبة وملائمة للبدايات، ولكن في حالتي هي كذلك. نعم، أنا مضطر لها، أولًا لارتباطي بجدول زمني، وثانيًا لدفعها لتصديق أنني واقع في حبها بسرعة، وثالثًا لضمان استعادتها لثقتها في نفسها وتطبيب كبريائها المجروح.

بدأتُ يا صديقي أشعر بألم الابتعاد عن كتبي، بدأتُ أشعر بحرائق الشوق لها، بدأتُ أعاني، فادعُ لي يا صديقي بالتوفيق، وحاول تزويدي بأي نصائح قد تساعدني في تخفيف عذابي هذا.

لا أريد أن أطيل عليك، أرجوك لا تتردد بالكتابة إلي في حال رأيت بعض الهفوات في خطتي، وخطرت في بالك بعض الاقتراحات.

صديقك على الدوام

ت.ه

5 أيار (مايو)

صديقي العزيز ج.ل

اليوم يا صديقي تلقيتُ رسالة من والدتها تطلب مني عدم إعلام ابنتها بأنها هي وزوجها من بادرا بحثي على التقدُّم لطلبها. أتلاحظ، تأخُّر هذا الطلب له تفسير وحيد.

نعم يا صديقي، ها قد بدأتْ أولى محاولات استغلالي، فتصديقهم بأنني واقع في حبها، دفعهم للطمع بتصويرها على أنها لم تكن مشاركة في فعلهما، وبأنها ليست على علم به.

لا أستبعد يا صديقي إنْ كانت واقعة في حبي حقًّا، أنْ تذهب لإنكار ذلك ليتاح لها السيطرة والمهيمنة على قراراتي. ألم أخبرك من قبل أنهم جشعون. نعم، جشعهم ومكرهم والسذاجة التي أتظاهر بها أمامهم، جميعها عوامل ستدفعهم للكشف لي عن جميع أهدافهم، ستدفعهم للوقوع في فخي. نعم يا صديقي، سأتعرَّف على جميع فخاخهم التي نصبوها لي مع الوقت، انتظر لترى. رددتُ عليهم أنني أتفهَّم موقفهم، وطمأنتهم بالتأكيد على أنني كنت أنوي فعل ما طلبوه قبل طلبه.

أما فيما يخص رسالتها التي وصلتني اليوم، فلقد افتتحتُها بالتعجب من كل ذلك الحب الذي ادعيتُ أنني أكنه لها، بالرغم من عدم معرفتي لها حق المعرفة، وبالرغم من عدم رؤيتي لها إلا في مرات معدودة للحظات، فأخذتْ تشكرني، وبهذا أدركتُ أنها التقطتْ الطعم. ثم انتقلتُ للتعجب من قدرتي على إخفاء كل هذا الحب، ولسؤالي عما إذا كنتُ أتذكَّر تلك اللحظات التي رأيتها فيها. فافتتحتُ رسالتي متغزلًا، وذلك بتعجبي من تعجبها من حبي لها، وذلك لمساعدتها في استعادة ثقتها بنفسها، ثم دفعها للكبر والغرور، ثم إلى الطمع، وأخيرًا إلى استغلالي.

فقدانها الثقة بنفسها، وإحساسها أن كرامتها مجروحة ومسلوبة سيُصعبان عليها استغلالي، ولهذا أنا بحاجة لتطبيبها لإظهارها على حقيقتها واكتشاف معدنها. انتظر يا صديقي، لترى النتائج.

ثم واصلت التغزل بها، مؤكدًا لها أنني لم أكن بحاجة إلا لنظرة بل للمحة للوقوع بحبها، ثم أخذتُ أعبر لها عن عظيم كرم الله معي بإتاحته الفرصة لي لرؤيتها أكثر من مرة، ثم أخذتُ أعدد لها المناسبات التي رأيتها فيها. هذه يا صديقي كانت مجازفة خطيرة، فأنا في الحقيقة لا أذكر أنني رأيتها في آخر سنوات إلا مرة أو مرتين للحظات، أما تلك المناسبات التي أشرتُ إلى أنني رأيتها فيها، ففي الحقيقة أن لم أرها فيها، ولم أذكر تلك المناسبات لها إلا لخداعها معولًا على خيالها. نعم، أنا خائف من أن أكون ذكرتُ مناسبة لم تحضرها، ومع ذلك فلديَّ حجة مقنعة في حال كنتُ مخطئًا واكتشفتْ ذلك. نعم، سأتحجج بأنني لم أحضر تلك المناسبات إلا لاعتقادي وأملي بأن أراها هناك، وبأن خيالي كان يصوّر لي حضورها لكي لا يحبطني. نعم، أنا أجيد الغزل، ولهذا أجيد التهرُّب من زلاتي.

تعجُّبها يا صديقي من قدرتي على إخفاء الحب الذي ادعيتُ أنني أكنه لها في محله، ولهذا كنتُ مطالب بتفسير قدرتي على الإخفاء بانهماكي بمشروعي الفكري والأدبي الذي يتطلب مني المطالعة لمدة تزيد عن عشرين ساعة في اليوم.

أعترف، لربما هنا أخطأت. فاطلاعها على مدة عملي اليومي قد يوحي بأنني كاذب، فساعات العمل الطويلة هذه لا تساعد في إخفاء الحب، بل تساعد في تحجُّر القلب، ولهذا أنا عاجز عن الحب.

أرجو ألا تكون ذكية كفاية لملاحظة زلتي. لا، لربما تخوفي لا داعي له، فكيف لمثلها أن تدرك ما تفعله ساعات العمل الطويلة بالقلوب، كيف لمثل امرأة مثلها لا اهتمامات وعمل لديها، أن تدرك فعل وصنيع الطموح الكبير في شخصيات حائزيه؟!

لعلك تتساءل مدافعًا عنها: كيف عرفتَ أنها كذلك؟ لم أعرف يا صديقي بعد، ولكنني أرجح أنها كذلك، فسمعة أفراد عائلتها توحي بذلك. ماذا تتوقع من أسرة تعيش على نفقة الدولة، ماذا تتوقع من أسرة يقضي أفرادها وقتهم بلعب الورق وتكرار مشاهدة الأفلام؟! نعم، يا صديقي، حتى الصناعة السينمائية عاجزة بكل عرضها عن تلبية طلبهم. صدقني، أنا لستُ غاضب، وإنما حزين على كل هذا الوقت المُهدر. نعم يا صديقي، تؤلمني سلبية

وانهزامية من أعرفهم ومن لا أعرفهم، فالإنسان يستحق منا جميعًا العمل في سبيله. يومنا يا صديقي نحن البشر قصير جدًا، ولهذا هدر ساعاته ودقائقه وثوانيه، يوحي باللامسؤولية والتهور واللامبالاة بمصير الإنسان. لعلَّك تذهب للاعتقاد بأنني أقسو على هذه العائلة بدون الالتفات لحقيقة أنَّ مشكلتهم هي مشكلة الغالبية. لربما معك حق، ولكن لربما لأنني هدفهم ولأنهم هدفي، أقسو عليهم ويقسون عليَّ.

مما جاء في رسالتها أيضًا، تساؤلها عن سر عدم إيحائي لها بحبي، مؤكدة أنها لو كانت تعرف، لأقدمتْ هي على الخطوة الأولى. ثم أخذتْ بالتساؤل عن سر عدم استعانتي بشقيقاتي لإعلامها بحبي لها، ثم انتقلتْ لوصفي بالقاسي لعدم السماح لغيرها بالدخول إلى قلبي محاولة بذلك التعقيب على ما ذكرتُه في رسالتي لها. رددتُ على تساؤلها الأول بالقول بأن جبني وحيائي منعاني، وبالتأكيد على أنني بالرغم من عدم احترامي للعادات والتقاليد الرجعية في مجتمعنا إلا أنني أحترم من يحترمونها ويتمسكون بها، مبينًا لها أنَّ تلميحي لن يروق لأفراد عائلتها وعائلتي وللمجتمع ككل، مبينًا لها أنَّ العلاقة العاطفية خارج إطار الزواج والخطبة مكروهة وغير مستحسنة في مجتمعنا.

لضمان عدم اتخاذها موقف سلبي من الدين، أكدتُ لها أنَّ المانع في مجتمعنا ليس ديني، وإنما ثقافي أي نتيجة عادات وتقاليد وعرف وأصول، مبينًا لها أنَّ الدين لا يُحرّم العلاقات العاطفية لكون لا قدرة ولا سلطان لأي فرد على قلبه، ولكون الدين يحث في مثل هذه العلاقات على القول المعروف. نعم يا صديقي، أعرافنا وتقاليدنا الرجعيَّة ظلمتْ وشوَّهتْ أديانا، وذلك بالانتساب إليها في كثير من الأحيان.

نعم، أنا لستُ متدين، ولكنني أحب إنصاف الأديان، وخصوصًا في زماننا هذا الآخذ بكل ما توفرت له من وسائل بتشويهها. يا صديقي، عالمنا هذا بحاجة للأديان ليتاح له الموازنة بين روحانيته وماديته. لا أمان على البشرية في عالم موغل في المادية، ولهذا لا بد من إنصاف الأديان. نعم، لا بد للقدس أن تعود لنثر عبيرها في هذا العالم، وإلا فلا سلام ولا أمان فيه. نعم، من هناك، ينبغي أن نتسوَّل السلام لا أن نتقاتل، أن نتعبَّد لا أن نتباغض.

أخذتُ بعد التبرير والتوضيح، بشكرها على تفضيلها إيحائي الذي لم أقم به على إخفائي وصمتي وكبتي، ثم بشكرها على تعبيرها عن استعدادها للقيام بالخطوة الأولى لو كانت علمتْ بحبي.

أرأيت يا صديقي، ها هي تدَّعي أنها لم تُقدِم على الخطوة الأولى، وبأنها لم تكن مشاركة لوالديها عند إقدامهم عليها. نعم يا صديقي، ما ادعيته من حب، وما قدَّمته من ادعاءات كبيرة من البداية، جعلها عاجزة عن مقاومة إغراء عوائد استغلالي، وهذا يدعوني للاطمئنان، فلقد ابتلعت طعمي.

أما بخصوص تساؤلها عن سر عدم استعانتي بشقيقاتي لإعلامها بحبي، فلقد ذهبتُ للتحجج بانشغالي وانشغالهن، وللتحجج بأنني لا أتحدث مع أحد بشؤون قلبي، لكون هذه المواضيع لا تثار في بيتنا، وللتحجج بأنهن صارمات بعض الشيء في هذه الأمور، وأما فيما يخص وصفها لي بالقاسي لإغلاق قلبي في وجه غيرها، فرددتُ عليه مغازلًا بالقول بأنني كنتُ رحيمًا بنفسي بفعل ذلك، وكنتُ رحيمًا بحبها والإعجاب بها، ثم أخذتُ في مواصلة مساعدتها على التعافي، بالتأكيد مجددًا لها أنَّ تأخري لم يكن لعلاقة أو لإعجاب بغيرها، وإنما نتيجة جبن وحياء وانشغال.

عقَّبتْ في رسالتها على بعض مما ورد في رسالتي من غزل بالتعجب من حبي، ومن قدرتي على جذبها بكلماتي وبغزلي وإقناعها بحججي، مُعربة في كثير من المواضع عن تعجبها من قدر حبي لها، وتعجبها من قدرتي على الإخفاء، ومن قدرتي على تحمُّل البعد طوال هذا المدة. يا لها من ساذجة، أتعتقد حقًا أنَّ في الحب قرب.

نعم، هي محدودة الثقافة والخبرة، فلو كانت خلاف ذلك لعرفتْ من قصص الحب أنّ لا مُحب إلا ولديه القدرة على تحمُّل البعد، وأنَّ لا حب يُجِل قربًا، وأنَّ لا راحة مع الحب وإنما معاناة وبؤس. نعم يا صديقي، لا أحادثك عن الحب من باب الخبرة، وإنما من باب الاطلاع، ولهذا لا تنهرني وتطالبني بالكف عن التحدُّث عما لم أخبَره، فالمطالعة باب للمعرفة كما هي الخبرة. نعم، بالمطالعة بتُّ أعي الحب بالعقل لا بالقلب.

في ختام رسالتها، تفاجأتُ بها يا صديقي تعاتبني وتلومني على عدم التقدُّم إليها أثناء تواجدها في مدينتنا قبل نحو سنتين. نعم، هذا صادم يا صديقي، فعودتها للإعراب عن حزنها لعدم تقدُّمي إليها في تلك الفترة، له أسباب لا أعتقد أنها تافهة وبسيطة. نعم، عتابها ولومها لي على ذلك، يوحي بأنَّ ضرر كبير وقع عليها في تلك الفترة أو كانت تلك الفترة سببًا في وقوعه عليها فيما بعد، ويوحي في أحيان بأنها أقدَمت على القيام بأفعال خطيرة فظيعة نتيجة غضبها ورغبتها بالانتقام، وهي الآن بتقدُّمي إليها ترى بأنها تعجَّلت وقامت بأشياء خاطئة ما كان ينبغي عليها القيام بها. نعم، لربما هي غاضبة من تسرُّعها في القيام بتلك الأفعال المحظورة قانونيًا أو دينيًا أو عرفيًا نتيجة

يأسها، تَرى بتقدُّمي لطلب يدها أنها تعجَّلت وما كان ينبغي عليها فقدان الأمل، وبأنه كان عليها الصبر والانتظار والصمود أمام تلك الظروف والمشاعر السلبية. هل هي تعتقد أنني مشارك فيما حدث لها، هل تعتقد أنني مذنب، هل تعتقد بأنني المسؤول بتأخري؟ نعم، غضبها مني يوحي بذلك. هل هي غاضبة من الجميع أم مني فقط، هل هي حاقدة على الجميع أم علي فقط؟ قادم الأيام سيكشف عن هذا، وسيكشف عن بعض الأسرار.

أخذتُ يا صديقي في رسالتي بالاعتذار، وبتقديم الوعود بالتعويض، والتعهد بمراعاة جميع أخطائها وتحمُّل جميع عيوبها، وبالاستمرار بحبها وطلبها، وبالإعراب لها عن أنني أتألم لألمها، وبالتأكيد أنَّ القادم أجمل.

هل لاحظت ذلك؟ كلما راسلتها وراسلتني تراكمت الاحتمالات والفرضيات، وهذا جيد، فكونها غير نزيهة ولا صداقة معي، وكونها ليست صريحة، يجعلني لا أشعر بأنني أظلمها بخطتي، يجعلني أشعر أنَّ خطتي ما هي إلا دفاع في ظل هجوم وحشي. نعم، هذا يجعل ضميري مرتاحًا قليلًا. نعم، قليلًا، فأنا بعد ما زلت أشعر بأنني مخطئ، ولربما ذلك لبغضي للكذب والمكر والخديعة حتى في وضعية الدفاع. نعم، مهما كانت نواياهم خبيثة، وتهدف لإيقاع أكبر ضرر بي، إلا أنَّ مجابهتها بالمكر والكذب مؤلم لي، ومؤذي لنفسيتي، يجعلني أشعر بأنني أفعل فعل مخالف لطبيعتي، فعل غير أخلاقي. نعم، هذا الشعور يا صديقي سيبقى يعذبني حتى بعد نجاح خطتي، وحتى في حال حققتُ انتصار جلب إليَّ أكبر غنيمة.

كثرة الاستنتاجات التي توصَّلتُ إليها ناجمة عن كثرة المعطيات التي وردتْ في ظرف هذين اليومين، وهذه لربما سببها الصدمة التي تعرضتْ لها من ادعاءاتي الكبيرة، ولهذا أعتقد أنَّ أثر الصدمة سيستمر بعض الوقت، وادعاءاتي ستبقى فعَّالة لمدة طويلة، وهذا باعتقادي سيدفعها للبوح بأسرارها، وسيدفعها في حال كانت شديدة التكتُّم إلى التلميح، أو على الأقل إلى البوح بشكل غير مباشر وبدون قصد.

سأتظاهر لها بأنني ذو شخصية ودودة، متسامحة، عطوفة، صابرة، متفهّمة، وديعة، قادرة على تحمُّل الأخطاء، قادرة على التطبيب، قادرة على تحمُّل التقلبات المزاجية والعاطفية للمرأة، قادرة على التغاضي، لدفعها للبوح، لدفعها للتداعي، والأهم لدفعها لاستغلالي. هذه الشخصية يا صديقي قد تدفعها للانسحاب لأنها قد توحي لها أنني كثير عليها وبأنني لا أستحق تحمُّل تقلباتها المزاجية والعاطفية وبأنني لا أستحق التعايش مع ماضيها. سأظهر

لها بدون عيوب ونواقص، لكي تستكثرني على نفسها وتنسحب، أو على الأقل -وهذا ما أرجّح أنها ستفعله- أن تندفع لاستغلالي وللتلاعب بي.

هذا ما وردني اليوم، إذا كان لديك أي مقترحات من هذه المعلومات التي استجدَّت، فلا تتردد يا صديقي بتزويدي بها، فأنا بحاجة لأن تكون خطتي كاملة ومثالية، نعم لن أكتفي بأن تكون فقط ناجحة.

المخلص لك

ت.ه

8 أيار (مايو)

صديقي العزيز ج.ل

ألم أقل لك أنها ستبوح على الأقل ببعض أسرارها، ألم أقل لك أنها ستتداعى ولن تحتمل الإخفاء أمام تلك الشخصية التي أبديتُها لها. ها هي ظنوني وتوقعاتي تصُح يا صديقي.

نعم، لقد نجحتُ في توليد طاقة شعورية لديها، ساهمتْ بتفجير طاقتها في التعبير التي كانت تُعيقها التهديدات والخوف وحجم الأخطاء ونظرة الآخر الناهرة والناهية والمُحقرّة. نعم، نجحتُ في فتحها، وبذلك ساعدتها على فتح خزانة أسرارها تلك التي دفعها محيطها إلى غلقها في وجهي. لم أكن لفَتْحِها بحاجة إلى مطرقة، وإنما إلى اللطف والسذاجة، نعم العنف لم يكن سيجدي، ولهذا كان قراري باختيار اللين صائبًا. ومع ذلك يا صديقي، أتوقع أنني سأكون بحاجة للعنف والقسوة في قادم الأيام، في مرحلة ما أرجَّح أن تكون قريبة، ولهذا سأُبقي عليه كخيار.

المرحلة الأولى من خطتي اكتملتْ، وخطواتها تمت على أكمل وجه، ولهذا بدأتُ اليوم في أولى خطوات المرحلة الثانية، ومع ذلك سأحافظ على ما بنيته في المرحلة الأولى، وسأسعى لترميمه على الدوام وتزينه وتطويره في حال تطلَّبتْ الظروف ذلك، أو وجدتُ وقت لذلك.

وصلتني رسالة منها قصيرة على غير العادة، افتتحتها بالاعتراف بأنني كنتُ حبها الأول، أي حب طفولتها ومرحلة مراهقتها. هذا يا صديقي اعتراف له ما بعده، انتظر لترى.

نعم، هذا الاعتراف ما هو سوى محض محاولة للتمهيد لاعترافات كبيرة. هي احتاجتْ لإشعاري بالنصر لكي يتاح لها النزول على رأسي بالمطرقة، هي احتاجتْ لمنحي خبر مفرح، لكي يتاح لها تقديم الخبر المحزن.

يا إلهي كم أتمنى أن تكون ظنوني صائبة، فهذا سيتيح لي التلاعب بها سيكولوجيًا وعاطفيًا بما سيتيح لخطواتي نتائج أجمل وأسرع. الآن أنا بحاجة للهدوء، وللتعامل بروية مع الأحداث والمعطيات، فالحماس والغرور والفرح بكل هذه الاستنتاجات والمعطيات سيدفعني للتهاون والتراخي، وبالتالي للزلل وعدم استغلال كل هذه الهدايا، والنتيجة نتائج غير مثالية.

نظرًا لاعترافها، كنتُ مُضَّطر في رسالتي للادِّعاء بأنها كانت وما زالت حبي الأول والأخير. نعم، تأكيدي لها على أنه لن يشاركها أحد في قلبي، وأنها ستبقى حبي ومطلبي للأبد، سيُسهِّل عليها تقديم الاعترافات التي تتخوف من تقديمها. نعم، تصويري لها بأنها ستبقى في قلبي مهما أخطأتْ، ومهما فعلتْ، يدفعها لمصارحتي وعدم الخوف من أن تكون الصراحة دافع للانسحاب والتردد.

نظرًا لاعترافها أيضًا، ذهبتُ للادِّعاء بأنها في عزلتي كانت مصدر إلهامي وصبري وسعيي وعنادي على أن أكون إنسان أفضل. هذا ندمتُ عليه لاحقًا يا صديقي، فالإنسان لا ينبغي لأحد اتخاذه ذريعة ووسيلة في خططه وخطواته. نعم، لقد كانت هذه وقاحة مني، لا أعتقد أنني سأغفرها لنفسي قريبًا.

وأيضًا نظرًا لاعترافها، أخذتُ بالادعاء بأنني كنتُ على الدوام أسترق النظر إليها في المناسبات، متسائلًا عن سر عدم انتباهها لنظراتي التي كانت توحي بشيء، وتلمِّح إليه.

ثم أخذتُ بالادعاء بأنه لو كان لديَّ علم بحبها، لتجرأتُ على الإفصاح لها عما يختلج في نفسي تجاهها، ولتمردتُ على جبني وحيائي، معربًا لها أنَّ جهلي بإعجابها وحبها، جعلني أخاف من أن تكون خطوتي الأولى فيها شيء من الوقاحة وقلة الذوق وقلة الاحترام للمجتمع ولعاداته وتقاليده.

ثم أخذتُ يا صديقي بالتوضيح لها بأنَّ التفكير في الأشخاص الذين نحبهم يتيح لنا ولهم التلاقي في الأحلام، أو في تلك الفترات التي تتاح للعقل بعد إجهاد وإرهاق، أو في تلك اللحظات التي تتاح للروح عند التأمل، ثم أخذتُ أسألها عما إذا كانت التقتْ بي في حلم أو خيال أو طيف ما، مدعيًا لها بأنني سبق وأن التقيتُ بها في أحلامي، ومرات في استراحات عقلي، ومرات أكثر في تأملاتي، مدعيًا بأنَّ جميع تلك اللقاءات كانت تعوّض الخسارة التي كنتُ أتلقَّها من سقاطات الكتابة، وبأنها كانت تداوي حروق الشوق إليها.

أخذتُ بعد ذلك بإعلامها أنني أخاف من الحب، معللًا ذلك بأنني لا أستطيع الحب باعتدال، بأنني على الدوام أحب بإيغال. نعم، كنتُ بحاجة لهذا الادعاء بجانب ادعاءاتي السابقة، لدفعها للاطمئنان من ناحيتي، وبالتالي دفعها للبوح بما تخفيه. أنا على يقين أنها ستتداعى، انتظر وسترى.

حروق شوقي يا صديقي للعودة إلى استكمال العمل على مشروعي الفكري والأدبي، آخذة بالانتشار في كل جسدي، وآلامها آخذة حدَّتها بالتزايد، ولهذا سأحاول إنهاء الأمر بأسرع ما يمكن وتسريع خطتي، خوفًا من فقدان القدرة على الاحتمال فجأة، وهذا إن حصل سيكون كارثة، وسيبعثر كل جهودي، وسيجعل كل تضحياتي بلا جدوى.

كالعادة يا صديقي، أختم رسالتي بحثك على تزويدي بأي مقترحات لديك لخطتي. اعذرني، لن أتوقف عن طلب ذلك منك حتى تنتهي هذه الفترة العصيبة، فاحتملني أرجوك وتفهَّم موقفي.

أترى كيف أتفهَّم احترامك لشقيقي ولعلاقتكم الزوجية بعدم حثك على التجسس عليها، والاستعلام منها عما يُحدثونها عني، ولهذا أرجو أن تكون زوجتك هي أيضًا محترمة لعلاقة الصداقة التي تجمعنا وذلك بعدم المطالبة باطلاعها على ما أحدِّثك به. إياك يا صديقي والاستسلام لإلحاحها، فأنا على يقين بأنها تُلح من خوفها وحرصها عليَّ، ومن إلحاح أمي عليها بالاستعلام منك عن أخباري. نعم، أنا على يقين أنك لا ولن تخون ثقتي، ولن تضحي بصداقتي من أجل تلبية طلب يذُم عن وقاحة. كن حازم يا صديقي، وانهرها عند طلب ذلك منك، وأعلِمها أنني لم أطالبك يومًا باطلاعي على أخبارها لكي تخجل وتتراجع عن طلبها.

ها أنا أنتبه يا صديقي أنني قصَّرت في القيام بإحدى مهام خطتي لانشغالي بتقديم الادعاءات الكبيرة. نعم، لقد قصَّرت في الادعاء أمام أفراد العائلة في الآونة الأخيرة أنني غارق في حبها، وهذا خطأ كبير قد يجعل خطتي غير

مثمرة حتى في حال نجحت. نعم،يا صديقي، مثل هذا الخطأ، إذا لم أتداركه، سيكون له تداعيات خطيرة، ولهذا سأبدأ من اليوم بالخروج من غرفتي والجلوس مع أفراد العائلة والتمثيل أمامهم أنني مبتهج ومسرور بهذه الخطوة التي سأدَّعي أنها تأخرت.

الواثق بك

ت.ه

13 أيار (مايو)

صديقي العزيز ج.ل

تبادلتُ بعض الرسائل معها مؤخرًا، ولهذا انشغلتُ عنك، فاعذرني. كنت مضطر خلال هذه الفترة لمساعدتها في البوح بما ترغب وتحتاج لقوله، ولهذا كنتُ بحاجة للاستعانة بقلمي الذي يجيد الغزل.

جميعنا يا صديقي يضعف أمام الغزل، جميعنا ننكشف على حقيقتنا أمامه، جميعنا نستدل به على تلك الأماكن التي خبأنا فيه مفاتيح صناديق أسرارنا، ولهذا استعنتُ به، لعلها تبوح بما تخفي، أو على الأقل تستغلني بما ستدَّعي أنه سرها، أو بما ستدَّعي أنها صريحة باطلاعي عليه. نعم، كثير من النساء يُحببن ادِّعاء الصراحة للإيحاء بأنهن قدَّمن الكثير، وذلك لمطالبة الرجال بتقدير ذلك، وكذلك يفعل الرجال أيضًا. نعم، ستندفع لادعاء الصراحة، وستسعى لاستغلالي، وهذا بالضبط ما سيكون هدفي في هذه المرحلة.

دعني أعرض عليك بإيجاز ما دار بيني وبينها في الرسائل التي تبادلناها في الفترة الماضية، بعد تلك الرسالة التي أغرقتها فيها بالغزل.

في البداية، سألتني عما إذا كان الغزل المتواجد في رسالتي نتاج قلمي أم نتاج أقلام الآخرين، فأجبتها متسائلًا: أيحتاج المُحب للتعبير عن حبه الاستعانة بأقلام الآخرين؟!، فاعتذرتْ مني في رسالتها التالية على غفلتها، وأخذتْ تُعرب لي عن تعجبها واندهاشها من قوة كتابتي وجمال أسلوبي وعذوبة كلماتي وروعة تصويري لها، ثم أخذتْ تتساءل عن كيفية مجاراتها لقلمي، فذهبتُ للادِّعاء أنَّ جمال صورتها في مخيلتي وقلبي هو الذي يتطلب

مني مجاراتها، مدعيًا أنَّ صورتها في خيالي وقلبي وعقلي تعبّر أفضل من أي قلم، مدعيًا أنها أعظم إلهام لي، ومتسائلًا بتعجب عن كيف سيكون لقمي وجود بدونها؟!

ثم أخذتُ أدَّعي أنَّ الحب الذي أكنه لها والذي لم تكن لي جرأة للإفصاح عنه، هو من دفعني للتعبير بالكتابة، وبالتالي هو من خلق قلمي الذي حظي بإعجابها، موضحًا لها أنّ الكتابة كانت تواسيني، ومبينًا لها كيف أنها كانت سبيل نجاتي من عذابات البُعد.

ثم غاليتُ بالادِّعاء بالقول أنَّ قلمي الفلسفي خلقه حبي للإنسان الذي كانت صورته جميلة بانتمائها إليه، وأن قلمي الأدبي خلقته هي، متسائلًا عن كيف سيكون قادر على عبادة سواها. هنا يا صديقي أخطأتُ مجددًا وندمتُ على تكرار خطئي، وعاقبت نفسي على ذلك.

نعم يا صديقي، لعلنا لا نستطيع نحن البشر وضع الحدود لأنفسنا في الكذب في حال الاستعانة به، ولهذا لربما كانط محق فيما ذهب إليه. نعم، تلك الحالات التي نبرر فيها أفعالنا غير الأخلاقية والتي نسميها حالات الاستثناء، تفسدنا أكثر مما نعتقد. نعم، التبرير والاستثناء يُفسِداننا نحن البشر.

بعد ذلك يا صديقي أخذتْ تشكرني على كل ذلك الحب الذي غمرتها به، فرددتُ عليها قائلًا: لا ينبغي أنْ يُشكر المحب على حبه، ولكن يُشكر المحبوب على استحقاقه، وتعليمه لقلوبنا كيف نحب.

أخذتْ بعد ذلك يا صديقي تتعجب من كيف لشخص أن يشعر بالحب بكل هذه القوة، ثم أخذتْ تتساءل مرة أخرى عن سر حبي الكبير لها، وتتساءل عن سبب عدم بوحي لها بذلك من قبل، أو على الأقل عن سبب عدم تلميحي لها، فأخذتُ بالرد عليها بأسلوب مغاير جديد، اعتمدتُ فيه على الغزل، لضمان عدم عودتها لتكرار سؤالها المُشكِك ذاك. أجبتها بالتوضيح بأن القلوب التي تحب كثيرًا، تعجز عن الإفصاح عن حبها للمحبوب، مبينًا أنه ليس من طبع الحياة تمام الحظوظ، لأعود مجددًا وأتراجع عما اتهمتُ به الحياة، وللتوضيح أنَّ حظي من الحياة تم بتعرُّفي عليها وتقدُّمي لخطبتها، ثم أخذتُ بالقول: "نعم، لقد منحتني الحياة الكثير الكثير بكِ، فكيف الآن بمقدوري ادعاء الزهد، وأنتِ في حياتي؟! نعم، ليس بمقدور أحد ادعاء الزهد وأنتِ في حياته."، فتعجبتْ من غزلي، ومن شدة حبي لها، وأخذتْ ترجو أن تستطيع إغناء حياتي، فأجبتها بأنها أغنتها من لحظة وجودها في هذا العالم.

ذهبتُ يا صديقي بعد ذلك لمساعدتها في التداعي، بالتأكيد لها أننا جميعًا ندَّعي القوة والثبات والاتزان، ولكن في الحقيقة جميعنا ضعاف، مضطربين، بحاجة للآخر، وبالتأكيد لها بأن الحب مجرد إعلان للضعف الذي نداريه بادعاء القوة. ثم أخذتُ أدَّعي أنني بتُّ بلا حاجة للادِّعاء، وللتأكيد بأنني الآن بتُّ فقط أريد الإعلان عن ضعفي أمامها، أي الإعلان عن حبي، مضيفًا أنَّ ادعاء القوة لم يقدِّم لنا سوى الخسارة، فردتْ عليَّ بأنها سعيدة بإعلاني.

ثم ذهبتُ لأضمن تداعيها للتأكيد لها بأنني أتألم وأبكي وأكتئب في كثير من الأحيان، ولكن عندما تراودني صورتها أتماثل للشفاء وأبرء من كل مرض ألمَ بي، ثم أخذتُ بالتأكيد لها أنني لا أخجل من الاعتراف بأنني أبكي، موضحًا لها أننا جميعنا بحاجة للبكاء والحزن كحاجتنا للفرح والسعادة.

نعم يا صديقي، أنا أريد منها التداعي، أريد منها الانفجار في البكاء ليتاح لها التفريغ والتعافي في حال كانت تعاني نفسيًا. معاناتها يا صديقي إذا استمرتْ، ستقف عائق أمام استغلالها لي، وهذا سيُعرقل خطتي، وهذا ما أحاول تفاديه بكل ما لديَّ من قدرة.

سَأَلْتُنِي في رسالتها عما يبكيني، وهذا أربكني يا صديقي، لأنني هنا بحاجة لإظهار صورة تبرز ضعفي ورقتي وودعتي وبساطتي، لكي أدفعها للطمع، وبالتالي لاستغلالي، فأخذتُ أجيبها بأن ما يبكيني عجزي وقلة حيلتي في أحيان، وفي أحيان أخرى كرم الله معي وحبه لي ولطفه بي، وفي أحيان بُعدها عني، وفي أحيان صورة طفل في مخيمات اللجوء في أجواء حر مذيب، أو في أجواء برد قارص وجوع قاصف، وفي أحيان اقتتال البشر ولجوئهم للعنف للتعبير عن آرائهم والسعي وراء طموحاتهم، وفي أحيان حاجتي لعزلة الكتابة، وفي أحيان معاناة البشر، والكثير الكثير.

ثم أخذتُ أؤكد لها أنَّ البكاء يليق بنا نحن البشر الضعاف أكثر مما يليق بنا الضحك. هنا لربما أشرتُ إليها بلفظة "حبيبتي" في إحدى جملي، وكانت هذه الكلمة ثقيلة عليَّ جدًا، ولكنني كنتُ مضطرًا لها لدفعها للتداعي والبوح بكل ما تُسِره وتخفيه.

سألْتني يا صديقي في ختام إحدى رسائلها قائلة: أتحبني؟ كان هذا السؤال بعد كل ذاك الغزل الذي أغرقتها فيه، ولهذا فسَّرته على أنه طلب. نعم، لعلها أرادت مني بدء رسائلي إليها وختامها بكلمة "أحبكِ"، ولهذا كتبتُ

مغازلًا: "كلمة "أحبكِ" لا تعبر عما يختلج في نفسي من مشاعر وعواطف تجاهكِ، ومع ذلك سأقولها"، وختمت رسالتي بها.

نعم، بعدما بتُ أختم رسائلي بهذه الكلمة، أنا على يقين أنها ستبدأ قريبًا بالتداعي، انتظر وسترى.

جيد أنني تذكرتُ، فقبل أن أختم رسالتي إليك أود إعلامك أنها سألتني عما إذا كنتُ سبق وقرأت رسائل غسان لغادة، وكافكا لميلينا، وهذا أثار تساؤلات لدي.

هل تحب أن تكون كغادة وميلينا، هل تنوي المفاخرة أمام الناس برسائلي إليها، هل تحب المفاخرة بحبي لها أمام صديقاتها، هل تخطط لرفضي لكي يتاح لها أن تقول أمام الناس أنها رفضتني؟ يا إلهي كم أتمنى أن يكون هذا. هل تخطط لجعلي عاجز عن حب غيرها بعد رفضي، هل تخطط لامتلاكي، هل تخطط لجعلي ذو قلب متحجر، هل تخطط لدفعي لفقدان الأمل بأن أكون محبًا ذات يوم؟ هل تخطط لإدراجي في قائمة المتغزلين بها، والذين جوبهوا برفضها، هل تخطط للانتقام مني بسبب فترة لم يتقدَّم فيها أحد لخطبتها، هل تخطط للانتقام مني لأنني لم أتقدَّم إليها في تلك الفترة التي كانت فيها تنتظر، هل تخطط للانتقام مني لأنني كنتُ سبب بمعاناتها؟ هل تعتقد حقًا أنني سبب في معاناتها؟ نعم، لعلي كنتُ كذلك يا صديقي، ولهذا أنا مطالب بالاستمرار معها إلى حين تعويضها ومساعدتها في التعافي، أنا مطالب بتحمُّلها وعلاجها وضمان استعادتها لثقتها في نفسها، حتى لو كان ذلك على حساب الجدول الزمني لخطتي. نعم، هذا ما تلزمني به المسؤولية الأخلاقية.

أنا لا أستطيع يا صديقي أن أكون سبب في معاناة أحدهم، أنا لا أستطيع تقبُّل ذلك. نعم، هذا لا أستطيع تحمُّله أبدًا، ولهذا سأطببها مهما كلفني ذلك من احتراق لبعدي عن المطالعة.

ولكن انتظر، هل يُعقل أن تكون بالفعل أحبتني، واستمرتْ بالتلميح لي بدون أن أنتبه، فاعتقدتْ أنني أتجاهلها، فجرحها هذا واستحال حبها لي كرهًا وعداءً، وتولَّدتْ لديها رغبة بالانتقام. نعم، هذا وارد جدًا يا صديقي، فكيف لم أنتبه إليه من قبل؟! نعم، لعلَّ خطوة والديها باتجاهي، هي من خططتْ لها ودفعتهما للقيام بها، وهذا تسبب لها بجرح عميق في كبريائها، فرغبتْ بالانتقام مني، رغبتْ بتدميري.

إذا كانت هذه هي الحقيقة يا صديقي، فأنا لن أقاوم، سأتقبل كل ضرر تحاول إلحاقه بي بصدر رحب، وقلب سمح، ووجه بشوش، سأتظاهر بأنني متأذي أشد التأذي، ومتألم أشد الألم.

نعم، لن يغضبني غضبها، لن تجرح قلبي طعناتها، لن أتراجع عن تعويضها حتى لو كلفني ذلك الكثير. نعم، لعلّي يا صديقي أنا المسؤول عما هي فيه، لعلّي أنا المسؤول عن غضبها الجهنمي، لعلّي أنا المسؤول عن حقدها، عن معاناتها، عن كل ما مرت به. نعم، أنا أستحق غضبها وحقدها ورغبتها بالانتقام، ولهذا أنا ملزم يا صديقي بمداواتها وتطبيبها، أنا ملزم بتحمُّلها، أنا ملزم بالبقاء بقربها إلى حين تعافيها.

تعافيها سيتيح لي الانسحاب وأنا مرتاح الضمير، سيتيح لي الانسحاب وأنا غير شاعر بالذنب، وأنا متيقن أنَّ البعد بات أنسب لي ولها. نعم، سأصحح أخطائي بحقها وأكفِّر عنها، لكي أعود إلى عزلتي غير قلق عليها، وأنا غير شاعر بالذنب، وأنا غير مسؤول عن معاناة الآخر.

نعم يا صديقي، أنا أرق وأودع من أن أؤذي أحدًا ما، أو أن أكون سبب في معاناته. صدِّقني، الموت أهون عليَّ من أن أكون سبب في بؤس أحدهم. قلبي بالكاد يستطيع احتمال حزن الآخرين، بالكاد يحتمل معاناتهم، فكيف سيتاح له احتمال كوني سبب في ذاك الحزن وتلك المعاناة؟! نعم، سيبقى طُهره، وصفاؤه، ورقته محاسن ومزايا ولعلها عيوب لا سبيل له للخلاص منها.

أرأيت يا صديقي، الاحتمالات والفرضيات تزداد مع كل رسالة، وهذا يُصعِّب عليَّ الأمر، يدفعني لتقديم الحلول لكل الاحتمالات والفرضيات بدون إهمال حتى ولو احتمال أو فرضية. هذا يأخذ مني الكثير من الوقت والجهد، هذا يُرهقني، ولهذا أحتاج مساعدتك، فأرجوك لا تبخل عليَّ بها، زودني بكل ما تراه وترجّح أنه يخدم خطتي، أطلعني على رأيك بهذه الاحتمالات والفرضيات، أعلمني بما تراه الاحتمال والفرضية الأقرب للحقيقة والواقع.

المحتاج لك

ت.ه

17 أيار (مايو)

صديقي العزيز ج.ل

يبدو أنها يا صديقي مجروحة جرح عميق لن يسهل عليَّ تطبيبه، فها هي تعود لتفتتح رسالتها الأخيرة لي بتكرار التأكيد عليَّ بأنني تأخرت، وبعتابي ولومي على ذلك.

نعم يا صديقي، لا بد أنَّ ذلك تسبب بانحرافها عن مسارات كانت مؤمنة بها، لمسارات تمقتها أشد المقت، وتتعارض مع معتقداتها أشد التعارض، ولهذا هي حانقة عليَّ، وما زالت تعاتبني وتلومني وتحملني المسؤولية على ذلك، وعاجزة عن العفو.

أقسم أنني بدأتُ أشك في براءتي من تكرارها لعتابها ولومها. هل أنا مذنب حقًا؟ ولكن كيف أذنبت؟ هل أنا مذنب في حقها فقط أم في حق أخريات أيضًا؟ أنا في عزلتي منذ فترة طويلة، بالكاد أخرج، فكيف حدث وكنتُ مجرم بهذا الشكل؟ هل أنا مجرم بدون جريمة، هل أنا مجرم بجرائم غيري؟ لم أعد أفهم آلية وكيفية التجريم؟ أنا متيقن أنني لم أخالف أي قانون من تلك القوانين المُعلَنة، فهل كان هناك قوانين غير مُعلَنة خالفتها؟ كيف لي ألا أخالفها، وأنا لا علم لي بها؟ هل بات التجريم وسيلة للانتقام من أولئك الذين لم يرتكبوا الجرائم بعد، أم هو كذلك على الدوام؟ ما هي المخالفة التي كانت تريد مني الإقدام عليها لكي لا أُجرَّم؟ ولكن ألم أكن سأجرَّم سواء ارتكبتُ المخالفة أو لم أرتكبها؟ نعم، مع النساء لا مجال لتفادي التجريم. لربما جميعنا مجرمون في نظر النساء، ولهذا لا داعي لاحتجاجي واعتراضي وتذمري، ولطلبي إعادة النظر في الحكم. نعم، لربما قضايانا نحن الرجال مع النساء جميعها صادر الحكم النهائي فيها على الدوام بالإدانة. ولربما القضايا الخاصة بهن معنا نحن الرجال كذلك، من موقعي لا أعلم، لستُ متأكد. هل الظلم متبادل؟ لا أعلم، ومن ذاك الذي بمقدوره الادِّعاء أنه يعلم؟! نعم، لعلنا جميعًا نريد الانتقام من بعضنا البعض، نريد التمرُّد على نصيبنا من كسبنا، نريد التمرد على أدوارنا ووظائفنا، نريد الطمع بتلك الأدوار التي قد يكون أداؤنا فيها أكفأ، ولكن تداعيات لعبها وتأديتها أفتك، نعم لربما جميعنا نريد الدفاع عن عملية احتراقنا، ولهذا لربما جميعنا نخون أنفسنا، بدعاية محاربة القيد نوجد القيود، بحمْلة حماية الحرية ننفيها. نعم يا صديقي، بات عالمنا هذا مخيف، فمفهوم الحرية فيه بات له دلالات عديدة تتخفى بها دلالات نقيضه. غموض، والتباس، وتيه، وعدمية، وفراغ، وضياع، ولامسار،

وبهذا استحق زماننا توصيفه بالغابر. لعلّي استطردتُ في حديثي، فدعني أعود لأعرض لك مضمون رسالتها.

ها هي ظنوني تصُح يا صديقي، ها هي تُفجّر سر لربما يكون أحد أكبر أسرارها. فجأة يا صديقي، بعدما كانت تعاتبني وتلومني، وجدتها تخبرني بأنها كانت في علاقة عاطفية قبل تقدُّمي إليها بفترة وجيزة. وجدتُها تُعرب لي عن حزنها لكوني أكن لها كل ذلك الحب الذي أبديتُه لها، وتأسف لتأخري في الإفصاح الذي دفعها للميل لغيري، وللوقوع في حبه، ثم أخذتْ ترجو ألا تكون صراحتها أزعجتني وأحزنتني.

هل هذا ادعاء هدفه دفعي للتمسك بها من خلال الإيحاء بأنها مطلوبة ومرغوبة، أم هو حقيقة؟ نعم، لربما ادعائي بأنني واقع في حبها بدأ يأخذ مفعوله معها، لربما بدأتْ بالطمع بعوائد استغلالي، ولهذا أرادتْ نزع ثقتي بنفسي أيضًا لاستغلالي إلى أقصى حد ممكن. نعم، لربما تحاول تصوير وجود رجل في حياتها، لدفعي للغيرة، لدفعي للتمسك بها، لدفعي لتقديم التنازلات تلو التنازلات.

هل هناك وجود لأحد في حياتها حقًا، وهي ما زلت تطلبُه بنهم، ولذلك اختارت الاستعانة بي واستغلال قلمي، ليَسهُل عليها الوصول إليه؟ نعم، لربما أرادت من وجودي رسائل الغزل، ليتاح لها كتابتها لهُ بتوقيعها لمحاولة إصلاح علاقتها به، أو الحفاظ عليها نظرًا لوجود تهديد. نعم، لربما طمعتْ من وجودي في حياتها بقلمي فقط. يا إلهي كم سأكون سعيد بهذا لو كانت هذه هي الحقيقة حقًا. نعم، لا بأس من فعلها. أقسم لو كان الأمر كذلك على مساعدتها فيما تصبو إليه، وخدمتها أفضل خدمة، وبذل أقصى جهودي ليتاح لها ما تريد، وليتاح لي الفكاك منها بالأسلوب الذي يخدمني. نعم، سأحاول يا صديقي عرض المساعدة عليها، سأحاول انتزاع موافقتها على تدخلي لإصلاح العلاقة بينهما.

ولكن هناك احتمال آخر. هل تم توريط كلينا بهذه الخِطبة؟ هل تم عرضها عليَّ من قِبَل والديها لإحلالي كبديل؟ هل كان أفراد عائلتها معترضين عليه، ولهذا قاموا باختياري كبديل؟ هل رأوا بأنه غير مناسب لها، فقرروا اختياري لها؟ هل وجدوها فتاة لعوب، فأحبوا تزويجها بي لكبحها؟ هل جرى بينه وبينها علاقة غير شرعية أو تشاركا بفعل غير قانوني، ولهذا قاموا برفضه؟ هل كانوا عاجزين عن مجابهته والتصدي له في تلاعبه بها، فقرروا الاستعانة بي؟ ولهذا، هل تقدُّمي إليها كان سبب في إنهاء علاقتها به؟ هذا وارد يا صديقي. هل يريدون مني أن أكون أنا السبب في دمار

علاقتها به، ولهذا هي راغبة بالانتقام مني؟ هل كانت على وشك الارتباط به، حتى في ظل معارضة أهلها؟ هل كانت تائهة، ضائعة، فقرروا أن أكون مرشدها وهاديها؟ ولكن لماذا قبِل والداها لها من البداية بهذه العلاقة غير التقليدية التي يرفضها العُرف، ثم أجبراها على العلاقة التقليدية؟ هل كان هناك انحرافات وأخطاء في العلاقة غير التقليدية، ولهذا رغبوا بمعاقبتها بالعلاقة التقليدية؟ هناك سر وراء هذا يا صديقي، سر خطير. نعم، فقبولها بإلزامهم أيضًا، يؤكد صحة استنتاجاتي. هل هي مدفوعة للموافقة؟ هل قبلتْ بي تحت التهديد؟ نعم، لعلها مهددة بالضرب، وبمختلف أشكال التعنيف. ولكن ما هو ذاك المبرر الذي يستعين به والداها لتعنيفها وإجبارها على ما لا رغبة لها به؟ ما هذه الرجعية! نعم، أنا لا أبرر فعلهم أبدًا، ولكن هل طيشها هو مبررهم؟ هل هناك معصية دينية أو جريمة قانونية أو عرفية صدرت عنها، دفعتهم لتهديدها، وترهيبها، وتعنيفها، وإجبارها على الارتباط بي؟ لماذا تساهلتْ مع إكراههم، ومع التعنيف الذي مورس عليها، وهي في دولة لا تكف عن سن القوانين الرادعة للسلطة الأبوية، ولكل من يجرؤ على تعنيف المرأة وترهيبها؟ ألأنها شاعرة بالذنب، ولهذا راضية ومتقبلة للتعنيف والإرهاب والقسر والإكراه؟ نعم، لتنازلها عن حقوقها أمامهم سر كبير. كيف لامرأة تعيش في مجتمع متحضِّر، مفتوح، وكافل لحريتها، أن تتنازل عن حقوقها الرئيسية؟! نعم، هذا مثير للتساؤلات والشكوك يا صديقي. هذه الانهزامية التي تبديها، وهذا السلبية التي تتسم بها، وهذا التنازل الكبير المُكلِف، يدفعني لاحتقارها في أحيان، وللحزن عليها في أحيان أخرى، وللاشمئزاز من مهادنتها وسلبيتها ورجعيتها وتضحيتها بأغلى ما تملك.

يبدو يا صديقي أنَّ هناك نوعية وصنف من الأسرار التي لن تبوح بها بسهولة لي، ولهذا سأصبر عليها. نعم، لن تكون في الحقيقة صريحة إلا إذا باحت بهذه الأسرار، ومع ذلك سأستمر بوصفها بالصريحة لتشجيعها على تقديم مزيد من الأسرار التي قد تفتك بها. نعم، البوح مهم للتعافي.

ها أنا أتدارك احتمال كنتُ غافلًا عنه. نعم، لربما دفعي من قِبَل والديها لخطبتها، هدفه المساهمة في إخراجها من أزمتها النفسية، التي لربما كانت نتيجة انفصالها عمن تحب. نعم، لعلَّها ارتبطتْ عاطفيًا بشخص ضحَّتْ من أجله ولكنه لم يُقدِّر تضحياتها وحبها له، بشخص استغلها عاطفيًا أو جنسيًا أو ماديًا. هذا احتمال وارد يا صديقي أيضًا.

هل تم تقديمي كبديل لخيار فاشل أم كبديل لخيار متوقَّع فشله؟ هل يعتقدون حقًا بأنَّ هناك من لديه الاستعداد للعب دور البديل، هل يعتقدون حقًا أنَّ هناك من يقبل بأن يكون خيارًا ثانيًا؟! يا إلهي، ما هذا الجشع! نعم، أنا أقبل بذلك لأنني أخطط للانسحاب، فهل أنا عقاب إلهي لهم على جشهم؟ نعم، لربما أنا كذلك.

ولكن يا صديقي بالرغم من نيتهم البشعة هذه، إلا أنني مستعد لعرض المساعدة، وتقديمها في حال طَلَبَتْ ذلك. نعم، أنا لا أريد منها سوى رفضها لي، فإذا حَصَلْتُ عليه نجحت خطتي.

الجميع يا صديقي يعتقدون أنَّ رفض المرأة للرجل تصرف وحشي، فاتك بأقوى الرجال، ولهذا مستعدون للابتعاد عن ذلك المرفوض تعاطفًا مع حالته ووضعه، وأنا هذا كل ما أريده. نعم، أريد من الجميع الابتعاد عني، والتوقف عن مطالبتي بعدم مواصلة العمل على مشروعي الفكري والأدبي. نعم، أنا بحاجة لبضع سنين هادئة، بحاجة للمساحة. ما أطلبه كثير يا صديقي؟ أقسم أنه ليس كذلك، لماذا يستكثره الجميع عليّ؟! دعك من شكواي، ودعني أعود لعرض الاحتمالات التي توصلتُ إليها.

هل يريدون الضغط على الخيار الأول بي أنا الخيار الثاني، أم الضغط على كلينا لتقديم أكبر قدر من التنازلات؟ هل هي عملية انتقاء ومفاضلة؟ إذا كانت كذلك، فأنا على استعداد لترجيح كفة الخيار الأول. هل من الأفضل لي إظهار استعدادي أم الأفضل إخفاؤه؟ هل في حال أظهرتُ استعدادي لها ستتقبله، وتستطيبه، وتشكرني عليه، أم سترفضه لضمان تحصيل أكبر قدر من التنازلات، أم سترفضه غرورًا وكبرًا؟

نعم، لربما إظهاري لاستعدادي سيجرحها، لأنه سيوحي بأنها عاجزة ضعيفة، ولهذا لربما من الأفضل إخفاؤه. ولكن في حال الإخفاء سيكون من الصعب عليّ دعم الخيار الأول، ومساعدته بالفوز بها.

بإمكاني التعرُّف عليه بسهولة وبسرعة في حال استعنتُ بوسائل اتحادنا، ولكن ذلك سيكون تضحية بالجهود العالمية في سبيل خدمة شؤون شخصية، وهذا لن أتقبله أبدًا. نعم، استغلال وسائل الاتحاد في قضايا كهذه، تصرُّف يَنُمْ عن أنانية، وعدم مسؤولية، وتجاهل للتضحيات الكبيرة. نعم، هو استغلال للإنسان الذي تعاهدنا جميعًا على تكريس جهودنا لخدمته. ها أنا يا صديقي أستبق الأحداث التي قد يتيح لي زمن وقوعها وسائل متنوعة ومتعددة.

هناك يا صديقي احتمال وفرضية أخرى. أيُعقل أن تكون المشاكل التي اندلعت في بيتهم بين والديها مؤخرًا والتي سَمِعَ الجميع بها، هي سبب أزمتها النفسية التي دفعتها للإتيان بالمحظورات وبمخالفة معتقداتها مع ذلك الشخص، ولهذا شعر والداها بمسؤوليتهم عن ذلك، فقرروا عرضها عليَّ؟ نعم، لقد سمعتُ أنَّ مشاكل كبيرة اندلعت مؤخرًا في بيتهم، منها طلاق والديها، ورغبة أبيها المراهق بالزواج من امرأة في مثل عمرها، ومنها مشاكل إخوتها، ومشاكل العائلة ككل مع سلطات المدينة التي يُقيمون فيها والتي تهددهم على الدوام بسحب الأطفال من البيت لكونه بيئة غير مناسبة لهم -ومن يدري لعلَّها سحبتهم-، ناهيك عن تعنيف الذكور في ذلك البيت للإناث فيه، وإنذارات الشرطة المتكررة. نعم، هذه البيئة لا بد أن تكون عاملًا رئيسيًا في كل ما يجري معها.

يا إلهي كم أحترق يا صديقي. بدلًا من أن تكون جهودي في التحليل في القضايا الفلسفية، انظر أين تُهدر وتتبعثر. أليست هذه مأساة، أليست مهزلة؟! بدلًا من أن تكون جهودي هذه مُستثمرة في قراءة احتمالات وفرضيات القضايا الفلسفية، انظر في أي القضايا تَرصُد الاحتمالات والفرضيات! نعم، هذا إهدار لجهودي على مدار ثماني سنوات في الفلسفة، هذا إهدار لقدرتي على التحليل التي أكسبني إياها بحثي الفلسفي. نعم، هذه القدرة التي لدي على التحليل مُهدرة في هذه القضايا التافهة.

أقسم أن أستغل اعترافها بأنها كانت على علاقة عاطفية مع أحدهم، في الخلاص منها بأسرع وقت. نعم، لم يعد في مقدوري الاحتمال أكثر، ولهذا سأقفز على بعض الخطوات التي وضعتها في خطتي، وأكتب النهاية بسرعة.

نعم، لربما غاليت بالثقة في قدرتي على تحمُّل البعد عن مشروعي الفكري والأدبي. مالي يا صديقي ولأزمتها، أنا لم أكن سببًا فيها بأي شكل من الأشكال، فلماذا أتوهم ذلك؟!

يا صديقي، لم يسبق أن رقَّ قلبي لمعاناة أحدهم أبدًا، أنا لم أُقدِم أبدًا على تقديم تلك المساعدة التي تُطلب مني من قِبَلِ أولئك الذي هم في أمس الحاجة إليها، وخصوصًا إذا كانت هذه المساعدة تتطلب مني إيقاف العمل على مشروعي الفكري والأدبي، أو تأجيله.

نعم، لطالما كان همي خدمة الإنسان، لا خدمة أفراد أو جماعات. لطالما آمنت أنَّ أولئك الذين يعانون حولي ويطلبون مساعدتي، يريدون إشغالي

عن تقديم خدمتي للإنسان، لطالما آمنت أنَّ قضية الإنسان هي أهم وأعظم القضايا، فلم أُعِر أي قضية شخصية أي جهود. نعم، لطالما اعتقدتُ أن كل محاولة لإشغالي بالقضايا العائلية أو الوطنية أو الدينية أو القومية، بأنها محاولة لإشغالي عن قضية الإنسان، تلك التي في حال أوليناها حقها من الاهتمام، كانت كافة القضايا الأخرى -التي التصقتْ بنا من محيط أو انتماء غير اختياري أو اختياري- محلولة. نعم يا صديقي،سأُقدِّم فقطتلك المساعدة التي لا يشغلني تقديمها عن تقديم مساعدتي للإنسان، أما تلك التي تشغلني عن تقديم المساعدة للإنسان فسأرفض تقديمها، حتى لو تسبب ذلك بقطع صلتي بذلك الشخص الذي يطالبني بها، سواء كان ذاك الشخص تربطني به رابطة الدم أو الصداقة أو الحب أو غيرها من الروابط. نعم، رابطة الإنسان أهم الروابط، فإذا انحلت وأُهملت، انحلت جميع الروابط، وإذا حفِظت كان لبقية الروابط مفعولها الحسن. نعم، يستحق الحب والتضحية ذاك الإنسان الذي ينتمي جميعنا إليه.

تمنى لي التوفيق يا صديقي في إنهاء هذه المهزلة، فلقد عزمت أمري على ذلك، متراجعًا عن خطتي وخطواتها، فهي تتطلب الكثير من الوقت الذي ليس في مقدوري التضحية به، ولهذا سأرتجل، لعلي بالارتجال أنال ما نويت نيله بالتخطيط.

إذا كان لديك نصائح ومقترحات، فأرجوك زودني بها بأسرع وقت.

المؤمن بك

ت.ه

25 أيار (مايو)

صديقي العزيز ج.ل

تبادلنا مؤخرًا أنا وهي مجموعة من الرسائل، فدعني أُطلعك على ما جاء فيها، واعذر لي غيابي عنك.

في أولى رسائلي إليها بعد اطلاعها لي عن ميلها لغيري، حاولتُ أنْ أظهر لها أنني متفهّم لفعلها، وأنني غير مبالي به، وأنها هي من تعنيني، وأنَّ

سعادتها هي أولويتي. ثم أخذتُ أرد على تمنيها بأن لا تكون قد جرحتني باعترافها بالقول: "لا بأس، القلوب لا سلطان لأحد عليها. لا بأس، لا ينبغي لأحد الحزن من ميل وفعل القلوب، ففعلها وميلها لا تحكمه قوانين"، محاولًا تأدية دور المتفهّم الراضي بالرغم من حزنه، ثم أخذتُ أعبر لها عن مدى سعادتي بكون قلبها وجد من يمنحه الحب، بكون قلبها استطاع التمرد على روتينه، بكون دقات قلبها استطاعت الخروج عن انتظامها، وخصوصًا في زماننا هذا الذي تحجرتْ فيه قلوب البشر من قسوتها، الذي باتت فيه القلوب عاجزة عن الحب. نعم يا صديقي، أخذتُ أعرب لها عن سعادتي بكون قلبها تمرد ورفض التشبُّه بالقلوب القاسية التي باتت تغزو حياتنا، وأخذتُ أُشيد بصراحتها ووداعتها وطهرها وأمانتها، وذلك لدفعها للتصديق بأنها صريحة لتتداعي أمامي بكل أسرارها، وخاصة تلك الخطيرة التي تخفيها، وأيضًا لدفعها للتمرُّد ولرفض وصفي لها بالوداعة والطهر والأمانة، ودفعها للاعتقاد بأنني كثير عليها بإخلاصي لها طوال هذه الفترة.

نعم، لا بد أنك لاحظتَ يا صديقي أنني بذلك كنتُ أتلاعب بها نفسيًا، لدفعها إلى تلك الخيارات التي أطمع بها، لا تلك التي هي تطمع بها. إنْ كنتُ ملاكًا، أربكها طهري وعفتي ونزاهتي، فهي ترى نفسها مذنبة. نعم، أريد يا صديقي أن يهزم ضميرها جشعها، ليتاح لها رفضي. نعم، ضميرها بما تظاهرتُ به وظهرتُ عليه، سيوحي لها ويشعرها أنَّ ارتباطها بي خطأ كبير، وذلك لأنني أكثر مما تستحق وبالتالي سيدفعها لرفضي، وطَمَعُها سيوحي لها أنها مستحقة، وسيدفعها لطلبي، ولهذا أردتُ مساعدتها في نصر ضميرها وذلك بوصفها بالنزيهة والأمينة. نعم، بهذا يا صديقي أردتُ تشجيعها على رفضي بأسرع وقت ممكن، فلقد بدأ صبري ينفذ.

أخذتْ في محاولتها الرد على رسالتي، بالإشادة بأوصافي وكلماتي وتكرارها، وهذا يؤكد على أنها تأثرت بها، ومع ذلك تشعر بالذنب، وهذا في صالحي.

ثم أخذتُ يا صديقي بعد ذلك بسؤالها عما إذا كان يعرف بميلها وحبها له، ثم انتقلتُ على الفور للتأكيد لها -لطمأنتها واستدراجها للبوح- أنني لا أملك الحق بالاستفسار عنه والتساؤل عمن هو، متمنيًا لهما حياة سعيدة فيها الحب متبادل، محاولًا بهذه الصورة التي أحاول الظهور بها أمامها إظهار مثالية وقدرة على التفهُّم، تدفعها لمزيد من البوح يقودها لا للطمع في انسحابي وإنما للرغبة في انسحابها وحيازتها الجرأة في رفضي. نعم، لا يعنيني ما أقدَمتْ عليه، ولن أنسحب بسببه أبدًا حتى لو أرادتْ هي مني ذلك، لأن

انسحابي سيكون غير مثمر، لكوني سأعجز عن تبريره. لا تتعجب يا صديقي، فأنا لا أستطيع الإفشاء بأسرارها لأحد، لا أستطيع فضحها وخيانة ثقتها بي. نعم، هذا ليس من شيمي. نعم، خيانتها بإفشاء أسرارها، سيفقدها الثقة بالجميع، وهذا هو الجحيم بحد ذاته يا صديقي. أنا لستُ إلهًا لأعاقبها بهذا الجحيم. نعم، لن أنسحب، لأنني لا أريد التعلل بأسرارها، فالتعلُّل يعني إطلاع الجميع عليها. كيف سيتاح لها الثقة بالآخرين في حال كنتُ أنا المثالي في نظرها خائن؟! لا تقلق، سأدفعها للانسحاب بالتلاعب بها نفسيًا، فهذه المهارة من أكثر المهارات التي أجيدها.

في رسالتها يا صديقي التي ردتْ بها على ما جاء في رسالتي، تغاضتْ عن الإشارة إلى رجائي، وهذا أخافني. نعم، أخافني يا صديقي، لأنَّه لفت انتباهي إلى احتمال أن يكون حبيبها غير مُعجب بها، ولا يكِن ولا يبدي لها أي مشاعر، وهذا مُحبط يا صديقي.

نعم، من الأفضل لي أن يكون الحب والإعجاب متبادل بينهما، فهذا سيصورني على أنني عائق ينبغي التغلُّب عليه، هذا سيصورني على أنني مُتطفِّل ينبغي طرده، هذا سيصورني على أنني وقح ينبغي مجابهته. نعم، أريد أن يتم التغلُّب علي، أريد أن يتم طردي، أن تتم مجابهتي ورفضي.

ولكن يا صديقي، هل من الممكن أن تكون واقعة في حبه، لدرجة هي عاجزة معها عن الانسحاب بالرغم من كونها تعرف أنه لا يكن لها أي مشاعر؟ هل هو يحبها أم لا يحبها؟ هذا سؤال مهم، لا أعتقد أنني سأحوز إجابة عليه، فلا هي ستجيب، ولا أعْرِفُه لكي أستعلِم منه.

نعم، حتى لو أجابتْ سيبقى لديَّ شك في صدق إجابتها، فلربما ستندفع للتأكيد على حبه لها، حتى ولو كان لا يكِن لها أي مشاعر، وذلك بدافع الكبر والغرور، وفي أحيان بدافع الأمل بأن يحبها يومًا ما. نعم، إجابتها لن تجيبني أبدًا، ولهذا لربما عليَّ التعرُّف عليه، لكي يتاح لي التعرُّف على إجابته في حال احتجتُ لها.

وأيضًا يا صديقي، تغاضيها عن التعقيب على قولي بأنْ لا حق لي بمطالبتها بالبوح باسمه لي، يوحي بأنها لن تبوح لي باسمه أبدًا، ولهذا في حال اضطررتُ للتعرُّف عليه، سيكون عليَّ السعي في ذلك بدون طلب مساعدتها.

ولكن قبل الانتقال لاطلاعك على المزيد مما ورد في رسالتها، أرغب بالتوقف على رغبتها بعدم اطلاعي على اسمه. نعم، رفضها اطلاعي على اسمه وتعريفي عليه، مثير للتساؤلات. هل ترفض لتتفادي اطِّلاعي على ذوقها في الرجال، وبالتالي لتتجنب حكمي عليها، أم ترفض لتتفادى حكمي عليه، والذي قد يكون جارح لها؟ نعم، لربما تخاف عليه حتى من نظرة الناس إليه وأحكامهم عليه. ولكن توقف هناك احتمالات أخرى، فلا تتعجل. نعم، هل ترفض لتضمن عدم معرفتي لما جرى بينهم، أم ترفض لتضمن عدم تواصلي معه، أم ترفض لتضمن عدم معرفتي أنها لربما تكون مدَّعية غير صادقة، أم ترفض لعدم وجود اسم بحوزتها، أم ترفض لتفادي معرفتي بطبيعة وقوة العلاقة التي كانت بينهما، أم ترفض لتتفادى معرفتي إذا كان يحبها أم لا، أم ترفض لتتجنب معرفتي إذا كان يستحقها أم لا، أم ترفض لتتجنب معرفتي فيما إذا كانت امرأة لعوب، أم ترفض لتضمن عدم تعرفي عليها منه؟ نعم، لا بد أنها ترفض اطلاعي على اسمه، لإحدى هذه الاحتمالات، فأيها تُرجِّح يا صديقي؟

أكاد أقسم يا صديقي أنها لم تُقدِّم هذا الاعتراف لي، إلا لأصفها بالصريحة، ولهذا فعلتُ ذلك، لكي تعتقد أنني انخدعتُ ووقعتُ في فخها. نعم، لعلها تريد ربطي بها، وإشعاري بالندم في حال قررتُ الانفصال عنها. نعم، هي تريد أن تَمُنَّ عليَّ بأنها كانت صريحة معي، هي تريد تذكيري كلما أخطأت في حقها أو فكرت في الانسحاب بأنها كانت صريحة معي، هي تريد اتهامي بالانسحاب لصراحتها التي تدَّعيها. ألم أقل لك أنها ستبدأ باستغلالي، وها قد بدأتْ.

لو كانت صريحة حقًّا يا صديقي، لما كنتُ أوجِّه تلك الأسئلة لك وإنما لها، لو كانت صريحة لما كنتُ مضطر لاستنتاج كل تلك الاحتمالات والفرضيات.

ها أنت تستوقفني هنا لتوبخني وتتهمني بالكذب، ذاهبًا للقول بأنني كنتُ سأسأل في جميع الأحوال، وأنَّ تلك الفرضيات والاحتمالات كنتُ سأذهب إليها في كل الأحوال، وذلك نظرًا لقدرتي التحليلية التي فجَّرها فيَّ بحثي الفلسفي طوال هذه السنين، والتي لن يكون بمقدوري تحييدها وعزلها حتى عن تلك القضايا غير الفلسفية، اليومية، الحياتية، البسيطة.

نعم يا صديقي، أعترف، لربما فيما تقوله شيء من الحقيقة، ومع ذلك أنا مُصِر على أنَّ حُكمِي فيها في محله، والأيام ستثبت لك صحة ذلك، فانتظر لترى.

ولكن توقف أيها الخبيث. لا، لن يكون السبب في ذهابك لقول ذلك أنَّ قلبك رق لها وأنَّ لديك رغبة بإنصافها، وإنما أيها الخبيث هو طمعك بأن تتاح لي فرصة معها. نعم، لعلَّك ما زلت إلى الآن ترغب بتوقفي مثلهم، وهذا يُوحي به عدم تقدُّمك إليَّ إلى الآن بأي مقترح أو نصيحة. أتتآمر معهم أيها الخبيث؟ أخنتني؟ لا، أنا عاجز عن تصديق ذلك، فلا تُقدِّم أي إشارات أخرى توحي بذلك يا صديقي، فهذا مؤلم. نعم، ينبغي عليك تزويدي في رسالتك القادمة بالاقتراحات، لكي تبرهن أنك لم تفعل ذلك. ها أنت تضحك أيها الخبيث، مكتشفًا محاولاتي في دفعك لتزويدي بالمقترحات. أرجوك، أنا في حاجتك، فابذل المزيد من الجهود، وزودني بالمقترحات. لا تدفعني لمقاطعتك، فهذا سيؤذيني. نعم، مجرد الكتابة لك تريحني، تخمد تلك النيران التي في داخلي، تجعلني قادر على التفريغ.

دعني أكمل لك ما جاء في رسالتها. ردًا على سؤالي عما إذا كان يعرف بحبها له، أجابتْ بالإيجاب، وذهبتْ للقول بأنهما سبق وأنْ تفاتحا بالكثير من المواضيع في تلك الأوقات التي كانا يمضيانها معًا، وبأنهما اطَّلعا على كثير من خصوصيات بعضهما البعض، وللتهرُّب من الكشف أكثر عن قوة العلاقة بينهما، لم تكشف عن طبيعة تلك المواضيع التي أثيرت بينهما، ولا عن شكل تلك النقاشات التي دارت بينهما، ولا عن آلية التواصل، ولا عن شكل اللقاءات، ثم ختمت محاولاتها بالقول بأنَّ قلبها متأذي، وبأنها مصابة بجرح عميق، يصعب التعافي منه، وتستحيل مداواته، ثم أخذتْ تتساءل عما إذا كنتُ أستطيع التعايش مع ذلك.

أريتْ يا صديقي، هذا ما توقعته. ها هي تسحبُه بعدما أعلنتْ عنه، وذلك لاستغلالي، لدفعي لتقديم التنازلات، لدفعي للغيرة، لدفعي للتمسك بها وطلبها على الدوام.

هذه هي ثمرة مغالتي بالادعاء أنني أحبها. ألم أقل لك أنها ستطمع بعوائد السذاجة التي تظاهرت بها، بعوائد الحب الذي أدعيته، وبأنها ستستغلني. ها هو صح قولي، وصَدَقَتْ ظنوني.

لا بد أنك لاحظتَ أيضًا يا صديقي أنها بدأتْ بتسول التعاطف، كالمتاجرين بقضية شعبنا من سياسيين وأدباء ومؤسسات. يا إلهي كم أمقتهم متسولي التعاطف.

لماذا هي تعتقد أنها بحاجة للتعاطف؟ نعم، هو الطمع بالعوائد التي يُتيحها التعاطف، الدافع لتسوله. يا إلهي كم أحزن على الجشعين. ألم يدركوا بعد

أنهم لن يتسعوا لذلك الكثير الذي يرغبون به ويطلبونه على الدوام، ألم يدركوا بعد أننا نحن البشر أأمن بالقليل، ألم يدركوا بعد أننا ضيقون جدًا، وسنبقي كذلك حتى مع تمردنا على ذلك؟! ألم يدركوا بعد أنَّ الطمع سبب الجهل الذي هو سبب الكفر بالنِعَم والعطايا؟! ألم يدركوا بعد أنَّ الطمع للمراكمة،وأنَّ القناعة للعيش؟! ألم يدركوا أننا بعد في الحياة التي فيها كسبنا ليس هو نصيبنا، ونصيبنا ليس هو كل كسبنا؟! ألم يدركوا أنَّ الحياة التي فيها نصيبنا هو كامل كسبنا بعد لم تحِل؟! نعم، طمعهم في غير محله يا صديقي، ولهذا هم مُستهلَكون، مُستنفَذون. ها أنا أستطرد لغضبي، فدعني أعود لاطلاعك عما جاء في رسالتها.

أخذتْ بعد ذلك يا صديقي تسألني عما إذا كانت اعترافاتها أحزنتني، وعما إذا كانت صراحتها أزعجتني وضايقتني. ألم أقل لك أنها ستبدأ بالمَن عليَّ بها، وبالتالي بمطالبتي بشكرها عليها. نعم، أقسم أنها لم تسألني عن ذلك إلا لأشكرها، ولأنهال عليها بالمديح والإطراء. نعم، هي أرادت مني وصفها بالصريحة، لتضمن عند اتهامي لها بالإخفاء والتكتم وعدم البوح، بأنني أناقض نفسي. نعم، هي أرادت مني وصفها بالصريحة، للتمكن من التكتُّم على أسرارها الخطيرة.

هذا الخبث الذي لديها لن يستطيع التغلب على قدرتي التحليلية، لن يستطيع خداعي. أرأيت لماذا فضَّلتُ الظهور أمامها بشخصيتي القديمة وأخفيتُ شخصيتي الجديدة. نعم يا صديقي، لا ينبغي علينا التعامل مع أحد - وبالأخص من نعرفهم ويعرفوننا- بشخصياتنا الحقيقية، تلك التي بتنا عليها مؤخرًا. نعم، يجدر بنا التعامل مع الجميع بشخصياتنا القديمة للتعرُّف على مطالبهم منا، وللكشف عن نواياهم لنا، وللتوصل لخططهم التي يسعون بها للإيقاع بنا. نعم، الكشف عن شخصياتنا الجديدة للآخرين، يدفعهم لتغيير خططهم، وبالتالي لإخفاء تحركاتهم، والنتيجة عجزنا عن قراءة تنقلاتهم وخطواتهم. نعم يا صديقي، السُمعة القديمة مفيدة في كثير من الأحيان، ولهذا لا ينبغي علينا إهدار عوائدها بمحاولة الكشف عن جديدنا. نعم، جهل الآخر لك مفتاح نصرك عليه، ولهذا لا ينبغي على أحد عاقل أن يهدر نصره. وعلى ما سبق يا صديقي، سأستمر بالحفاظ على الصورة التي لي عندها، وسأرمم تلك الصورة التي أرشدتُها إليها بأولى رسائلي إليها، ليتاح لي تضليلها، وإشعارها أنها تحقق الانتصارات، وأنها تسيطر عليَّ تمام السيطرة.

ولهذا يا صديقي، نفذتُ طلبها، ودعوتها بالصريحة، وقمت بالإشادة بها على ذلك، وهذا حرفيًا بعض مما كتبته لها: "صراحتكِ جعلت صورتكِ في مخيلتي وعقلي وقلبي أجل وأجمل وأرق، صراحتكِ جعلتني أتلمَّس طُهركِ ونزاهتكِ، صراحتكِ جعلتني أحبكِ أكثر وأكثر، فشكرًا لكِ".

نعم، كان لا بد من الإشادة بصراحتها بشيء من الغزل، لتتيقن أنني ابتلعت طعمها. النساء يسهل الإيقاع بهن وتضليلهن بالغزل، ولهذا لا بد لنا نحن الرجال من الاستعانة به على الدوام، لا للهجوم، وإنما للدفاع، فالهجوم عليهن به غير عادل، فعل لا نزاهة فيه.

لعلك تقول متعجبًا: ما هذا الذي أوقعتَ نفسك فيه باعترافك ذلك؟!، لعلك تتساءل عن سر إقدامي على منحها ما تريد، بالرغم من معرفتي بكل العواقب الناجمة عنه. لا تقلق يا صديقي، فالخطة التي أعددتها تمنحني منفذ لا بل منافذ في كل سيناريو، تمنحني الوسائل للإفلات من جميع فخاخها. هل المتاهة تكون متاهة بحيازة الخريطة؟! نعم، خطتي هي خريطة المتاهة التي أقحمتُ نفسي فيها. لا تقلق عليَّ، فأنا بمقدوري التعامل مع جميع الاحتمالات، وتفادي جميع عواقب ذلك التصريح.

الصراحة، يا لها من صفة! للأسف مطلوبة للسُمعة لا للفعل. نعم يا صديقي، أنا مرتاح لكونها غير صريحة، فكونها كذلك سيُسهّل عليَّ انفصالي عنها، ويكفل عدم شعوري بالذنب والندم. نعم، كونها غير صريحة أفهم منه أنها تُخفي ما تخطط به لإيذائي وإيقاع الضرر بي، ولأنَّ لي الحق بتفادي كل من يحاول إيذائي، فهذا يدفعني لعدم الشعور بأنَّ انسحابي خطأ، أو ذنب. نعم، الصراحة سمة لا يتمتع بها سوى قلة من البشر، للأسف.

هي يا صديقي قدمتْ خبر توقعتُه، ولهذا لا تعتقد بأنني أقسو عليها بوصفها -من وراء ظهرها- بنقيض الصفة التي رغبتْ مني وصفها بها. لقد استطرتُ هنا أيضًا، ولكن هذه المرة بفرحتي لا بغضبي، ولهذا دعني أُطلعك على طلبها في آخر رسائلها، وهو الأهم.

تقديرًا للتفهُّم الذي أبديته، وتقديرًا لعدم ضغطي عليها، وتقديرًا لعدم نفوري منها، كشفتْ عن رغبتها باطلاعي عما في قلبها، ولكن هذه المرة بمكالمة صوتية، وكتبتْ تتساءل عما إذا كنتُ موافق على ذلك، وعما إذا كان ذلك متاح لي، وختمتْ رسالتها متعجبة بالقول: "يا إلهي كم أنت غريب!".

هذه هي اللحظة التي انتظرتها وأعددت لها. نعم، بالتواصل الصوتي سيتاح لي التلاعب بها سيكولوجيًا بشكل أفضل. صدِّقني، لن أضع السماعة من يدي إلا وهي مقتنعة بضرورة الانسحاب، لن أضع السماعة قبل أن أسمع منها "وداعًا" لا "إلى اللقاء". انتظر وسترى.

رددتُ في رسالتي إليها على شكرها لي على منحها مساحة واسعة، بالقول متغزلًا بها: "وجودكِ في حياتي وسَّع فضاءاتي، فكيف لا أمنحكِ الفضاء الواسع الذي ترغبين به؟!"، ثم أخذتُ بالإعراب لها عن رغبتي بمنحها سَمعي واهتمامي وقلبي وعقلي في مكالمتنا الصوتية التي حددتُ لها بعد غد الساعة العاشرة ليلًا موعدًا، ثم أخذتُ بختام رسالتي بالرد على ما ختمتْ بها رسالتها، أي بالرد على وصفها لي بالغريب، بالقول: "صدقيني، حبي لكِ هو من جعلني غريب في حال صح وصفكِ. ثم إنَّ الأوصاف جميعها مُتقبَّلة منكِ، فصفيني بما شئتِ، لكي أكون كما تشائين.". هذه الطواعية التي أتظاهر بها، وهذه الليونة التي أبديها، تجعلاها إما راغبة بالتشكيل طمعًا، وإما راغبة بالانسحاب استكثارًا والتزامًا بما يُمليه عليها ضميرها.

خطتي التي أعددتها تتطلب مني دفعها للخيار الأول -أي للطمع-، ولكن بما أنني تمردتُ عليها نظرًا لأمدها الزمني الطويل، سآخذ بالتلاعب بها نفسيًا، لدفعها للخيار الثاني -أي الاستكثار-، ليتاح لي العودة إلى عزلتي التي اشتقتُ إليها، لاستكمال العمل على مشروعي الفكري والأدبي. إذا فشلتُ في هذا -وهذا ما سأتفادى حدوثه بعناد-، سأضطر للعودة للالتزام بما خططتُ له، والاضطرار لتحمُّل الأمد الزمني لخطتي والقبول به، والعمل على زيادة قدرتي على الاحتمال والصبر. ماذا تعتقد، هل سأفشل أم سأنجح؟ أتمنى أن يحالفني الحظ بالنجاح في إنهاء هذه المهزلة بأسرع وقت.

هذه المهزلة دفعتني للكذب كثيرًا هذه الفترة يا صديقي، وهذا يؤذيني نفسيًا. انظر إلى ماذا أوصلني الادعاء والتبرير بأنني لن أضطر إلا لبضع كذبات، انظر إلى ما قادني إليه الاستثناء. ألاحظتَ كيف كنتُ نفعيًا، ألاحظتَ كيف أخطأتُ في قياسي النفعي؟ نعم، لعلنا جميعًا لا نجيد القياس النفعي، ولهذا على الدوام نصطدم بالنتائج الكارثية. نعم، لربما كانط كان مُحق برفضه حالة الاستثناء، وتضييق حدود الفعل الأخلاقي، لعلَّ ذلك العظيم منحنا الحل لمشاكلنا نحن البشر، من دون أنْ ندرك ذلك بعد. متى سنستحق فهمه، لكي نفهمه، متى سنستحق حيازة القدرة على الالتفات للحقيقة والصواب والأنوار في نتاجه؟ لعلَّ ما يجدر بنا فعله الآن، لا شيء سوى العودة إلى كانط. يا إلهي كم أنا مشتاق إليه، يا إلهي كم أود الالتقاء به، والتحدُّث معه، والتعلُّم

منه، والاستفسار منه عن بعض نصوصه. نعم، عليَّ إنهاء هذه المهزلة التي أقحمتُ نفسي فيها بأسرع وقت، ليتاح لي العودة إليه مجددًا.

أرجوك يا صديقي، زودني بأي اقتراحات تراها تصنع فارقًا فيما عزمتُ أمري عليه، فأنت إلى الآن لم تزودني بشيء. لا أنكر أنك زودتني ببعض الخطوات المُبتكَرة، والتي رفضتُها لكونها تحتاج للوقت الذي لا أحوزه، ولكنك تعلم بأنني أعلم أنك لم تزودني بها إلا لتطيل فترة بقائي معها، معولًا على الوقت في إتاحة الانسجام بيني وبينها، وبالتالي التعلُّق والاستغناء عن فكرة الانسحاب. نعم، إنك أيها الخبيث لم تعاملني بعد بصدق ونزاهة، لم تمنحني بعد ما أطلبه، لم تساعدني فيما أنا بحاجتك لمساعدتي فيه. لا تحاول الإنكار، فهذا لن يجدي. لا تحاول الإشارة إلى أنَّ الخلل بي لكي تنجو بنفسك، بأنني على الدوام أشك بالآخرين، أعتقد بأنهم يعادونني، أعتقد بأنهم يريدون لي ما لا أريده لنفسي، أعتقد أنهم يتآمرون عليَّ باستمرار.

ولكن انتظر، لماذا أنكر؟! أليستْ هذه هي الحقيقة. ما أشد قسوتكَ بإنكار ذلك، بعد كل هذا الهجوم الذي شُنَّ عليَّ طوال هذه السنوات. لا توقف للحظة، فأنا لا أفعل ذلك على الدوام، أي لا أظن أن الجميع ضدي باستمرار، ووجودك في حياتي يبرهن على ذلك. نعم، أنت لستَ ضدي، ولهذا أنا مخطئ بالاعتقاد بأنَّ الجميع ضدي. نعم، هم بكثرتهم قلة عندي، وأنت بمفردك كثرة. لا تغتر أيها الأحمق، فأنتَ تخونني في بعض الأحيان.

ها أنت تعتقد أنني أتملقك لدفعك لمساعدتي، ولكنك مخطئ يا صديقي. أنت لا تعلم قدر الحب الذي أكنه لك، واحترامي وتقديري للصداقة التي تجمعنا. لعلَّ الإنسان بمقدوره العيش بدون كافة الصلات والعلاقات، ما عدا علاقة وصلة الصداقة. يا إلهي ما أجلَّها من صلة! نعم، لقد أوتِي نصيب عظيم في الدنيا كل من وجد لنفسه صديق، وكان لغيره صديق. فهل أنا مُقصِّر في دوري يا صديقي؟ نعم، أنا مُقصِّر، وأعدك بالتعويض. لعلَّك لا تطلب مني ذلك، لأنك تدرك أنَّ الطلب غير مُستحسن، لكون العطاء في علاقة الصداقة ينبغي أن يكون دافعه ذاتي، ولهذا أنا أعتذر. لعلك تبرر لي على الدوام تقصيري بظروفي وأهدافي وحبي للإنسان وبسعيي الحثيث لخدمته، وهذا دافعك له هذه الصلة العظيمة وإخلاصك في تأدية دورك فيها، ومع ذلك أنا أعتذر، وأعدك بتأدية دوري على النحو الأفضل في المستقبل. ستصبر عليَّ، أنا متيقن من هذا.

تراني أتساءل باستمرار: ماذا أنا بدونك، ماذا الإنسان بدون صديق؟! نعم، بوجودك في حياتي كان وجودي، فشكرًا لك.

صديقك الشاكر

ت.ه

26 أيار (مايو)

صديقي العزيز ج.ل

طوال الليلة الماضية لم أستطع النوم ولو لدقائق من شدة غضبي من هذا المأزق الذي أقمحتُ نفسي فيه.

لماذا خضعتُ هذه المرة لإلحاحهم، وأنا الذي كنت على الدوام متحلِّيًا بالصبر والعناد؟ لماذا لم أتجاهلهم كما كنتُ أفعل طوال هذه السنين؟ لطالما كان التجاهل سلاحًا فعالًا معي، فلماذا لم أستعن به هذه المرة أيضًا؟! لطالما كنتُ عندما يزداد إلحاحهم وأفقد قدرتي على تحمله أُخرِج إليهم الوحش الذي في داخلي، فلماذا لم أفعل هذه المرة لإخافتهم؟ لقد كنتُ في أحيان أهددهم بالسفر وبالابتعاد عنهم، وكان هذا فعالًا جدًا في كثير من الأحيان، فلماذا لم أهددهم هذه المرة؟

أخذتُ أفكر يا صديقي متعجبًا من نفسي هذه المرة، متسائلًا عن سر عدم سفري إلى الآن، مبتعدًا عن هذه العائلة التي ما زالت تسمم حياتي بإلحاحها عليَّ بالتوقف. لماذا إلى الآن أكترث لهم، لماذا إلى الآن أتجنب إدخال الحزن إلى قلوبهم بابتعادي؟ لماذا إلى الآن تحثني تلك التضحيات التي قدَّمها كل فرد في العائلة لضمان تماسك وترابط هذه العائلة، على الامتناع عن السفر؟ لماذا إلى الآن أرى نفسي مُلزم بالالتزام بعهودي التي قطعتها، بالرغم من عدم التزامهم بعهودهم التي قدَّموها لضمان عدم سفري؟ لماذا إلى الآن أخالف حاجتي من أجلهم؟ لماذا إلى الآن أستمر بالسماح لهم بالربط بين سفري ومستقبل العائلة؟ لماذا إلى الآن أسمح لهم بتصويري على أنني ذاك الأساس الذي يضمن عدم تفكك الأسرة، بالرغم من عزلتي وانعدام مساهمتي في تماسكها؟ ثم أخذتْ يا صديقي أتساءل عن سر تمسكهم بي إلى هذا الحد، عن سر رغبتهم ببقائي في حدود بيت العائلة، عن سر رغبتهم مني بعدم التفكير بالسفر، وأنا الذي لسنوات لم أجالسهم في جلساتهم، ولم أحادثهم في

المواضيع التي تستهويهم، ولم أقف بجوارهم في مشاكلهم ومآزقهم، ولم أشاركهم أحزانهم ولا حتى أفراحهم، وذلك لعزلتي.

يا إلهي ما أشد مقتي لها رباطة الدم. نعم، محظوظة أوراق الأشجار بنسمات الهواء التي لا تربطها بمكان. أيعتقدون أنني سأموت من شدة إهمالي لنفسي في حال سافرت، أيعتقدون أنني سأنسى تناول حاجتي من الطعام والشراب، أيعتقدون أنني سأموت وحيدًا في غرفة مظلمة ووحدها رائحة جثتي من ستَّرشد إلي، أيعتقدون أنني لن أجد من يمشي في جنازتي ويدفنني، أيعتقدون أنني لن أجد من يضع الورود فوق قبري، أيعتقدون أنني سأتوه في الشوارع ناسيًا طريق العودة في حال خرجتُ من البيت، أيعتقدون أنني سأقع في حفرة سحيقة في حال مشيت وحدي؟

نعم، أنا من دفعتهم للاعتقاد بذلك، أنا مشارك في خيانتي باعتمادي عليهم، ولكن لماذا يمنُّون عليَّ بمطالبتي بالتوقف، لماذا لا يُقدِّمون مساعدتهم لي بدون مطالب وأطماع ومصالح؟

ولكن انتظر يا صديقي، لعلِّي أيضًا أخاف من السفر، ولهذا لم أُقدِم عليه إلى الآن. كيف سيتاح لي الخروج من البيت للتبضُّع، وأنا حبيس غرفتي طيلة هذه السنوات، كيف سيتاح لي فتح ستائر البيت، وأنا ماكث في الظلمة لا ظل لي، كيف سيتاح لي تقبُّل ذلك الوقت المهدر في إعداد الطعام، وأنا طوال هذه السنين متَّكل عليهم في إعداده وتقديمه لي، كيف سيتاح لي الرد على من يطرق باب بيتي ومحادثته، وأنا على الدوام أتفادى ذلك؟! نعم، لعلَّ سبب بقائي معهم في ذات البيت رغبتي بأن يعرف أحدهم بلحظة موتي، وأن يقوم بدفني بشكل لائق، في قبر على هضبة مرتفعة، تلفح عظامي نسمات هوائها الباردة، وينعشها شعاع شمس مُنعتق من شروق أو من غروب. نعم، سيأتيني الموت وأنا في عزلتي، في الظلمة، ولهذا أنا بحاجة لمن يتفقدني بدون أن يَلفتَ انتباهي ويُشتتني، ولأن ذلك غير متاح لي، تجدني راضي بهم. نعم، لو قُدِّر لي ووجدتُ غيرهم، قادر على تفقدي بهدوء، وبدون تشتيتي وبعثرة تركيزي، لوجدتني مُنعتق من أسرهم. نعم، لعلي لم أسافر بعد، لأنني لم أجد غيرهم.

لعلك تهزأ بي وتسخر مني الآن، وتتساءل ضاحكًا: وكيف أيها الأحمق سيتاح لك ذلك، وأنت لم تخرج من عزلتك للبحث عن غيرهم؟ نعم، معك حق، لعلِّي اخترتهم بتمسكي بعزلتي، أو لعلَّ عزلتي اختارتهم لي. لماذا ذلك؟ هذا ما أجهله الآن، فدعنا ننتظر ما سيكشف عنه قادم الأيام، دعنا

ننتظر لنرى الحكمة من وراء كل ذلك. نعم، لا بد من وجود حكمة، وإلا كان هذا كله عبث وفوضى.

ولكن أيضًا لعلِّي يا صديقي لم أرغب بالسفر إلا رغبة بالابتعاد عن تلك المطالبات المتواصلة مني بالالتفات إلى زينة الحياة وبُهرجها، والتوقف عن منح كل وقتي لمشروعي الفكري والأدبي. نعم، لعلِّي طمعتُ بالسفر، لطمعي بالهدوء والسلام.

أنت سافرت، فهل وجدتَ في السفر قدرة على منح هذه المطالبات والرغبات؟ نعم، لعلِّي أتوهم بأنَّ له القدرة على ذلك، لأبقى آملًا بأنْ يحل الهدوء يومًا ما في حياتي. نعم، لقد تم دفعي للرغبة بالسفر، ولهذا لن أُقدِم عليه، حتى أشعر أنه رغبتي أنا حقًا، ولربما لن أندفع إليه أبدًا، لكي أُبقي لنفسي تلك الصورة الجميلة عنه، التي لربما ستتشوه في حال أقدمتُ عليه. نعم يا صديقي، أنا أحب الإبقاء على تلك الصور التي ترسمها مخيلتي للبشر وللأفعال والنشاطات والأعمال، وذلك بالبعد. نعم، القُرب من الأهداف يُشوهها، بل يُظهرها على حقيقتها، أي يظهر عيوبها وتشوهاتها ونواقصها، ولهذا تجدني أفضِّل البعد. أنا مولع بالجمال والكمال والجلال، ولهذا أُبقي على الصور التي ترسمها مخيلتي للبشر والنشاطات والأفعال بالبُعد.

ها أنت تظلم خيالي بتوصيفه على أنه جحيمي. نعم، هو عكس ما تعتقد، هو فردوسي. يا صديقي، أنا مكتفي بمتابعة الجمال، فلماذا يُراد مني أن أكون طماعًا بالطلب؟! يا صديقي، متى ندرك أنَّ الطمع لا يمنح، حتى لو كنا في الفردوس؟ نعم، الطمع يُفقرنا، حتى لو كنا أغنى البشر. أقسم يا صديقي أنني لا أشعر بأنني فقير إلا عندما أملك وأطلب، ولهذا تجدني على الدوام أحاول بقدر المستطاع ألا أملك، وفي أحيان بنقل إدارة ملكيَّتي لمحيطي. متى يا صديقي سيُدرك البشر أنَّ الملكيَّة تفرقهم لا تغنيهم، متى يدركون أنَّ الملكيَّة تُقيدهم لا تحررهم، متى يدركون أنَّ الملكيَّة تسلبهم لا تُعطيهم؟ أهذه الحقيقة ثقيلة على البشر، ولهذا صعب عليهم إدراكها، أم هي حقيقة ليس في مستطاع إلا بعض العقول إدراكها؟

نعم، عصرنا يا صديقي موغل في المادية، ولهذا مُضلَّل ومُغيَّب فيه البشر. يا صديقي، هم يريدون إغراقي بالالتزامات، لكي يدفعونني للطمع مثلهم، لكي يدفعونني للاستسلام أمام مادية عصرنا، لكي يدفعونني للمطالبة بحصَّتي وحُصَّة غيري، لكي يدفعونني للمشاركة في صراع الفرص الشحيحة، لكي يدفعونني للتخلي عن قيمي ومبادئي. نعم، وأحد أكبر هذه الالتزامات التي يريدون إغراقي بها، هو الزواج.

يا صديقي، أرجوك لا تفهمني بشكل خاطئ، أنا لستُ معترض على هذه الالتزامات للناس، وإنما معترض عليها لي أنا فقط، لانشغالي الذي سيجعلني مُقصِّر في دور العاشق والزوج والأب وغيرها من الأدوار.

يا صديقي، أنا لم أعد أصلح لكثير من الأدوار بعدما اخترتُ دور الفيلسوف، فكيف لهم استيعاب ذلك؟! أنا أتألم، لأنني وحدي أفهم ذلك، أنا أتألم لأنني وحدي أدافع عن نفسي، أنا أتألم لأنَّ ليس هناك من يتفهَّم موقفي، أنا أتألم لأنَّ الجميع يريدون سلبي حريتي، أنا أتألم لأنَّ الجميع يريدون أن يكون قرارهم قراري.

لماذا كُتب على الفيلسوف أن يكون وحده في هذا العالم؟! أيعقل أنَّ ذلك سببه أنَّ الكثيرين سيكونون معه بعد الموت؟ لربما هذه المواساة تجرح أكثر مما تواسي. أيُعقل أنَّ ذلك سببه كون الله معه؟ نعم، هذه مواساة تواسي حقًّا، ولعلها وحدها من تجعله مطمئنًا. ولكن يا صديقي، كيف حال ذلك الفيلسوف غير المؤمن؟ نعم، لا بد أنَّ معاناته أكبر، لا بد أنه بدون مواساة، ولهذا لا بد أنه يشعر بأنَّ هذا الكون وجوده مجرد عبث وفوضى. نعم، النظام في هذا الكون لا يستشعره سوى المؤمن، أما الفوضى والعبث فلا يستشعرهما سوى غير المؤمن. نعم، ذلك الفيلسوف العبثي بحاجة للمواساة، لكي يتاح له الإيمان بالنظام. ما أعنفها على أرواحنا تلك المصائب والخسائر التي ليس لنا عند وقوعها مواساة. سبحانه ربي ما أقوى حضوره عندي، ألأنه مواساتي الوحيدة؟ نعم، هذا هو أعظم عائد لي من البحث الفلسفي، فكيف يا صديقي أتخلى عنه من أجلهم؟! لا، لن أتخلى، ولو استمر إلحاحهم مدى الحياة. أي أحمق هذا الذي يُهمل حضور الله، ليلتفت لحضور البشر؟! أي أحمق هذا الذي يترك كل هذا الجلال والجمال والقوة والغنى، ليلتفت للقبح والضعف والفقر؟! أقسم أنني أستحق التشجيع على ما أنا عليه، لا التشجيع على ما يريدونني أن أكون عليه، ولكن للأسف الحياة غير عادلة لجهل البشر وادعائهم المتواصل أنهم على صواب وحق.

أتعجب يا صديقي من حالهم، فتجدني أتساءل: لماذا لا يدفعهم إصراري وعنادي على التمسك بموقفي والمواصلة، للشك ولو لمرة في صحة موقفهم؟! لماذا لم يدفعهم هذا التحدي الذي أبديه لإعادة التفكير والقياس وقراءة المشهد؟! نعم، هذا عجيب حقًّا، ألهذه الدرجة مغيبين؟! نعم، ثقتهم بصحة موقفهم ودفاعهم المتواصل عنه، دليل على جهلهم الذي كان دافعه الكبر والغرور. أرأيتْ يا صديقي لماذا نحن البشر بحاجة للشك في عالمنا هذا، لماذا بحاجة لقول: "لا أعلم، لا أدري". نعم، نحن بالشك يا صديقي

بدون رغبة بالسلطة، بدون رغبة بفرض قناعاتنا على الآخر، بدون رغبة في رفض الآخر، بدون رغبة في الهجوم عليه. نعم، نحن بالشك نخلق مجتمعًا لاسلطويًا، مجتمع فيه التنوع الذي هو بيئة الحرية.

أنا مرهق يا صديقي. كيف ينبغي عليَّ التعامل معهم، كيف سيكون بمقدوري إقناعهم بالتخلص من طلباتهم والتوقف عن الإلحاح؟ نعم، لربما لن يتاح لي ذلك أبدًا، لربما محاولاتي ما هي إلا نتيجة الغضب، وما هي سوى رد فعل لا فعل كما أعتقد. نعم، أنا أدرك أنَّ ذلك لن يتاح لي، فكيف لي ألا أغضب منهم؟ نعم، أريد أن أبقى هادئًا على الدوام، فالغضب يُفقدني تركيزي ويُشتت انتباهي ويتركني بدون قدرة على العمل في كثير من الأحيان.

أخاف من غضبي يا صديقي، أخاف من قدرته على توجيهي لمسارات ليست مساراتي، وأفعال ليست أفعالي، أخاف من قدرته على صرف انتباهي عن حضور الله، أخاف من قدرته على إفقادي الأمل والإيمان والعمل والوسيلة. ما الحل؟ أما من علاج للغضب؟ الهدوء، أي تضحية يُتطلب منا تقديمها لنَّتنعم به في عالمنا البائس هذا؟! نعم، لعلَّ الغضب متاح لنا، لتتوفر لنا وسيلة التواصل مع محيطنا، فالهدوء لو كان متاح في عالمنا لاستغنى البشر عن بعضهم البعض. نعم، التواصل والتفاعل ليسا مغريان في حال توفر ووجد الهدوء في حياتنا.

يكاد رأسي يا صديقي ينفجر من هذا الضجيج، ومن إزعاج هذه الحقائق، فهل أنا مشارك في اغتيالي بعدم خضوعي وعجزي عن التأقلم؟ أقسم أنني غير مشارك، أقسم أنني عاجز عن الخضوع، أقسم أنَّ التحدي ليس خياري. أنا يا صديقي أضعف من أن أختار. نعم، هناك من اختار لي، فهل كان اختياره هذا عقابًا أم مكافأة، كرهًا أم حبًا؟

نعم يا صديقي، أنا لم أعد مُخيَّر باختيار أن أكون باحثًا فلسفيًا، ولربما لم أكن كذلك أيضًا باختياري ذلك. فهل كوني مُسيَّرًا أفضل وأسلم وأأمن لي؟ من ذاك الذي يُسيّرني، أهو الله؟ إذا كان هو سبحانه، فلقد نجوت، ولكن في حال كان غيره وهذا ما أخشاه، فأنا هالك، ضال. فكيف لي معرفة ذلك يا صديقي، على الأقل لكي أطمئن، لكي أتوقف عن التذمر، لكي أرضى، لكي يتاح لي التعايش مع بؤسي ومشقَّاتي وأحزاني وعذاباتي، كيف؟ نعم، لعلي لن أعرف، وذلك ليتاح لي الشك على الدوام، ليتاح لي البحث باستمرار، ليتاح لي التردد، ليتاح لي عدم التحدُّث والفعل باسم الله، ليتاح لي عدم التكلم بصيغة الأمر، ليتاح لي التواضع. نعم، لعل جميع الخيارات مُرَّة، ولها

عواقب، ولهذا لربما كان من الأفضل لنا التعايش مع ذلك الخيار الذي ابتلينا به، والتوقف عن التذمر.

دعك من شكواي وتذمري وغضبي، فجميهم سينطفئون في لحظة ما، وتمني لي التوفيق في المكالمة التي سأجريها معها في الغد الذي سأحاول فيه إنهاء هذه المهزلة بشتى الطرق، والعودة لكتبي وأبحاثي وعزلتي.

صديقك المخلص

ت.ه

27 أيار (مايو)

صديقي العزيز ج.ل

بعدما راسلتك في الغد، أخذتُ أحاول تهدئة نفسي وإطفاء ذلك الغضب الذي كان يتنامى شيئًا فشيئًا في داخلي، وذلك من خلال مطالعة بعض القصص القصيرة. كنتُ أرغب بتأمل السماء اليوم ليتاح لي ذاك الصنف من السلام الذي يُتيح لي الاتزان، ولكن نهار هذا اليوم إضاءته كثيفة، لم أستطع تحمُّلها، لمكوثي في عتمة غرفتي طوال هذه الفترة.

هل كانت القصص مجدية معي البارحة واليوم؟ الإجابة هي لا. أطفأتُ ذلك الضوء الخافت الذي أستعين به للمطالعة، واستلقيتُ على أرضية غرفتي أحاول التزود بذلك القدر من الهدوء الذي تبثُّه في النفس العتمة. هل كان هذا مجدي؟ نعم، لقد أفلحتْ العتمة في إطفاء غضبي، ولطالما نجحتْ في ذلك.

ما هو السر وراء هذه القدرة للعتمة؟ لعل ذلك لقدرتها على تجريدنا من تلك الأفكار المزعجة والملتصقة بنا على الدوام، لقدرتها على إشغالنا بأفكار وتساؤلات أعمق وأكثر إلحاحًا وجاذبية.

نعم، إطفاء النور، إطفاء لذلك الاكتظاظ والتدافع والتصادم للأحداث والأفكار والتساؤلات. يا إلهي ما أعظمها تلك النعمة التي نهدرها عند إطفاء النور بالنوم. نعم، تلك حماقة لن تُغتفر لنا نحن البشر.

لقد تحصَّلتُ من العتمة على ذلك القدر من البلادة اللازم لإنهاء المكالمة بأمان، وذلك باطلاعها لي على تلك السناريوهات المأساوية الكارثية لعالمنا، والتي أطفأتْ أثر كل سيناريو مأساوي لما نويت فعله مرتجلًا. نعم يا صديقي، لقد مُنحتُ ذلك القدر من الهدوء الذي كان بمقدوري به لعب كافة الأدوار عند مكالمتها، دون ارتباك وخوف من احتمال اكتشافها لعبتي.

صدِّقني يا صديقي، أنا لم أضع هذا الاحتمال إلا لأضمن ألا أغتر بنفسي أمامها، مع إدراكي أنها بما هي عليه من سذاجة، عاجزة عن اكتشاف ذلك. نعم، كيف لساذجة مثلها أن تكشف نواياي وتدرك خططي؟! لن يتاح ذلك لها أبدًا، ومع ذلك حاولتُ عدم الاستخفاف بها، والتحلِّي بالجدِّية في التعامل معها.

لعلك يا صديقي تكذبني وتذهب للتأكيد على صحة اعتقادك بالقول بأنني لم أخطط طوال الأيام الماضية لِمَا سأقوله لها أثناء المكالمة، ولِمَا سأسأل أو سأجيب عنه، ولِمَا سأدفعها لفعله، مكتفيًا بحيازة الهدف فقط، مؤكدًا بأنَّ هذا استخفاف. دعني أدافع عن نفسي. يا صديقي، التخطيط لا يكون إلا بتوفر التنبؤات والتوقعات، وأنا مع امرأة مثل هذه عاجز عن التنبؤ والتوقع، فسذاجتها ومحدودية ثقافتها، تُعجزانني. وأيضًا يا صديقي، أنا عند التخطيط أُحب تقدير خصمي، وهي بسذاجة تُعجزني عن منحها التقدير والاهتمام.

يا إلهي كم كنتُ أود لو كان لديها الحد الأدنى من الثقافة، الحد الأدنى من الاتزان، لكي يتاح لي التعامل معها بما يليق بي. نعم، أقسم أنني أستخسر فيها الوقت الذي أحتاجه للتخلُّص منها. هناك من تنسجم معهن عاطفيًا على الأقل في بعض النواحي، أما هذه فليس بمقدوري لا عاطفيًا ولا فكريًا ولا روحيًا الانسجام معها. هذا الفراغ الذي هي عليه، ليس بمقدوري احتماله.

دعني الآن أطلعك على تفاصيل المكالمة التي جرت بيني وبينها، وكيف تلاعبتُ بها نفسيًا لضمان انسحابها، أو بالأحرى انسحابي.

كان موعد اتصالها العاشرة مساءً، إلا أنها أخلَّت به، فأخذتُ أنتظرها مرجحًا أن يكون سبب تأخرها ترددها بالبوح بما تخفيه، أو ترددها بالانسحاب، وهذا جعلني مُتحمسًا لوضع لمستي، وتبديد ترددها.

رن الهاتف بعد الموعد المتفق عليه بعشرين دقيقة، وعندما رفعتُ السماعة ووضعتها على أذني سمعتُ على الفور صوت أنفاسها الذي يوحي بالخوف،

وحينها قررتُ عدم البدء بالكلام والاستمرار بالاستماع إلى ذلك النغم الجميل، وبعد لحظات أخذتْ بالكلام:

- مساء الخير

- سعيد بسماع صوتكِ مجددًا.

لم أرد عليها تحية المساء، بهدف إرباكها وبعثرة خطط تحوطها، ولقد نجحت في ذلك، فسألتْ مباشرة:

- لماذا لم تتقدَّم لخطبتي قبل سنتين عندما كنتُ في مدينتنا؟

هنا أدركتُ يا صديقي أنَّ الإجابة غير مجدية، فلقد سبق وقدمتُ إجابات عديدة ومتنوعة في رسائلي إليها على هذا السؤال، ومن سؤالها أيضًا رجحتُ بأنها تريد مساعدتي بدفعها للبوح، فقررتُ طرح سؤال بدلًا من تقديم إجابة، فقلتُ:

- هل تتمنين لو كنتُ أقدَمتُ على ذلك في تلك الفترة؟

هنا يا صديقي ارتبكتْ وصمتت للحظات، ثم قالتْ:

- كنتُ أفضل ذلك.

ولكنني يا صديقي شعرتُ بأنني آذيتها بدفعها لتقديم هذا الاعتراف الذي جرح كبريائها، فقلت:

- وأنا أيضًا تمنيتُ لو أنني قمتُ بذلك من قبل.

ولكنني شعرت أنني أخطأت بتعاطفي، فقررت مواصلة السؤال، فقلتُ:

- كنتُ سأتفهَّم غضبكِ مني في حال كنتُ وعدتكِ بذلك في فترة ما، ولم ألتزم بتعهدي، أو في حال كنتُ على علاقة بكِ في تلك الفترة، أو في حال كنتُ لمَّحتُ لكِ بأنني أنوي فعل ذلك، أو في حال كنتُ قد أوصلتُ رسالة مع أحدهم، أُعلِمكِ بها بنيتي التقدُّم إليكِ.

وما أنْ انتهيت، حتى شعرتُ أنني قسوتُ عليها كثيرًا، فقررتُ تخفيف حدة قسوتي بالقول:

- مع ذلك أنا لا مشكلة لدي في التعامل معكِ وأنتِ غاضبة، فأنتِ جميلة في جميع أحوالكِ المزاجية.

غزلي لم يُلطِّف الأجواء التي أشعلتها قسوتي، فوجدتها غاضبة ومتعجبة، وأخذتْ تقول:

- كيف ذلك؟ لقد أخبرني أحدهم أنك تحاول إيصال رسائل غير مباشرة إليه، توحي بنيَّتك الإقدام على ذلك؟

- من هو هذا الشخص؟

- اعذرني، لن أستطيع الكشف عنه.

هنا يا صديقي أدركتُ أنني أخطأتُ بقسوتي تلك، فلقد غفلتُ عن نيتي عدم الكشف لها عن كذب والدها الذي أنا على يقين بأنه هو من فعل ذلك. ذلك الأحمق الخبيث، مع أنني كنتُ على الدوام أعرب أمامه عن نيتي بعدم الزواج طوال حياتي، لكي أصرفه عني وأصدَّ طمعه بي، إلا أنه واصل ألاعيبه. أقسم أنني لو كنتُ قادر على تحمُّل إطالة أمد خطتي، لجعلته يدفع الثمن، وذلك بتحميله مسؤولية عدم زواجي بها بعدما علَّقها بي، وبالتالي إيقاع الخصومة والعداوة بينه وبينها. يا له من أحمق، أيعتقد أنني غير مدرك لألاعيبه، أيعتقد أنه ذكي ماكر، أيعتقد أنه بما عليه من غباء وسذاجة قادر على خداعي؟!

لتلطيف الأجواء، أدركتُ أنني بحاجة لرد وجواب دبلوماسي، لتفادي صدامهم في هذه الفترة التي أنا فيها بحاجة إليها متوترة، مرتبكة، مرهفة الإحساس، راغبة بالانسحاب، فقلتُ:

- أنا لا أُطلِع أحد على عواطفي ومشاعري، ولا أُعلم أحد بخططي ونواياي، فالسرية أتخذها منهجًا في هذه الحياة.

وهنا يا صديقي شعرتُ بأنني أخطأت، فلقد أحسستُ بأنَّ إجابتي ستدفعها للتكتم. وأيضًا شعرتُ أنَّ إجابتي جرحتْ كبريائها مجددًا، فكوني مطلوبًا بخلافها جارح جدًا لها، ومُزعزع لثقتها، ومثير لغضبها. ومع ذلك يا صديقي وجدتُ نفسي مبالغًا في الاعتقاد بقدرتها على الالتفات لذلك، فهي كما سبق وأخبرتك بسيطة جدًا، تدفعها مشاعرها وعواطفها للفعل، وهذا ما يجعل تلاعبي بها أسهل مما تتصور. وأيضًا هي سريعة الغضب، ولهذا يسهل عليَّ توجيهها والتلاعب بها، ودفعها لما أريد منها القيام به، فلا تفكير مع غضب.

ردَّتْ عليَّ مصدومة وغاضبة:

- ماذا تقول؟! كيف تَجرَّأ على فعل هذا معي؟

فشعرت أنني ملزم بتلطيف الأجواء، فقلتُ مدعيًا:

- لربما صَدَرَ عني فعل أو قول أوحى له بهذا، ربما كان دافعه الأمل، ربما كان دافعه رغبته في رؤيتكِ سعيدة، لربما شعر بأنني أحبكِ. أرجوكِ، لا تلوميه، ولا تغضبي عليه.

لا يا صديقي، الآن ليس وقت الانتقام، وإنما وقت دفعها للانسحاب، لإنهاء هذه المهزلة، ولهذا كنتُ مضطرًا لقول ذلك.

هدَّأتها كلماتي قليلًا، ولكن بقي لديها قدر من الغضب دفعها لتقديم اعتراف. قالتْ بعد لحظات صمت:

- أنت السبب أيضًا، فلو تقدمتْ لخطبتي في تلك الفترة، لما حدث معي ذلك.

هنا يا صديقي اعترفتْ بأنها تخفي سرًا كبيرًا، وذلك لربما بسبب غضبها ورغبتها بالانتقام من أبيها الذي لربما حثها على عدم البوح لي به. ما هو هذا الذي تخفيه؟ ألعدم إرسالها صورة علاقة بذلك الذي تخفيه؟ ألخروجها المفاجئ من مدينتنا قبل سنتين علاقة بذلك؟ ألطلبهم مني التقدُّم إليها في هذه الفترة علاقة بهذا السر؟ ألمحاولاتهم المتواصلة في تسريع إخراج الأوراق الرسمية للخطبة علاقة بذلك؟ ألرغبتهم الشديدة في إشهار الخِطبة علاقة بذلك؟ أيحاولون إلصاق التهمة بي، في حال كان هذا التكتُّم يُخفي جريمة ما؟ نعم، اعترافها لي بوجود ما تخفيه في لحظة غضبها من أبيها، دليل على وجود ضغط كبير منه عليها للتكتم والإخفاء. أيضًا طلبهم مني في البداية بالسعي للتعرُّف عليها والتحدُّث معها فقط للتأكد فيما إذا كانت تناسبني، ثم مطالبتهم لي بالزواج منها بسرعة، دليل آخر على وجود هذا السر الخطير. ولكن يا صديقي، أيضًا طمعهم دليل على أنهم ابتلعوا طعمي. نعم، الآن أنا متأكد أنَّ الجميع متيقنون أنني واقع في حبها. وهناك شيء آخر يا صديقي لا بد أنك لاحظته أيضًا. غضبها عليَّ، وتحميلها لي مسؤولية ماجرى معها، إما أنه دليل على أنها تُحمِّل الجميع المسؤولية عما جرى، وإما أنه مؤشر على أنها تحاول دفعي للشعور بالذنب، لاستغلالي ودفعي للسعي لتعويضها من خلال تقديم التنازلات. يا لجشعها، حتى وهي غاضبة تخطط لاستغلالي. ولكن انتظر، ماذا لو كان غضبها هذا، ما هو إلا محاولة لخداعي، أي هو مجرد تمثيل. لعلِّي أبالغ في تقديرها. نعم، ما كانت ستطلعني على أنها تخفي أمرًا، لو كانت تمثِّل دور الغاضبة، فهي لم تكن بحاجة لذلك. نعم، لعلها

أشركتني كسبب فيما جرى معها، لدفعي للتعاطف. نعم، هي الآن تتسول التعاطف. لعلِّي أسيء تقديرها، نعم لعلها خطيرة حتى في لحظات غضبها. لا، هي ليست كذلك، هي فقط معتادة ربما على تسوُّل التعاطف، وتحميل الآخرين مسؤولية أخطائها حتى وهي غاضبة، هي فقط مُعتادة على الطلب. نعم، هي جشعة، مُدللة، تعتقد أنها تستحق حيازة كل ما ترغب به وكل ما تطلبه بدون سعي وعمل وبذل للجهد. نعم، هي فارغة، نرجسية، ترى في نفسها ما هو ليس لديها، تعتقد بأنها مُستحقة على الدوام. هي يا صديقي أفقر مما تتصور، ليس لديها أي استعداد لإغناء نفسها، فلماذا أحاول معها، لماذا أمنحها وقتي الثمين؟! كنتُ هنا مضطر في الرد عليها إلى خداعها، بالإيحاء بأنني مُخطئ ونادم، لكي يتسنى لها اطلاعي على ما تتهمني أنني مشارك فيه، فقلت:

- أعتذر على كل ما سببته لكِ، قلبي آسف أشد الأسف.

- أنت لا تدرك كم عانيتُ طوال هذه الفترة بسببكم جميعًا. لن أغفر لأحد، فلا تعتذر أرجوك.

انظر إلى سذاجتها يا صديقي، أبهذه تطلبون مني الارتباط؟! أنا لا أحتمل هؤلاء الذين يُحمِّلون الآخرين مسؤولية أخطائهم. نعم، إنهم لا يفعلون ذلك إلا لتجنيب أنفسهم اللوم والتقريع والعقاب، إنهم يهربون من عتاب ضمائرهم، إنهم يلومون الله والكون والبشرية والطبيعة. أقسم يا صديقي، أنني بالكاد أستطيع احتمالها الآن، بالكاد أستطيع كبت غضبي تجاهها، بالكاد أستطيع كبت رغبة نفسي بالانفجار بوجهها مصارحًا إياها بالحقيقة.

هنا كنتُ مضطر في الرد عليها للتراجع قليلًا، لأدفعها للتقدُّم والبوح، فقلتُ بنبرة اللامبالي البليد:

- كما ترغبين.

فقالتْ مستشعرة بالخطر:

- أنا أُقدِّر اعتذارك، ولكن للأسف الآن هو لا ينفعني.

- سأحاول إذًا تقديمه في وقت أنسب.

- شكرًا لتفهُّمك، وصبرك علي.

- لا داعي للشكر، فأنا المخطئ.

أرأيت يا صديقي، هي تدرك أنني صابر عليها، أنني أحاول احتمال سذاجتها، وتقبُّل اتهامها لي بأنني مشارك فيما حدث لها.

سألتني بتعجب:

- ألن تسألني عما جرى معي؟

- أنتِ الآن في حالة مزاجية لا تسمح لي بالسؤال، وأيضًا أفضل عدم الضغط عليكِ، فلربما لا تريدين البوح.

بهذا الرد يا صديقي حاولتُ استدراجها للبوح، وذلك بالادعاء بأنني مهتم لأمرها، ومراعي لحالتها المزاجية، ومتفهم لرغبتها بعدم البوح. هذه المثالية يا صديقي فعَّالة مع جميع النساء، ولربما معظم النساء تستحقها، ولكن هذه لا تستحقها مني على الأقل لجشعها، ومع ذلك أنا بحاجة للتظاهر بها معها فقط للاطلاع على ما تخفيه وتخطط له.

ردَّتْ عليَّ بتعجب:

- يا إلهي، لماذا أنت جميل إلى هذا الحد! نعم، أنا لا أستحق شخص مثلك.

هذا يا صديقي بالضبط هو الشعور الذي أريدها الشعور به، نعم هذا الشعور وحده من سيتيح لي التخلص منها بسرعة، ولهذا تفاءلت بإجابتها.

رددتُ عليها محاولًا مجاملتها ومغازلتها، لتعزيز هذا الشعور، ولدفعها للإفصاح عما تخفي، قائلًا:

- بل أنا الذي لا أستحق بجبني وترددي امرأة مثلكِ، صريحة، نزيهة، وديعة، رقيقة، متواضعة، قنوعة.

- يا إلهي، أحقًا هناك وجود لمن هم مثلك في هذا الكون!

بقولها هذا يا صديقي تأكدتُ أنها مرت بتجارب عاطفية كثيرة، فهذا الحكم على الرجال لا يصدر إلا عن امرأة لها تجارب معهم، امرأة في أحيان مجروحة ومخدوعة ومُضلَّلة ومُستغلَّة. هل بَعْد تلك الفترة التي لم يتقدم فيها أحد لخطبتها وهي في مدينتنا، أخذتْ بالبحث عن ذلك الشخص الذي تريد الارتباط به، فاصطدمتْ بأشخاص قاموا باستغلالها، مما دفعها لليأس، ولهذا هي متفاجئة من وداعتي؟ هل ذاك اليأس قادها لجريمة أو ذنب ما، أم هو الغضب الذي سبق اليأس من دفعها لذلك؟ هل الغضب أم اليأس من قادها

لارتكاب فعل مخالف لقناعاتها الدينية، أو فعل مخالف لعرف مجتمعنا أو مخالف للقانون؟ هل ما تحاول إخفاءه جريمة أم معصية أم فعل مُعيب؟ هل تحاول التغطية على ذلك بالزواج بي، أم تحاول إشراكي في ذلك، أم تحاول إلباسي التهمة، أم تحاول طلب مساعدتي في ذلك؟ جميعها احتمالات واردة، وجميعها أسئلة أتمنى ألا أكون مضطرًا لانتزاع إجابتها منها. نعم يا صديقي، أنا أفضِّل انسحابها الآن، وإلا سأكون نظرًا لخطتي التي سألجأ إليها في حال فشلتُ بدفعها لذلك، إلى انتزاع الإجابات عن جميع تلك الأسئلة. صدِّقني، ليس لدي الفضول لمعرفة أي شيء عنها، ففضولي احتكرته لنتائج أبحاثي ولإجابات أسئلتي الفلسفية ولمقاصد النصوص التي أقف عليها، ولهذا أرجو نجاحي في دفعها للانسحاب. نعم، لا أريد معرفة شيء عنها، لكي أضمن ألا يدفعني تعاطفي لمساعدتها، بدلًا من مساعدة الإنسان الذي كرستُ حياتي له، لكي لا أشعر بأنني مُلزم بتقديم المساعدة بمعرفتي. نعم يا صديقي، حتى والديها يتسولان مني التعاطف، وإلا ما كانا طلبا شخص مثلي لديه طموح وأهداف لامرأة مثلها لا أهداف لديها. نعم، لو استمرتْ بطلب ذاك الذي تعتقد أنها تستحقه، فستبقى بدون زواج، ولو استمر والداها بطلب ذاك الشخص الذي هو أكثر مما تستحقه، سيعيقان التقاءها بذلك المناسب لها.

قمتُ بالرد عليها محاولًا تصويب وجهة نظرها في الرجال، وتعزيز شعورها بأنني كثير عليها لدفعها للانسحاب، قائلًا:

- لماذا تُضخمينني إلى هذا الحد؟! أنا كباقي الرجال، بل هناك الكثير ممن هم أفضل مني، ولهذا أجد نفسي خائفًا من أن أكون لستُ مستحقًا لكِ، وبطلبي لكِ أُعيق تقدُّم من هو أفضل مني لكِ. نعم، أنا يعنيني أن تكوني سعيدة، أن تكوني في أفضل حال، أن تكوني مع ذاك الذي هو مستحق لكِ، حتى ولو كان ذلك هو غيري. أنا لستُ أنانيًا، لستُ جشعًا، ولهذا خائف من خطوتي، ولربما لهذا السبب أيضًا تأخرتُ بها. نعم، هذا هو سبب جديد أقدمه لكِ لتأخري بجانب تلك الأسباب التي قدَّمتها، ولهذا أرجو أن تتفهَّمي أسباب تأخري يومًا ما.

- أحقًا هذا سبب؟

- نعم، هو كذلك.

سؤالها يا صديقي يوحي بأنَّ ذلك أثَّر فيها، وبالتالي لربما يكون دافع لها للانسحاب. بعدما سكتتْ للحظات سألتني:

- لماذا لم تسأل عنه إلى الآن؟

- لا أريد أن أجرحكِ بالعودة بكِ لماضٍ مؤلم لكِ.

- صارحني، أأنت خائف على مشاعرك أم على مشاعري؟

- سبق وأخبرتكِ أنني لا أتأذى من ميل القلوب، بل أفرح وأسعد به.

- أتريد مني التحدُّث عنه؟

- إذا كان هذا يُريحكِ، فلا بأس.

- أهذا يؤذيك؟

- بالتأكيد لا. أتريدين مني مساعدكِ في التحدُّث؟

- أرجو منك ذلك، فهذا يُسهِّل عليَّ.

- إذًا دعينا نبدأ. كيف تعرَّفتِ عليه؟

- هو كاتب مقالات، كنتُ أقرأ له وعندما قابلته أعجبتُ به، وحينها بدأت بالتواصل معه.

اكتشفتُ يا صديقي من إجابتها كذبها، فهي لا تقرأ، فسلوكها وحديثها ومواضيعها واهتماماتها وفي تعبيرها عن مشاعرها توحي بذلك. فسألتها بدافع التأكد، وهنا كنتُ مخطئًا، فذلك لا يحتاج للتأكيد لوضوحه، ولكون رغبتي بالتأكد قد تجرحها، وبالتالي توقفها عن البوح:

- من غيره من الكُتَّاب أُعجبتِ بمقالاتهم، ولما لم تحاولي التواصل معهم؟

- بالتأكيد أعجبتُ بكتابة غيره، ولا أعلم حقيقة دافعي للتحدث معه على وجه التحديد.

هنا يا صديقي توقفتُ قليلًا، خوفًا من أن يكون دافعها لي لمساعدتها في البوح عبر الأسئلة، محاولة منها للتأكد من طبيعة وحقيقة مشاعري تجاهها، أو للتعرُّف عما إذا كنتُ أغار عليها أم لا أفعل، فأخذتُ بسؤالها وقد تلبَّستُ دور العاشق المجروح بالبراءة التي تظاهرتُ بها:

- هل أحببتِه وأحبكِ؟

- نعم، أحببته جدًا.

- لم تُجيبيننى عن كامل سؤالي، أي عما إذا كان قد أحبكِ، وهذه هي المرة الثانية التي تتهربين فيها من الإجابة. لا تعتقدي أنني أضغط عليكِ، فكل ما أحاول فعله مساعدتكِ.

قالت بغضب:

- تساعدني في ماذا؟

هنا يا صديقي ملتُ لاحتمال أنها قد تكون مجروحة بحق من علاقتها معه، فقلتُ بحذر:

- أعتذر إذا كانت كلمة "أساعدكِ" جرحتكِ. صدقيني، لم أقصد بها أن أغضبكِ. نعم، جروح الحب لا يداويها أحد، وعرض المساعدة لمداواتها ما هو سوى وقاحة وقلة ذوق مني.

- شكرًا لتفهُّمك، وأعتذر على انفعالي عليك، فالجرح بعْده جديدًا.

- جروح الحب على الدوام تكون جديدة، مهما مر عليها من وقت.

نعم، أردتُ بهذه الردود دفعها للتخلص مني، وذلك بدفعها للاعتقاد بأنني لا أستحق تحمُّل معاناتها مع شخص آخر.

قالت بنبرة تلمَّستُ فيها الخبث:

- أتعتقد ذلك حقًا؟

- نعم، هي كذلك.

- كيف تعرف ذلك؟ أجرحتك إحداهن؟

- سبق وأخبرتكِ أنه لم يسبق لي أن كنتُ في علاقة مع إحداهن. معرفتي من اطلاع لا من تجربة.

- ولهذا كان الأجدر بك عدم الوقوع في الحب، فلماذا وقعت في حبي؟

- الوقوع في الحب ليس بإرادتنا.

- بل هو بإرادتنا. اعتقادك هذا سبب حزني عليك. نعم، ستعاني لو بقيت متمسك به.

- إذا كان بإرادتنا حقًا كما تعتقدين، فكيف تفسرين عجزنا عن التداوي من جروحه، كيف تفسرين كون الخروج من حفرته ليس بإرادتنا؟ لماذا أنتِ عاجزة عن تخطي حبكِ له؟ لماذا أنتِ عاجزة عن مداواة الجروح التي سببها لكِ؟

هنا يا صديقي أردتُ دفعها للعودة إليه والتخلص مني، ولربما هذا أثَّر فيها، فهي لم تجبني على ذلك، ورجعتْ لمطالبتي بتوجيه الأسئلة إليها لمساعدتها في الإفصاح عنه، فاعتذرتُ منها متحججًا بقلة معرفتي بأحاديث العلاقات العاطفية، وبالتالي بعجزي عن طرح الأسئلة المناسبة، فقالت وقد فاجأها ذلك:

- لو لم تعرب لي فيما سبق عن حرصك على وضع الحدود في حديثك مع النساء، لأفصحتُ لك عن تلك الأحاديث التي دارت بيننا.

- ما علاقة حرصي على وضع الحدود، بإفصاحكِ عن مواضيع الأحاديث التي دارت بينكما.

- هي مواضيع جريئة، تتطلب التحرر من القيود وتجاوز الحدود.

هنا يا صديقي صُدمت، فلقد التقطتُ مقصدها بالمواضيع الجريئة، وأخذتُ أتساءل بتعجب عن كيفية طرق البعض لتلك المواضيع في علاقة طاهرة كالحب! نعم يا صديقي، الحب تليق به المواضيع الجادة، التي فيها الحدود محفوظة والمسافات مكفولة، فمن أين كان لهما القدرة على فتح تلك المواضيع. المواضيع الجنسية يا صديقي لربما لا يصلح لها ميدانًا إلا العلم. نعم، النقاش في علم النفس الكلاسيكي يستدعي التطرُّق لتلك المواضيع، النقاش في الانثروبولوجيا والسوسيولوجيا قد يستدعي أيضًا الحاجة للتطرُّق لتلك المواضيع، فهل كانت نقاشاتهم علمية، انثروبولوجية، سوسيولوجية، دينية؟ لا أعتقد ذلك، فثقافتها المحدودة لا تسمح بذلك، ولربما ثقافته أيضًا لا تسمح. نعم، هي لا تعرف ماذا يعني الحب، لكي تتحدث عنه، وتقول بأنها واقعة في الحب، ولهذا السبب يا صديقي أعتقد أنها كانت مُستغلَّة. يا صديقي حاجة الإنسان للجنس لا تتعدى بضع دقائق من يومه، ومع ذلك نجد عصرنا غارق في مناقشة قضاياه وإثارة الأحاديث الجادة أو الساخرة عنه، وتفسير السلوك البشري كله من خلاله، وتحليل الاقتصاد والاجتماع والسياسة

بواسطته. نعم، هذه الأولوية للجنس على غيره في تفسير السلوك والنشاط البشري، سيدفع عالمنا هذا ثمنًا باهظًا بسببها، سيكون مصير الإنسان بها سوداويًا، وهذا يا صديقي يستوجب من الفلاسفة تقديم حل لهذه المعضلة قبل فوات الأوان. نعم، لقد أُشغلتْ الشعوب عن المطالبة بحقوقها، لقد أشغلت عن ثوراتها، لقد أُشغلت عن القضايا الجوهرية، لقد أُشغلت عن النقاشات الجادة، وذلك بإثارة القضايا الجنسية على الدوام. نعم، لقد سعت الحكومات لإماتة الحراك الثوري للشعوب من خلال إثارة هذه القضايا التي تسببت لكثرة النقاش والحديث فيها بوجود انحرافات جنسية، تهربت الحكومات من مسؤولية وتكلفة تقديم العلاج لها، وذلك من خلال توصيفها على أنها سلوكيات طبيعية فطرية.

ها أنا يا صديقي بسبب غضبي من وقاحتها وتبجحها بادِّعاء معرفتها لماهية الحب أغالي في التوضيح، فدعني أعود لاطلاعك على بقية الحديث الذي جرى بيننا.

قلتُ مستكفيًا بما سمعت، وراغبًا بعدم إتاحة المجال لها للتحدث معي في تلك المواضيع إلا لدواعي مرضية وأملًا في علاج:

- هي مواضيع بالفعل لا تستهويني إلا في نطاقها العلمي والعلاجي، ومع ذلك إذا كانت لديك رغبة في الحديث، فأنا كُلي آذان صاغية.

- إنك ممل بعض الشيء، ألا تلاحظ ذلك؟

- لربما مايثير اهتمامي وحماسي ليس هو مايثير اهتمامكِ وحماسكِ، ولهذا لربما وصفكِ لي بالملل غير عادل، ومع ذلك أنا متقبله، فالعدل والظلم منكِ مستطابان.

- شكرًا لك، وأعتذر على قسوتي عليك.

هنا يا صديقي أردتُ العودة لما حاولتُ استغلاله لصالحي، فلملمتُ أطراف الحديث للخروج بالنتيجة التي أسعى إليها، وذلك بالسؤال:

- أأحبكِ؟

أجابت بعد صمت، وبصوت خافت:

- لا أعلم، لستُ متأكدة.

- أشعرتِ أنه يستغلكِ.

- لا، لم أشعر بذلك.

توقعتُ إجابتها، فساذجة مثلها لن تشعر بذلك، فهي لا تعرف معنى الاستغلال، فسألتُ:

- هل سبب الانفصال خيانة؟

- علاقاته النسائية كثيرة، ولذلك لا أعلم.

- هل رأيتِ أنه لا يناسبكِ، فقررتِ الانسحاب؟

- لا، الأمر ليس كذلك.

- فما هو السبب إذًا؟

هنا يا صديقي لم تجب، وبقيت صامتة للحظات، فسألتها قائلًا:

- هل كنتُ السبب فيما جرى بينكما، هل تقدمي إليكِ دفع والديكِ لرفضه، هل فضلوني عليه؟

- لا لستَ السبب، فلقد حدث ذلك قبل تقدمك ببضع أيام.

هنا يا صديقي تعرَّفتُ على سر طلب والديها مني التقدُّم إليها. نعم، هما قدَّماني كبديل ليُتيحا لها القدرة على تجاوز أزمتها النفسية التي تسبب بها الانفصال. بَعْد يا صديقي لستُ متأكد من صحة ذلك، فلربما وجوده ليس حقيقيًا، فقد يكون ادعاء وجوده الهدف منه الإيحاء لي بأنها مطلوبة ومرغوبة لإثارة غيرتي عليها للدفعي للتمسك بها، أو لدفعي للتعاطف معها.

في تلك الأثناء يا صديقي لم يكن أمامي خيار إلا الاستمرار باللعب على احتمال أن يكون وجوده حقيقيًا، وذلك للتلاعب بها ودفعها للانسحاب. قلتُ بعد إجابتها بنبرة غير المكترث وغير المبالي:

- إذًا فأنتِ لا ترغبين بالإفصاح عن سبب انفصالكِ عنه. لا بأس، إذا كان هذا يريحك.

هنا لم ترد عليَّ وبقيتْ صامتة للحظات للتهرُّب، فسألتُ:

- هل انفصلتِ عنه حقًا، أم لا زلتِ تراسلينه؟

- سبق وأخبرتك أنني انفصلت عنه، لماذا تحاول استفزازي؟

- أعتذر على ذلك. هل أنتِ من انفصل عنه، أم هو من انفصل عنكِ؟

- أسئلتك بدأت تستفزني حقًا.

في تلك اللحظات كنتُ مضطر لدفعها للغضب، فبه لن يكون بمقدورها الحذر والالتزام بما ألزمتُ نفسها بقوله أو بالأحرى أُلزمت. نعم، لربما هناك من يحاول إلزامها بالتحدث في مواضيع محددة، من يحاول دفعها لعدم مصارحتي والإجابة عن أسئلتي.

سألتُ قائلًا بمكر واضح:

- قبل تعرُّفكِ عليه كان لكِ تجارب عاطفية مع آخرين، أليس كذلك؟ لا تقلقي من إجابتي بصراحة، فأنا سبق وأكدتُ لكِ على عدم احترامي للعادات والتقاليد الرجعية لمجتمعنا.

نعم يا صديقي، أنا لا أحترم عادات وتقاليد مجتمعنا الرجعية، ولكن يا صديقي أحترم احترام والتزام البعض في علاقاتهم العاطفية بمنطلقاتهم العقائدية، فتلك العلاقات بدون بعض الضوابط والقيود والعقبات الذاتية الداخلية، سريعة التفكك، وأيضًا تتسبب بانحرافات سلوكية. نعم يا صديقي، الحرية لا تعني التحرر من الضوابط الشخصية التي تتشكل من انتماء ديني أو أيديولوجي أو من إلزام فطري، وإنما تعني التحرر من قيود تلك العقائد والأيديولوجيات والثقافات التي لا ننتمي إليها، ومن القيود الخارجية لتلك العقائد والأيديولوجيات والثقافات التي ننتمي إليها. الضابط يا صديقي يتوقف عن كونه قيد في حال تحرر من كونه إلزام خارجي ينبع من سلطة المجتمع أو الحاكم أو الأب أو المحيط أو الدولة، إلخ. هذا لن أكشف لها عنه الآن، فهي غير مستعدة له بعد، وغير جاهزة لتقبلي به الآن.

أجابتْ يا صديقي بعدما أطلقتْ بعض الضحكات التي سمعتها منها للمرة الأولى:

- يا إلهي كم أنت مرعب!

- مرعب؟!

- نعم، شدة ذكائك ودقة ملاحظتك ونفاذ أسئلتك، جميعها صفات تجعلك خطير، ومخيف.

- أعتذر، لم أقصد إخافتكِ.

- يا إلهي، أأنت وديع هكذا على الدوام. إحساسك مرهف أكثر مما هو لازم. نعم، يبدو أنك لا تناسبني، يبدو أنك أكثر مما أستحق. إذا استمريتَ معي سأجرحك كثيرًا. أنت رقيق جدًا، ولهذا أخاف عليك معي. نعم، لقد جرحك اعترافي أنني واقعة في حب غيرك، ولكنك أخفيت ذلك، وبقيتَ كما أنت معي، رقيق، حنون، متفهّم، وديع. اعترف ألم أجرحك باعترافي؟

هذا يا صديقي ما كنت أخطط له طوال المحادثة، ولهذا رأيتُ أنه لم يتبقَ عليَّ سوى دَفعة فقط لانتزاع قرارها بالانسحاب.

أجبتها بنبرة المتوجع:

- أنا قادر على احتمال جروحي، ولهذا لا تقلقي عليَّ.

- أنا آسفة.

- لا داعي للاعتذار، فأنتِ لم تخطئي.

بقيتُ صامتًا لأبين لها أنني متأثِّر، فسألتْ:

- لم أتمكن بعد من قراءتك. هل أنت حزين أم مكسور أم خائب الأمل أم ماذا بالضبط؟ حسك المرهف، ووداعتك وتفهُّمك السريع الذي لا تطالب معه بتوضيح أو تبرير أو دليل، هناك أسباب لها.

هذا يا صديقي سؤال لم أتوقعه من امرأة ساذجة مثلها، ولهذا صُدمتُ به. نعم، لربما قرأتْهُ هنا أو هناك، ولربما أحد ما حثها على طرحه، ولربما سمعَتْهُ من إحدى شخصيات مسرحية ما، من يدري؟

أجبتها بصدق في قسم من إجابتي، وكذبت في القسم الآخر، وذلك محاولة في التغطية على عيوب تمثيلي دور الكاذب، قائلًا:

- أنا مرهق. أنتِ عاجزة عن تصور كم هي الجهود التي بذلتها والتي مُتطلب مني بذلها في بحثي الفلسفي، وبالتالي عاجزة عن تصوُّر قدر حاجتي لامرأة أبكي على كتفها.

- لقد سبق وصارحتني بأنك تبكي، ولهذا سؤالي هنا: هل أنت بحاجة لكتف امرأة للبكاء عليه؟

هذا سؤال جيد منها يا صديقي. لقد غفلتُ عن كوني أخبرتها بذلك، ومع ذلك لم أتوتر، وأجبتها محاولًا ارباكها بالقول:

- نعم، لربما هذا الدور ثقيل عليكِ، أنتِ المُثقلة بالأحزان والهموم، لربما أنتِ غير مناسبة لهذا الدور، لربما أنا أناني بالطمع بهذا الدور. نعم، لربما أنا لستُ بحاجة لكتف امرأة للبكاء.

- نعم، أنت لست بحاجة لي.

- آسف، لم أقصد ذلك.

- إذًا، فهذا ما ينبغي عليك قصده.

وهنا عدتُ للسؤال بخبث قائلًا:

- أما زلتِ تحبينه؟

- أنا مجروحة هذه الفترة.

- هذه ليست إجابة سؤالي.

- أرجوك، لا تضغط عليَّ. لقد عانيتُ مما جرى معي في مدينتنا وما زلت أعاني، ولهذا ارأف بي. أنا لم أعد أحتمل المزيد، فراعِ ذلك رجاءً.

هنا يا صديقي عادت للتَّذرع بما جرى معها في مدينتنا وكان سبب في معاناتها وأخطائها اللاحقة، وهذا يا صديقي قد يكون فخ منها لدفعي للتعاطف معها وتعجيل إجراءات الزواج الرسمية، وإما فخ لدفعي لتقديم التنازلات لها، ولربما يكون بعض مما قالته حقيقيًا وبعضه ليس كذلك، ومع ذلك كنتُ مضطر للتعامل مع احتمال أنَّ كل ما قالته جرى معها في الحقيقة، آملًا وساعيًا لدفعها للانسحاب به من خلال التلاعب بنفسيتها بواسطة تبعات هذا الاحتمال عليها، فقلتُ محاولًا اكتشاف ما إذا كانت عودتها للتذرع بذلك الظرف رغبة بالإفصاح أم رغبة بزيادة فضولي وزيادة الغموض:

- ما هو ذاك الذي جرى معكِ في مدينتنا؟

- لا أستطيع البوح لك به.

- لماذا؟ أهو تهديد خارجي ما يمنعكِ؟

- أرجوك، توقف عن التحليل. لا تؤذيني رجاءً، لا تطرح الأسئلة التي لا يمكنني الإجابة عنها. أقسم أنَّ لدي رغبة بالإفصاح، ولكن خوفي يقتل رغبتي، فراعِ ذلك أرجوك.

هنا يا صديقي توصَّلتُ إلى احتمال مفاده أنَّ مانعها من الإفصاح تهديد والديها اللذين يتخوفان من انسحابي في حال علمتُ بما جرى معها. نعم، أنا متأكد أنها ليست متخوفة من احتمال انسحابي لضخامة الادعاءات التي قدَّمتها إليها في البداية، ولهذا راغبة بالإفصاح، ولكن خوفها من تعنيف والدها في حال علِم ببوحها، هو ما يُعيق سعييها لتحقيق تلك الرغبة. هل هو مشارك بما جرى معها، أم أنه يتخوف على سمعته؟ ولكن قبل ذلك، كيف تسمح له أن يكون لها مصدر خوف، كيف تسمح له أن يُعنِّفها وهي في دولة لا تكف عن سن القوانين الرادعة للسلطة الأبوية؟! نعم، هناك شيء كبير تخفيه. هل يُهددها بالقتل كما كان يُهدد أمها؟ هل في ضربه لها يترك الكدمات على وجهها كما كان يفعل مع أمها؟ هل ذلك الوضيع إلى الآن يفعل ذلك؟ نعم، لطالما كان رخيصًا، لا مبادئ ولا قيم ولا دين له، يلهث باستمرار وراء شهواته وأهوائه. نعم، هو بحاجة إلى علاج نفسي. لربما كان يُعنِّف على الدوام في صغره، لربما كان والده يعامل أمه باستمرار بعنف، لربما عاش في بيئة ذكورية، لربما عانى من ظروف مادية قاسية جعلته جشعًا. نعم، هو يستحق حزننا أكثر من غضبنا. نعم، هو بحاجة إلى جلسات علاجية عاجلة ومكثَّفة لتصويب قناعاته وتصوراته وبالتالي للتخلص من انحرافاته السلوكية. لربما أيضًا يا صديقي مانعها من البوح كبرياؤها، ورغبتها بالحفاظ على صورتها أمامي. نعم، اعترافها هذا سيجرحها كثيرًا، ولهذا لن أُلح عليها لتقديمه، ولن أكشف لها أنني توصَّلت إليه. نعم يا صديقي، حاجتها لتعاطفي، دليل على أنها فاقدة للحنان والأمن والحب في محيطها، محرومة من أدوار مهمة هي في أمس الحاجة لها في معاناتها، مثل دور الصديق والأم والأب والأخ والأخت. نعم، أسرتها المفككة سبب في تفاقم معاناتها. صدِّقني يا صديقي، دور الحبيب أو الزوج، دور ليس له شوق حارق إذا كانت الأدوار الأساسية في حياة الفرد فعَّالة. نعم، وجود الأدوار الأساسية في حياة الفرد، تحميه من الانحرافات السلوكية والعاطفية في علاقة مثل الحب، فالشوق الكبير لهذه العلاقة -المُتسبب في الانحرافات والزلات والأخطاء- أسبابه غياب فعالية الأدوار الرئيسية. نعم يا صديقي، الأسرة ذات الأركان المتينة التي فيها الأدوار فعَّالة، هي العامل الأساسي في سعادة أفرادها، ورقي وراحة المجتمع. للأسف يا صديقي، باتت الأجواء العائلية في زماننا البائس هذا، غائبة فيها هذه الأدوار، وهذا

هو سبب معاناة المجتمعات، هذا هو سبب الاحتراق النفسي للأفراد. ها أنا لحزني أغالي في التحليل مجددًا، فدعني أعود لأسرد لك ما جرى في بقية المكالمة.

لم أشأ أن أضغط عليها أكثر، فأخذتُ بالتلاعب بها نفسيًا، مُستغلًا ذلك الضعف الذي أبدته، وذلك لدفعها للانسحاب، بالقول:

- أنتِ في حالة نفسية وعاطفية لا ينبغي عليكِ فيها اتخاذ قرار في موضوع كبير ومصيري كالزواج. نعم، من الظلم دفعكِ لهذا الآن. إنني أشعر بأنني أستغلكِ بانتزاع موافقتكِ في هذه الفترة المريرة. نعم، لربما من الأفضل عدم التعجُّل في تسجيل الخطبة قانونيًا. ولربما من الأفضل لي التراجع، حتى أمنحكِ الوقت للتعافي. هل تُفضلين التراجع، واستئناف هذا لاحقًا؟ هل تريدين الانسحاب؟ أنا لا أستطيع أن أكون أنانيًا، نعم لا أستطيع أن أكون في علاقة، أنا فقط فيها الطرف الرابح.

هنا ارتبكتْ يا صديقي، وردَّتْ على بعض مما قلته بنبرة فيها خوف وتردد وقلق، كأنني منحتها بما قلته حجة لتُبرر بها ما تريده:

- نعم، أنا في حالة نفسية لا ينبغي عليَّ فيها اتخاذ قرار مهم كالزواج.

هل اقتنعتْ حقًا، أم هي تحاول الظهور بمظهر من بيده القرار، والقدرة على التحكم بمصيري في هذه العلاقة؟ نعم، لربما هي تريد بالادعاءات التي قدَّمتُها لها من البداية، استغلالي وذلك بالظهور أمامي بمظهر الطرف المُتحكِّم بهذه العلاقة، الطرف الذي ينبغي عليَّ أنا الطرف الأدنى تقديم التنازلات له، الطرف الذي يُفترض به تلويع الآخر والتلاعب به وبعواطفه، الطرف الذي ينبغي له الظهور بمظهر الخاسر من هذا الارتباط، الطرف الذي ينبغي لتضحيته بالموافقة المطالبة بالتعويضات. ألم أقل لك يا صديقي أنها جشعة، نعم هي على الأرجح تُفكِّر على هذا النحو. نعم، لربما تتباهى أمام الأخريات أنها مُسيطرة، مُتحكمة، قادرة على التلاعب، قادرة على الاستغلال، قادرة على أخذ وطلب ما تريد. هذه هي الطريقة البدائية والمعهودة للنساء الجشعات. لعل الفترة التي لم يتقدم فيها أحد لخطبتها أثَّرت في نفسيتها، فجعلتها بهذه الشخصية المُقززة لتستعيد أمام الأخريات صورتها التي حاولت على الدوام الظهور بها أمامهن. نعم يا صديقي، هي بحاجة لجلسات علاج نفسي، ليتاح لها تجاوز آثار تلك الفترة عليها.

في تلك اللحظة يا صديقي، لم أتعامل مع الاحتمال الذي عرضتُه عليك للتو، وتعاملت مع الاحتمال الذي مفاده أنها أخذت بالتفكير في صحة كلامي، فواصلتُ تلاعبي بها قائلًا:

- نعم، هذا صحيح. ستظلمين نفسك بالموافقة على الارتباط بي في حالتكِ النفسية هذه. لربما تُصدمين عند عودتك لحالتكِ الطبيعية بقراركِ، وتتساءلين بندم عن سر استعجالكِ. نعم، لربما هذه الخطوة تمنحك السعادة هذه الفترة، ولكنها لربما ستحرمكِ منها طوال الحياة. نعم، قرار الارتباط قرار كبير، مُخيف، مُرعب، لعبة الاحتمالات فيه مؤذية جدًا، ولهذا ينبغي عليكِ أن تكوني مُتيقنة، وهذا لن يتاح لكِ في حالتكِ هذه. نعم، ما أنتِ عليه لن يوفِّر لكِ هذا القدر من اليقين الذي يحتاجه هذا القرار، ولهذا عليكِ الانسحاب.

قالت بخوف:

- هذا صحيح، ولكن ...

هنا يا صديقي انتزعتُ حكمها الذي رغبتُ به، ولهذا كان عليَّ الأخذ بالانتقال للمرحلة التالية، والتي فيها عملية التهدئة وبث الطمأنينة وتبديد المخاوف وطرد التردد والشك، فقلتُ مقاطعًا:

- لا تقلقي، سأنتظركِ إذا رغبتِ إلى أن تتماثلين للشفاء، سأتقدَّم إليكِ مرة أخرى في حال رغبتِ في الوقت الذي ترينه مناسبًا لكِ. أنتِ بحاجة لفترة لا تقل عن سنة ليتاح لكِ تجاوز أزمتكِ النفسية.

هنا بقيتْ صامتة، فواصلتُ التحدُّث قائلًا بنبرة تبرهن على الحرص والحزن:

- نعم، حالتكِ صعبة للغاية، أنتِ بحاجة للبقاء وحدكِ، أنتِ بحاجة للمساحة، أنتِ بحاجة للمسافات، أنتِ بحاجة لفترة تغييرين فيها طريقة تفكيركِ وأسلوب حياتكِ ونظامها، أنتِ بحاجة لفترة تفكرين فيها في كثير من قناعاتكِ، أنتِ بحاجة لفترة لمراجعة أحكامكِ والنظر في ميولكِ. أقسم أنكِ ستظلمين نفسكِ باتخاذ قرار الارتباط في هذه الفترة وهذه المرحلة من حياتكِ، وهذا ما أتخوف عليكِ منه. نعم، هي خطوة لن تستطيعي التعامل مع تبعاتها في حال أقدمتِ عليها الآن، ولا أستبعد أن تُدخلكِ في أزمة نفسية أعنف مما أنتِ فيها الآن، وبالتالي تدفعكِ لخيارات صعبة وعنيفة جدًا. نعم، أنا خائف من إقدامك على أذية نفسكِ في حال اتخذتِ هذه الخطوة الآن،

وندمتِ عليها لاحقًا. نعم، حينها سأُتهم بأنني انتهازي استغلالي جشع، فهل تقبلين بهذه التهم المقززة العنيفة القاسية لي.

قالت بنبرة أوحتْ أنها مقتنعة بكلامي:

- نعم، أنت مُحق، سأظلمك بهذه الخطوة في حال أقدمتُ عليها الآن.

رددتُ عليها بسرعة لتصويب فهمها لكلامي:

- أنا لم أقل ذلك لخوفي على نفسي، بل لخوفي عليكِ. أرجوكِ، لا تلتفتي إليَّ والتفتي لنفسكِ ولتبعات ذلك عليكِ، وستجدين ذلك مخيف حقًا. أنا أستطيع احتمالكِ والتعايش مع حالتكِ، لأنني أحبكِ، ولكن هل أنتِ في مقدوركِ التعايش معي، وبالأخص وأنتِ في هذه الحالة؟ لا أعتقد ذلك.

- ألا يؤذيك التصريح بهذا؟

- لا، بل ما يؤذيني هو عدم قول ما أعتقد أنه في صالحكِ، نعم يؤذيني كل ما يؤذيكِ. عليكِ أن تدركي أنني سأكون سعيد بسعادتكِ، ومرتاح براحتكِ.

- لماذا أنت بهذا النبل؟ هذا سيضرك كثيرًا في هذه الحياة.

- صدِّقيني، أنا لستُ كما تعتقدين وتتصورين، أنا شخص عادي كباقي الرجال الذين تظلمينهم وتقسين عليهم بأحكامكِ.

- لا أنت مختلف.

- صدقيني، حالتكِ النفسية هي من توحي وتصوّر لكِ ذلك، وهي مخطئة في تصويرها، فأنا كغيري من الرجال.

هنا يا صديقي أردتُ عدم الانحراف عن هدفي، فقلتُ على الفور بدون منحها الفرصة للهرب بإثارة موضوع آخر:

- مما أنتِ متخوّفة، طالما أنتِ مقتنعة؟

فقالت وقد ارتجف صوتها:

- ماذا سأقول للجميع؟ سيحزنهم قراري. أخاف من إخماد تلك الفرحة التي تسبب فيها تقدُّمك لخطبتي.

- إذا كانوا سيحزنون حقًّا، فإن حزنهم سيمتد ليومين أو لثلاث لا أكثر. أرجوكِ تفهمي بأنَّ قرار الارتباط قرار مصيري، لا ينبغي عليكِ المجاملة به، أو حتى الالتفات لمشاعر الأخرين لاتخاذه. نعم، حزنهم لن يضاهي حزنكِ في حال منحتي الموافقة أو نقيضها في هذه الفترة. نعم، أنتِ الآن بالانسحاب لا ترفضينني بل تطلبين مني التقدُّم إليكِ في وقت لاحق مناسب لكِ. ولهذا أرجوكِ، قفِي بثبات وبشجاعة أمام الجميع، وحاولي تقديم وطرح الحجج التي زودتكِ بها، وأنا متأكد أنهم سيقتنعون. لقد اقتنعتِ بها، ولهذا هم سيقتنعون أيضًا. أرجوكِ، لا تخافي ولا تجبني في المطالبة بحقكِ. أرجوكِ، لا تعبثي بصورتكِ في مخيلتي، فأنتِ فيها شجاعة، متمردة، مُتحدِّية.

- معك حق، لا بد أن أفعل ذلك.

هنا يا صديقي كان لا بد لي من استغلال تلك اللحظة التي اقتنعتْ فيها، في حثها على القيام بذلك بسرعة، لضمان عدم تقلُّبها وتراجعها عن ذلك، فقلت:

- كلما أسرعتِ، كان الأمر أسهل عليكِ وعليهم. فالتأخير سيُطيل فترة ارتباطنا، وبالتالي سيُصعِّب عليهم تقبُّل ذلك.

- هذا صحيح.

- ما رأيكِ في مفاتحتهم اليوم بما عزمت عليه؟

- نعم، هذا أنسب توقيت لاطلاعهم على قراري. ولكن ماذا عنك؟

سؤالها هذا خبيث يا صديقي. هل استنتجتْ من طلبي منها الإسراع في الحسم، أنَّ انسحابها رغبتي وطلبي؟ نعم، لربما شعرت بأنني أنسحب، وأنني أدفعها لذلك للتخلص منها، ولهذا كان عليَّ الإيحاء بأنَّ هذا سيؤلمني، فأخذتُ بالقول بنبرة المُتألم الحزين البائس المتوجع:

- لا بأس، لا بأس، لطالما كنتُ قادر على التعايش مع أحزاني. أنا بحاجة للحزن لمواصلة الكتابة. نعم، كل رجل بحاجة لامرأة ترفضه لتتاح له الفرصة لأن يكون إنسان أفضل، ولهذا أشكركِ على رفضي، ولو مؤقتًا. صحيح، لن يكون بمقدوري تطبيب جروحي، فجروح الحب لا سبيل لمداواتها، ولكن سيكون بمقدوري الانشغال عن آلامها وعنفها بالمطالعة. نعم، بالبحث الفلسفي أنا قادر على المواصلة مهما عظُم فتك أحزاني وعنف بؤسي، ولهذا لا تقلقي عليَّ، وانتبهي لنفسكِ، فهي أحق وأحوج لذلك. نعم،

لطالما كان هناك صوت في عقلي يُطلعني على احتمال مرعب مفاده أنني سأبقى وحيدًا طوال حياتي، بأنني لن أرتبط بامرأة، مؤكدًا على أنَّ الحب لا يوصل، ولا أصْدُقكِ إذا قلتُ أنني لم أصدِّق ذلك الصوت ولم أشك بصحة الاحتمال الذي أطلعني عليه. ومع ذلك، لا أريد منكِ القلق من ناحيتي، فأنا إذا شئتِ سأعود لطلبكِ بعدما تتماثلين للشفاء. أريدكِ أن تعلمي بأنَّ قلبي لا يعرف التقلُّب، أي إذا أحب، يبقى محب على الدوام. نعم، قلبي لا يتسع إلا لواحدة، وأنتِ من قمتي باحتلاله، ولهذا لكِ الحق بالمطالبة بملكيتكِ في أي وقت تشائين فيه، في أي وقت ترينه مناسب لكِ، سواء كان ذلك بعد سنة أو سنين أو حتى عشر سنين. لا تفهميني بشكل خاطئ، أنا لا أقول ذلك للضغط عليكِ للالتفات إلي، وإنما لطمأنتكِ فقط. نعم، أنا لا أحاول بقول ذلك فرض نفسي عليكِ، وإنما إعلامكِ بأنني في حال توَّلد حب في قلبكِ لي سأكون موجود على الدوام لكِ. نعم، انسحابكِ لن يؤثِّر على حبي وطلبي لكِ، ولهذا انسحبي وأنتِ مطمئنة من ناحيتي.

- لماذا تقسو على نفسك إلى هذا الحد؟! ينبغي عليك البحث عن غيري. نعم، ستجد هنا أو هناك امرأة أفضل وأنسب مني لك. أنا لا أستحقك، لستُ حتى بمستوى وعيك وثقافتك. نعم، من هم مثلك بحاجة لامرأة بمقدرهم التواصل معها فكريًا، فلماذا تبقى معي أنا التي ليس في مقدورها توفير هذا لك.

إنها خبيثة يا صديقي، فهي تحاول اختباري حتى وهي بهذه الحالة. انظر كيف تحاول معرفة ما إذا كان انسحابها رغبتي، انظر كيف تحاول استدراجي لفخها. إنها جشعة أنانية، تريد مني انتظارها حتى لو قررتْ رفضي والانسحاب، تريد إبقائي مُعلَّق،تريد إبقائي على دكة الاحتياط. نعم، لربما تريد إجراء بعض المحاولات مع حبيبها، والرجوع إليَّ في حال الفشل. هل لديها قائمة فيها العديد من الرجال المُعلَّقين للمفاضلة؟ لا أعتقد ذلك، فهي بهذه السذاجة، قلة هم القادرون على احتمالها. هذه القلة تشبهها، لعوبة مثلها، لديهم قائمة من النساء مثلها. يا إلهي أَوَصَلَ الانحطاط في مجتمعاتنا إلى هذا الحد، أوصل الفراغ بالناس إلى هذا الدرك من السذاجة، ألم يعد للبشر مشاغل مهمة، ألم يعد لهم أهداف نبيلة، ألم يعد بحوزتهم تلك المقدرة على توليد الشعور بالندم على الوقت المهدر، ألم يعد لديهم احترام للمشاعر والعواطف الإنسانية، ألا يملُّون من الهزل والهزار واللهو والتسلية المستمرة؟! يا إلهي كم هو مُقزز هذا الانحطاط الذي وصلنا إليه. نعم، نحن بحاجة في حياتنا للجد والعمل والأهداف، لكي يكون في مقدورنا الاتزان. يا إلهي كم أنا غاضب، فدعني يا صديقي أكمل سردي ما جرى، لأعود لعتمة غرفتي لإسكات هذا الغضب.

هنا يا صديقي كان عليَّ طمأنتها والادعاء بأنني ابتلعتُ طعمها الذي لن يتاح لي التخلص منه، وأيضًا دفعها للسعي خلف ذاك الواقعة في حبه، والتمرد على معارضة أهلها عليه -في حال كان له وجود في الحقيقة-، فرددتُ بدبلوماسية:

- لنفترض أنَّ ما تقولينه صحيح. هنا أريدكِ أن تدركي أنَّ المرأة لا تُطلب لاستحقاقها، وإنما لصورتها عند الرجل، ولربما كذلك حال النساء في طلبهن للرجال، في تلك المجتمعات التي فيها الخطوة الأولى متاحة للمرأة. نعم، لربما نحن ضحايا خبث خيالنا، ومع ذلك سعداء بكوننا كذلك. وأيضًا مقاييسنا نحن البشر، لا تُحسن تصنيف وتحديد المُستحق وغير المُستحق. نعم، ليس بحوزتنا نحن البشر موازيين للاستحقاق، وبالرغم من ذلك نُصنِّف بعضنا البعض كمستحقين وغير مستحقين. نعم، لربما كان كانط محق برفضه لأساس الاستحقاق في تحديد الفعل الأخلاقي. نعم، رفضه تحججنا بأنَّ هذا مستحق للكذب وذاك غير مستحق لإحالة الصفة الأخلاقية لفعلنا، ربما كان مصيب به. نعم، الاستحقاق لا يصلح أساس للحكم وللفعل ...

هنا يا صديقي سرحتُ بكانط وانزلقتُ للحديث عنه مع نفسي أمامها بدون قصد، متسبب بذلك شوقي للعودة -التي كانت مُقدَّرة لي في لحظة اقتحامها لحياتي- إليه. نعم، طردها من حياتي هو أقل عقاب أنزله بها لا رأفة بها وإنما للإسراع في العودة إلى كانط. يا إلهي كم أنا غاضب منها.

قاطعتني الساذجة بالقول:

- من كانط هذا؟ ما هذا الذي قلته، أنا لم أفهم منه شيئًا. مالي وللفلسفة. أنا لا أحتمل هذا القدر من التعقيد والجد والملل. نعم، لربما حبك للفلسفة هو سبب في كونك ممل.

لقد أصابت يا صديقي، نعم حبي للفلسفة هو من جعلني ممل للساذجات مثلها، هو من جعلني عاجز عن احتمال المواضيع الهزلية الفارغة، هو الذي جعلني عاجز عن التعايش والتأقلم مع هذا العالم الرخو الممل بلهوه وتسليته وهزاره. نعم، الفلسفة هي المرأة التي وقعتُ في حبها، فكيف لي أن أطلب غيرها، وأنا عاشق لها إلى هذا الحد، كيف؟! تبًا للعالم الذي يحاول على الدوام الوقوف في وجه حبي هذا.

في تلك الأثناء يا صديقي كدتُ أنفجر في وجهها من شدة الغضب من عدم معرفتها لكانط، ولكنني أخذتُ بكبح غضبي وتطييب خاطري بالترديد مع

نفسي: "كانط بريئ من سذاجتها بعدم معرفتها له.". نعم يا صديقي، فمعرفة كانط تملأ الإنسان رهبة تدفعه للاتزان، ولهذا عوائد المطالعة له لا يمكن تصورها.

بعدما هَدَأتُ بما أخذتُ بترديده في سري، عدتُ بها لقرار الانسحاب، لإبعادها عن كانط مخافة قيامها بالإساءة إليه وبالتالي انفجاري في وجهها ورجمها بالحقيقة، فقلتُ لحسم الأمر وإنهاء المكالمة معها:

- أعزمتِ أمركِ على الانسحاب، أم بعد ما زلتِ مُترددة؟

- نعم، من الأفضل لي الانسحاب الآن. نعم، هذا هو القرار الصحيح. سأفاتح أهلي اليوم، وأطلعهم على قراري.

- يؤسفني أنَّ هذا هو الصواب والقرار الصحيح، ولكن يُسعدني أنه الأفضل لكِ.

- شكرًا على تفهُّمك واحتمالك لي طوال هذه الفترة.

- بل الشكر لكِ على احتمالي واستيعابي طوال هذه الفترة الصعبة عليكِ، فلقد منحتني الكثير فيها.

- أنا منحتك الكثير! يا إلهي كم أنت غريب.

- هذا ما فعلته حقًا.

- شكرًا لك على طيبتك.

- بل الشكر لكِ عليها، فأنتِ سبب فيها.

- يبدو أنَّ كلامك الجميل لا ينتهي، ولهذا أنا مضطرة لإنهاء المكالمة.

- أتمنى لكِ الحظ الوفير في بحثكِ عن الشخص المقصود. كوني بخير.

- أتمنى لك ذلك أيضًا. إلى اللقاء.

أغلقتُ فرحًا بما حققته، وغاضبًا ومنزعجًا من آخر كلمة قالتها. نعم، كان من الأجدر بها قول "وداعًا"، ولكن ربما فقرها الثقافي سبب لها ذاك الفقر اللغوي الذي جعلها تخطئ في التعبير. نعم، أنا لا أريد لقاء آخر بها، أريد لهذا اللقاء أن يكون الأخير، أريد العودة إلى كانط.

هل لعبتُ على الاحتمالات الصحيحة؟ هل تلاعبتُ بها نفسيًا بذلك القدر الذي سيوصلني إلى هدفي، أم غاليت بذلك أم قصَّرت؟ هل الحجج التي زودتها بها للانسحاب ستكون قادرة على إقناع أفراد عائلتها بها، وبالتالي انتزاع مساندتهم ودعمهم لقرارها؟ هل سيضمن ذلك لي الحياة الهادئة، الخالية من المطالبات المتكررة مني بالتوقف؟ هل دور العاشق، مُحطَّم الفؤاد، الحزين، البائس، الذي سألعبه سيصرف الجميع عني على الأقل لسنة؟ هل سيدفعهم ذلك للتعاطف، ولتبرير عزلتي التي لم يبررها سعيي لخدمة الإنسان ونصرته؟ يا إلهي كم هو مؤلم أن يكون ذلك السبب التافه مبررًا مجدي لعزلتي، ولا يكون الإنسان كذلك. يا إلهي كم بات الإنسان الذي ننتمي إليه جميعًا بلا قيمة، مهمل، مُستكثَر عليه أدنى الجهود، محجوب هناك في العتمة، مغتالة محاولات استنهاضه وإخراجه للنور. أنا حزين يا صديقي لواقع البشر المرير هذا، ولهذا أعاهدك وأعاهد نفسي وأعاهد البشرية أن لا أترك محاولات إيقافي تُعيقني وتوقفني، ألا أترك محاولات إغرائي وتهديدي تُغريني وتُخيفني، أعاهدك أن أبقى متمسكًا بدوري حتى لو تخلى الجميع عن أدوارهم، حتى لو كنتُ بلا أنيس، بلا رفيق، بلا حبيب. ماذا نحن بدون الإنسان الذي ننتمي إليه؟! نعم، لا شيء، محض غبار تتقاذفه الرياح هنا وهناك حاجبًا شعاع الشمس عن طالب الحياة، عن زهرة الأقحوان، عن عيون غزال جبلي لاهي بين القمم والقاع، عن قباب المساجد وصليب الكنائس ونجوم المعابد وتماثيلها.

أنا خائف يا صديقي من عودتها، فصبري نفذ، لا بسبب سذاجتها الخانقة فقط، وإنما أيضًا بسبب شوقي لكائن الذي بدأتْ حروقه تأكل روحي. ماذا سأفعل لو كانت الاحتمالات التي رجحتُ صحتها، والتي تلاعبتُ بها على أساسها، غير صحيحة؟ من أين ستتاح لي القدرة على العودة لإكمال خطتي واتخاذ الخطوات اللازمة في جميع الاحتمالات لضمان النتائج المرجوُّة؟

نعم يا صديقي، مع امرأة جشعة كهذه لا يمكنني التفاؤل، لا يمكنني الثقة حتى بقطع الوعود. لعلك تقول بأنني كنتُ مقنعًا جدًا، وبأنني زودتها بالحجج القوية، ولهذا تذهب لترجيح انسحابها، ولكنني أشك بذلك لا تحقيرًا لجهودي، وإنما إدراكًا لذلك القدر من الجشع الذي هي عليه. لو كانت معدلات الجشع عندها طبيعية، لرجحتُه ما رجحتَه، ولكن للأسف يا صديقي، لقد ابتليتُ بامرأة تبرَّأتْ الطبيعة مما هي عليه.

ها أنتَ تتهمني بظلمها والتسرُّع بالحكم عليها، فانتظر لترى أنني لا أفعل. أيضًا يا صديقي، لا تنسى أنَّ هناك بعد الكثير مما تُخفيه ولم أكتشفه، أنَّ

هناك كثير من الفخاخ نُصبت لي بهذا الإخفاء والتكتُّم، ولم أتعرَّف عليها. ولهذا أعتقد يا صديقي أنها ستعود لتكمل لعبتها، ولتحصيل العوائد من جشعها، ومن الادعاءات التي قدَّمتُها. لربما تختفي لبضع أيام، ولكنها ستعود لاستغلالي، لتمنن عليَّ أنها قبلت بي وهي في أزمتها النفسية، لتطالبني بتقديم المزيد والمزيد من التنازلات.

نعم، لربما هذه لعبة للآخرين أدوار رئيسية فيها، لأمها، لأبيها، لإخوتها، لموقعها، لزمانها، ولهذا أُرجّح أنها وجميع أفراد عائلتها يتآمرون ويخططون للإيقاع بي. نعم، لا أحد برئ في هذه اللعبة، الجميع مذنب، حتى أنا، ولهذا جميعنا نستحق العقاب، ولهذا أُرجّح أنني قد أُعاقَب بالاضطرار للعودة لإكمال خطتي وإتمام خطواتها خطوة خطوة، أي أعاقَب بالبعد عن كانط لفترة أطول، وبالقرب منها لمدة أطول، أُعاقَب بشوقي وبسذاجتها، وهم يُعاقبون بانتصاري ونجاح خطتي.

تمنى يا صديقي ألا تكون مخاوفي في محلها، وأن أكون مخطئًا، تمنى أن تنسحب من حياتي بلا عودة، فهذا أفضل لي ولها. إلى أن أكتب إليك، لا تتوقف عن قراءة السيناريوهات المُحتملة، والتفكير بحلول لها، وتزويدي بها بسرعة.

صديقك المحب

ت.ه

1 حزيران (يونيه)

صديقي العزيز ج.ل

تبًا لها. يا إلهي كم هي خبيثة لئيمة. أسمعتَ بما فعلته؟ لا أعتقد ذلك، فدعني أطلعكَ عليه.

لقد أقدمتَ الخبيثة على ما هو أسوأ مما توقعتُه، لقد فعلتْ ما كنتُ أتفاداه على الدوام. ألم أقل لك أنها جشعة، لديها خطط للنيل مني. نعم، لم تقل "وداعًا" عن قصد، فلقد كانت تخطط للالتقاء بي مجددًا.

بعدما أغلقتْ معي، ذهبتْ لتخبر أهلها أنني نويتُ الانسحاب، بعدما قالت لي أنها ستخبرهم أنها هي من تريد الانسحاب. أرأيتَ كم هي خبيثة. وضعتْ المسؤولية على عاتقي، وأنا الذي على الدوام كنتُ أتفادى تحمُّلها، ليتاح لي النتائج التي كان طمعي بها دافعي للمشاركة في هذه اللعبة التي أشغلتني عن اهتماماتي وأبحاثي.

هل اكتشفتْ أنني أحاول دفعها للانسحاب للتخلص منها؟ هل كنتُ متسرعًا في دفعها للانسحاب، هل ارتكبتُ الأخطاء في ذلك؟ لا أعتقد ذلك، فهي غبية، جاهلة.

إذًا هي قررتْ ذلك من البداية، لزيادة الضغط عليَّ لتقديم مزيد من التنازلات، وذلك بجعلي في عيون الآخرين المذنب، المخطئ.

أنت لا تتصور مدى عنف وشراسة الهجمة التي شُنت عليَّ بسبب ذلك. لقد جردتني تلك الحملة والهجمة من فتات كل لحظة هادئة متناثرة هنا أو هناك، لقد جردتني من السلام في حياتي، لقد جردتني من الأمان. لقد كان الجميع ضدي، أهلها وأهلي.

أنت عاجز عن تصور كيف استحالت أمي لذلك الوحش في مواجهتي، أنت عاجز عن تصور مدى العنف والقسوة التي جابهتني به. باب غرفتي كاد يُقتلع من مكانه، حيطان غرفتي كادت تتساقط على رأسي، ذلك الضجيج الذي صدر عن تهديداتها ودعواتها وغضبها كاد يُفقدني صوابي، تلك الحياة التي فيها لكل فرد في العائلة مشاغل تعطلتْ وبتُ أنا الشاغل الوحيد لهم، تلك القضايا التي كانت تشغل الجميع عني فقدتْ أهميتها وباتت قضيتي تحوز كل الاهتمام. الجميع أخذوا بالوقوف وراء بابي في أحيان جماعات وفي أخرى فرادى يطالبونني بالخروج والجلوس معهم لتوضيح ما جرى.

في تلك الأثناء يا صديقي، كنتُ جالسًا في غرفتي أحاول استيعاب ما جرى، أحاول استيعاب خيانتها، أعاتب نفسي على عدم التنبؤ بهذا السيناريو المرير.

في تلك اللحظات كنتُ غاضب أشد الغضب، ولكن مُدرك لحقيقة أنَّ ذلك لن يقودني إلا لنتيجة لا أرتضيها، فكنتُ أحاول تهدئة نفسي بترديد: "الكرة ما زالت في ملعبي بعد"، وشيئًا فشيئًا كان غضبي يتراجع.

سكت غضبي بالرغم من إدراكي أنني سأعود لخطتي التي ستتطلب مني قضاء المزيد من الوقت معها، وأخذتُ أفكر في حل لهذه المُعضلة، وعندما

توصَّلتُ إليه، خرجتُ للجلوس مع أفراد العائلة، وأخذتُ أدَّعي أنني لم أفكر بالانسحاب بتاتًا، وأنها فهمت كلامي بشكل خاطئ بسبب الأزمة النفسية التي تعاني منها، والتي أخبرتهم -بعدما استفسروا- أنَّ المتسبب بها عدم تقدُّم أحد لخطبتها وهي متواجدة في مدينتنا، موضحًا لهم انَّ ذلك أفقدها ثقتها بنفسها وجرح كبريائها وولَّد لديها نوع من الوسواس، مؤكدًا لهم أنني لم أفكر بتركها،وبالأخص وهي في تلك الحالة التي ادعيتُ أمامهم بأنها تُلزمني بالوقوف بجانبها.

صدَّقوا يا صديقي كل ما قلته من شدة احترافية أدائي للأدوار التي تطلبتها تلك اللحظات، وحينها أخذوا بلومي وعتابي على عدم توضيح ذلك لهم بسرعة، وعلى إثارة أعصابهم وتعطيل شؤونهم، ثم أخذوا يطالبونني بالإسراع بتوضيح موقفي لها ولأهلها.

أرجوك يا صديقي، لا تسألني عن سر عدم بوحي لهم عن بعض أسرارها التي ستدفعهم لصرف النظر عنها، عن سر عدم ردي الخيانة بالخيانة، فالإجابة لديك. إذا لم تكن مبادئ إجابة مقنعة، فلديَّ غيرها. إنني في حال أطلعتهم على أسرارها سيرفضونها، ولكن لن يتنازلوا عن فكرة تزويجي وسيبحثون لي عن غيرها، وهذا ما لا أريده. نعم، هدفي من دخول هذه اللعبة القضاء على فكرة زواجي، فإذا عجزتُ عن الوصول إليه، فأنا حين إذًا الخاسر. أيضًا يا صديقي بخيانتها لي لن أشعر بالندم وبتأنيب الضمير بسبب خطتي التي سأتعامل بها فيها كوسيلة وأداة. نعم، بتُّ الآن بحاجة إليها أكثر من أي وقت، بتُّ أحتاجها كضحية. هل اقتنعت؟ أعتقد ذلك. إذًا دعنا نتخطى هذا الجدل، ودعني أكمل سرد ما جرى.

أرأيت كيف أنني لم أكن أظلمها بتوصيفها وتصويرها بكل ذلك الخبث والجشع، أرأيت كيف كان ظني في محله عندما أخبرتك أنها ستعود، وعندما أخبرتك أنَّ بحوزتها بعد المزيد من الفخاخ لي، وعندما أخبرتك أنها تطمع بتقديمي المزيد من التنازلات من خلال ضغط الجميع عليَّ.

راسلني والدها الذي كان هو من أخبر أهلي بأنني انسحبت، وأخذ يستجديني بالاستمرار معها، ويطالبني بالتمسك بها، موضحًا لي كيف ينبغي أن يفعل كل عاشق، محاولًا الاستشهاد بقصص من تاريخ الحارة والعائلة والمجتمع والأمة، مبينًا لي كيف أنَّ ابنته تريدني من خلال توصيف المرأة على أنها تحب الظهور بمظهر الرافضة بالرغم من تحرُّقها للقبول، وبمظهر المترددة بالرغم من استعدادها وشوقها للموافقة، وبمظهر المحتاجة للاهتمام للمطالبة بالحب والالحاح وتقديم التنازلات ومواصلة الطلب، وبعدما أخذتُ بالإبانة

له أنني لا أريد استغلالها بانتزاع قرارها في أزمتها النفسية التي لا ينبغي عليها اتخاذ قرار مصيري فيها، لدفعه للانسحاب والتوقف عن الالحاح عليَّ، أخذ بوصف ابنته بالمدللة والساذجة التي لا تعرف مصلحتها، ذاهبًا من وراء ذلك للتأكيد على أنه يعرف مصلحتها أكثر منها، وأنه يرى بأنني أنسب شخص لها، وبعدما لاحظ عنادي وتمسكي بوقفي، أخذ بالتأكيد لي على أنَّ أزمتها النفسية سببها جرح صغير في عينها يكاد لا يكون ملاحظ، مطالبني من وراء هذا الإفصاح بكبح خيالي وعدم السرحان والإيغال في التفكير بأسباب أزمتها، ثم عاد بإلحاح وتذلل لمطالبتي بالتمسك بها رغمًا عنها لدفعها لحبي، كاشفًا لي كيف أنه كان يفكر قبل سنتين -خلال تواجدها في مدينتا- بمفاتحتي بخيار التقدُّم لخطبتها، آخذًا بتوبيخي ممازحًا على عدم التقاطي لتلميحاته التي وصفها بأنها كانت واضحة حتى للأعمى والأصم.

ألاحظتَ يا صديقي، حتى تبريري لم يُجدِ معه، وهذا دليل على جشعه. أكاد أقسم أنه هو وراء كل هذا، أكاد أقسم أنه هو من يُخطط لها تحركاتها وأفعالها وأقوالها. نعم، جميعهم مشاركون بخطة، الهدف من ورائها دفعي لتقديم كل التنازلات الممكنة. أرأيت كيف كَشَفْتُهُم ادعاءاتي الكبيرة التي قدَّمتها في البداية، أرأيت كيف تسبب اعتقادهم أنني غارق في حبها بالعمى، أرأيت كيف كشف جشعهم عن نواياهم. إنها عائلة خبيثة، لا خصوصية لأفرادها الذين جميعهم يتحدثون فيما بينهم عن أدق تفاصيل حياتهم مع الآخرين للتخطيط لإيذائهم وإلحاق الضرر بهم.

أقسم أنَّ جميع رسائلي إليها يطَّلع عليها كل من هم في مُحيطها، أكاد أقسم أنَّ رسائلها إليَّ يصيغها إليها ذاك الخبيث الذي علَّمها المكر والخداع والجشع. إنهم فارغون، لا أهداف ولا عمل لديهم، ولهذا منشغلون على الدوام بحياة الآخرين، وبكيفية إفسادها وإيقاع العداوة فيها.

أنا متأكد أنك الآن بتَّ تعرف حقيقتهم، ولهذا متأكد أنك لن تتعاطف معهم بعد الآن عندما أقوم بتوصيفهم لك، لن تتهمني بالقسوة.

دعك الآن من حقيقتهم الآخذة بالتجلِّي والتي بالتأكيد أغضبتك، وحاول تهدئة نفسك لكي يتاح لك الخروج باستنتاجات واحتمالات مهمة من رسائل والدها لي.

ألم تلاحظ أنه لم يُحدِّثني بصفة المُنسحِب التي قام بتوصيفي بها لأهلي، فماذا تقرأ وتستنتج من ذلك؟ أول استنتاجاتي مفاده أنه يهدف من ذلك لإيقاع الخصومة بين وبين أهلي، فلقد عَلِمَ برغبتهم وإلحاحهم الشديد عليَّ بالزواج،

وأدرك أنني ما زلت على حالي قبل سنوات لا أخطط للزواج، فطمع بزيادة الضغط عليَّ، أو لم يدرك أنني أخطط لذلك، واعتقد بأنني غارق في حب ابنته وبالتالي العداوة بيني وبين أهلي تتيح له التجرؤ ومطالبتي بالسفر والزواج بها بالخارج بدلًا من الزواج بها في مدينتنا بناءً على رغبة أهلي. نعم، ما زال يعتقد أنني ما زلت بشخصيتي القديمة، تلك التي كانت صدامية على الدوام مع محيطي العاجز عن توفير الهدوء لبحثي الفلسفي.

هل طمعه بسفري للزواج بها في الخارج له علاقة بعدم إرسالها لي صورة لها؟ هل له علاقة بما جرى معها في مدينتنا قبل سنتين، واضطرها للسفر على الفور؟ هل تعرَّضتْ لتعنيف شوه وجهها أم لعملية جراحية تجميلية فاشلة؟ هل دخلتْ في علاقة أنجبتْ بها خارج نطاق وإطار الزواج، مخالفة بذلك معتقداتها الدينية، وخائفة من معرفتي لذلك قبل الزواج، ومن تأثير المحيط عليَّ للتراجع؟ هل تعرضتْ لتحرش جنسي من طبيب عيونها، فلقد علمتُ أنها كانت تتابع عند طبيب ما؟ هل اغتصبها أحد من محيطها؟ هل يعتقد أنَّ حبي الذي ادعيتُه سيكون بمقدوره دفعي للتغاضي عن أي شيء بشرط ابتعادي عن تأثير المحيط، ولهذا يطمع بسفري فورًا؟

أنت تعرفني يا صديقي، أنا لا أرفضها لهذه الشكوك، وإنما أرفضها لرفضي فكرة الزواج بحد ذاتها، وأنت تعلم أيضًا بأنني لو كنتُ محب سأكون بسهولة على استعداد للتغاضي عن جميع زلات من أحبها وعدم الالتفات لماضيها. نعم، مجتمعنا ما زال قاسي، يُحمِّل المرأة مسؤولية أخطاء الرجال في حقها، ويرفضها لمعصية دينية أو خطأ عرفي كان سبب به ظروف قاسية، ولهذا تجدني أتعاطف معها.

أما ثاني استنتاجاتي وهذا مُحتمل -مع أنني أرجّح الأول-، فمفاده أنها مُكرهة على الارتباط بي، أي أنها كانت صادقة معي، وأعربتْ عن رغبتها لهم بالانسحاب، ولم يتقبلوا منها ذلك، وذهبوا لتوصيفي أنا على أنني المُنسحِب. هذا أوحى به يا صديقي إلحاحه عليَّ بالزواج منها حتى ولو كان ذلك بدون إرادتها، وتكراره أكثر من مرة قوله بأنه يعرف مصلحتها أكثر منها.

لا أعلم، قد تكون هذه استراتيجية مُتَّبعة بخطتهم بعد تلك الادعاءات التي قدمتها، أي إظهار أنهم متمسكون بي وأنها ليست كذلك، وذلك لدفعي لتقديم المزيد والمزيد من التنازلات. نعم، لقد كان ادعائي أنني واقع في حبها من البداية، أهم خطوة أقدَمتُ عليها، فهي أبانتْ عن نواياهم، وكشفتهم على حقيقتهم.

لا بد أنك لاحظت أيضًا يا صديقي كيف أنَّ ذلك الجشع الخبيث، تعامى عن تلك التلميحات التي كنتُ أرد بها على تلميحاته، والتي كنتُ أؤكد له فيها على رغبتي ونيتي بعدم الارتباط طوال حياتي. صدِّقني تلميحي ذاك لم أكن أستهدفه به وحده، فلقد اضطررت لزيارته ذات مرة في بيته عندما كان متواجد في مدينتنا، وكشفتُ عن رغبتي تلك أمام الجميع، وحاولتُ آن ذاك رفع صوتي ليسمعني الجميع. حتى ولو كان استنتاجي الثاني غير صحيح، سأكرس خطتي لتحميله مسؤولية فشل زواجي بها لأقلبهم عليه، فذاك الصِّدام الذي يخطط ليوقعه بيني وبين أبي، سأستثمره في خطتي لتحميله المسؤولية وبالتالي رد كيده في نحره.

لا بد أنك لاحظتَ شيئًا مهمًا في رسالته أيضًا يا صديقي. نعم، أقصد هنا ما تذرَّع به كسبب لحالتها النفسية. ذاك الجشع من شدة سذاجته اختار سبب بسيط جدًا، غير مراعي بذلك سر تحفظها الشديد، وسر الأثر العنيف. نعم، كان يُفترض عليه انتقاء سبب يمكن تصديقه، انتقاء سبب يدفعني على الأقل للشك في صحته. نعم، الأغبياء يكذبون بغباء، ولهذا لم يعرف كيف يُضلِّلني. الآن بتُّ على يقين أنَّ ما جرى معها خطير جدًا، وهم يحاولون التغطية عليه بي. نعم، حفرة عميقة يريدون لي في البداية الوقوف على حافتها، لكي يكونوا قادرين على دفعي فيها بعنف بدون تحفظات، وبدون حاجة لأقنِعَة، وبدون الحاجة للعب أدوار صعب عليهم تأديتها بحرفية لتناقضها مع أدوارهم الحقيقية وعدم ملاءمتها لشخصياتهم المريضة. نعم، اللئيم صعب عليه لعب دور الطيب، والغشاش صعب عليه لعب دور الأمين، والكاذب صعب عليه لعب دور الصادق.

الآن دعني أُطلعك على ما جاء في رسائل أمها الساذجة المخادعة لي. في البداية، أخذتْ تؤكد لي أنَّ ابنتها لم يسبق لها أن دخلت في علاقات عاطفية مع أحد وذلك لمعرفتها لكم هو متزمت ومحافظ مجتمعنا الذي يرى بعاداته وتقاليده أنَّ العلاقات العاطفية خارج إطار الخطبة أو الزواج غير مستحسنة للذكر والأنثى، ولمعرفتها لواقع سُمعة المرأة التي ارتبطت بعلاقة عاطفية قبل الخطبة، مُنكرة بذلك اعترافات ابنتها وزوجها، وذلك لتهدئتي معتقدةً أنني غاضب ورافض الارتباط بابنتها لذاك السبب. ثم أخذتْ بالتأكيد لي على أنَّ ابنتها واقعة في حبي منذ فترة طويلة وذلك لإطفاء غضبي في حال كنتُ كذلك، مُدعية بأنها كانت خجلة من مصارحتي بذلك لكونها فتاة مُلتزمة، ثم أخذتْ بالتأكيد على ما أكد عليه زوجها، وهو أنَّ أزمتها النفسية نتيجة خطا طبي بسيط، داعية إياي لعدم التفكير بأي سبب آخر لذلك، ثم أخذتْ باستجدائي للتمسك بابنتها بالقول أنَّها تحتاجني بجانبها، وأنَّ أزمتها

النفسية ستتفاقم في حال تركتها، محاولة تسوُّل التعاطف بتوصيف حالة ابنتها بالمستعصية، وعرض ما عانت منه من أزمات ومشاكل طوال حياتها، والكشف عن مشاكلها وأزماتها النفسية السابقة بسبب رجعية الذكور في بيتها، محاولة الإيحاء أنَّ ابنتها محرومة من دور الأب المتفهّم والأخ الحنون، وبأنها تخضع للتعنيف والحبس والتهديد بشكل متواصل، ثم أخذتْ بعد الاستجداء وتسوُّل التعاطف بالتعبير عن عدم رضاها على تأجيل الخطوة القانونية والإشهار لحين تعافيها، مُلِحَة ومؤكدة على أنَّ التأجيل سيضر بعلاقتي بها، وأنَّ الإقدام سيتيح لعلاقتنا التحسن والتطور، راجية مني الامتثال لطلبها الذي حكمتْ بأنه الأنسب والأفضل، مبرهنة على ذلك بخبرتها وتجاربها.

بدوري يا صديقي أخذتُ بدعوتها لعدم القلق من ناحيتي، مُدعيًا أنني لن أنسحب، وموضحًا أنَّ كل ما في الأمر أنني أمنحها الوقت للتعافي، ليكون قرارها شخصي وليس نتيجة ضغط، مُدعيًا أنني سأشعر -في حال أقدمتُ على خطبتها في حالتها تلك- بالذنب لشعوري بأنني قمتُ باستغلالها. ثم أخذتُ بالتأكيد لها على أنَّ حالة ابنتها النفسية لا تسمح لها باتخاذ قرار مصيري كالارتباط، مُدعيًا أنني أعتزم التقدُّم إليها عند تماثلها للشفاء في حال كانت موافقة على ذلك، ثم أخذتُ بالادعاء أنني متحمس لرسملة الخطبة والإشهار ومتعجّل أكثر منها لطمأنتها وإيقاف إلحاحها، ثم أخذتُ بتوصيف ابنتها على أنها قوية، وأنها ستتماثل للشفاء بسرعة، مطالبًا إياها بمنحها المساحة الزمانية والمكانية، محاولًا بذلك في حال كانت مُكرهَة إبعادهم عنها، وإيقاف محاولاتهم في دفعها إليَّ. وختمتُ رسالتي بتكرار ما افتتحتُه بها، وهو دعوتها إلى عدم القلق من ناحيتي، مُدعيًا بأنني سأتقدَّم لطلب ابنتها عندما تكون مستعدة لذلك.

ولكنها بالرغم من رسالتي المطمئنة، عادت وراسلتني، وأخذتْ تلح في رسالتها على المسير في الإجراءات القانونية للخطبة والإشهار، مُكررة الحجج التي قدَّمتها في رسالتها الأولى، ومحاولة الاستشهاد هذه المرة بتجارب من حارتنا ومجتمعنا ومن التاريخ كما فعل زوجها الذي أخذتْ تسرد لي مغامرات علاقتها العاطفية معه قبل الزواج وبعده، لكي تبرهن لي أنَّ الزواج يُحدِث فارقًا، محاولة أيضًا دفعي للتمسك بها رغمًا عنها، بالقول أنَّ الذي يحب يتمسك بمحبوبته، عائدة إلى استجدائي والقول بأنها تحتاجني لمساعدة ابنتها، ثم ختمت رسالتها بسؤالي عما إذا كانت ابنتها رفضتني. عدتُ يا صديقي لمراسلتها، وأخذتُ هذه المرة بإخافتها بالقول بأنَّ الإقدام على تلك الخطوات الآن سيتسبب بحدوث مشاكل في فترة الخطبة وأثناء

الزواج، وأنَّ هذا قد يؤدي للانفصال الذي سيكون أصعب مما هو عليه الآن، عائدًا هنا إلى الادعاء أنَّ تأجيلي لتلك الخطوات الهدف منه تجنب حدوث تلك المشاكل والأزمات التي تهدد الزواج في حال تم، ثم أخذتُ بالدفاع عن نفسي بالقول أنَّ غيري لو كان في موقفي، كان سيستغل أزمتها النفسية ولا يهتم برأيها، مدعيًا أنَّ حبي لها هو دافعي للاهتمام برأيها وقرارها، ومؤكدًا أنّ الارتباط قرار مصيري لا أقبل لابنتها فيه أن تكون الطرف الخاسر، ومؤكدًا على أنني لا أستطيع أن أكون أنانيًا حتى لو طالبتني هي بذلك، راجيًا منها تفهُّم موقفي. ثم أخذتُ يا صديقي بإيهامها أنني غارق في حب ابنتها، وأنه ليس في مقدوري العيش بدونها والاستغناء عنها أو طلب غيرها، وذلك لطمأنتها ودفعها للتوقف عن الإلحاح، ثم أخذتُ بمطالبتها بمنح ابنتها المجال للتفريغ، لكي يتاح لها أن تكون أفضل، ثم أخذتُ بتصحيح قولها "المحب يتمسك بمحبوبته"، وذلك بالقول بأنَّ المحب يتمسك بسعادة محبوبته وراحتها، وأخيرًا ختمتُ رسالتي بالإجابة على سؤالها بالقول بأنَّ ابنتها لم ترفضني ولم تقبل بي، مطالبًا إياها بعدم لومها على ذلك وعقابها والضغط عليها.

وعلى الرغم من رسالتي التي قدَّمتُ فيها الحجج المُقنِعة، عادت وراسلتني مجددًا وبسرعة متمسكة بنفس المطالب، فأدركتُ أنَّ إلحاحها مطالبة بتقديم التنازلات، فأردتُ استدراجها لماهية تلك التنازلات المرغوب والمطلوب مني تقديمها، وذلك عن طريق الادعاء بأنني قررت السفر للمدينة التي يقيمون فيها والتقدُّم لخطبة ابنتها من هناك في حال كانت متعافية، مطالبًا إياها -وذلك للإيحاء بأنني صادق وجاد- بعدم إعلام أحد بذلك، وبالأخص أمي التي ترغب بالاحتفال بزواجي في مدينتنا، وأيضًا ابنتها، مُدعيًا أنني أرغب بمفاجأتها، فالتقطتْ الطعم، وعبرتْ لي في رسالتها عن سعادتها بهذه الخطوة، ولكن مع الادعاء بأنها تكترث لحزن أمي. ولكنها يا صديقي عادت بسرعة في رسالة أخرى للإلحاح على ضرورة السير بالإجراءات القانونية والإشهار أولًا، طارحة هذه المرة أسماء بعض الدول للالتقاء بابنتها فيها في فترة الخِطبة، ولكنني عدتُّ لرفض اقتراحها بالسير في الإجراءات القانونية للخطبة والإشهار، محاولًا استدراجها مجددًا بتقديم مدة أقصر للسفر، ومع ذلك استمرت بمراسلتي إلى أن أدركتُ أنني لن أنفذ رغبتها، لتأخذ في رسالتها الأخيرة بالتحدث معي بصفتي المُنسحِب، بالقول بأنني خذلتها وتركتُ ابنتها تعاني، وبالتأكيد على أنها لن تسامحني على عدم تنفيذي لطلبها، ولكنها في ختام رسالتها عادت للهجة الاستجداء، ثم أخذتْ بشكري وبالإعراب عن سعادتها لاتخاذي قرار السفر، وبالإطراء عليَّ

وبالترحيب بي، ثم أخذتْ بختام رسالتها بحثي على الاستمرار بالتواصل مع ابنتها بالرغم من الانسحاب وبالرغم من تراجعي عن التقدُّم بالإجراءات القانونية والإشهار، مطالبة إياي بعدم إهمالها والرد على رسائلها وعدم تجاهلها.

بالتأكيد يا صديقي من عرضي هذا لما جاء في رسائلها، توصلتَ لاستنتاجات مهمة مثلي. نعم، لقد لفتَ انتباهك إلحاحهم المتواصل عليَّ للمسير في الإجراءات القانونية للخطبة ومن ثم الإشهار. لا بد أنك تساءلت عن إلحاحهم، فدعنا نعرض بعض هذه الاحتمالات.

الاحتمال الأول مفاده انتزاع أكبر قدر ممكن من التنازلات، فلقد لاحظتُ ذلك بتراجع حدة نبرتهم كلما قلَّصتُ المدة التي أحتاجها للسفر، وبالتالي أعتقد أنهم من البداية يخططون لسفري لا لسفرها كما بيَّنوا في البداية، وهذا يدفعنا للتساؤل عن السر وراء ذلك. هل باتت مدينتنا تذكرها بواقعة مريرة، وبالتالي ترفض العودة إليها؟ هل يعتقدون أنَّ إبعادي عن محيطي، سيجعلني قادر على تقبُّل ما تخفيه هناك؟ هل يخططون للتغطية بي على ارتدادات واقعة ما؟ هل يحاولون إبعادها عن عيون مجتمعنا لارتكابها فعل شنيع بنظره ومقاييسه؟ هل تحاول البقاء بعيدة عن ذلك الذي قام بإلحاق أذى عاطفي أو جنسي بها؟ هل هناك جريمة يريدون إلصاقها بي هناك؟ هل هناك فشل تحاول عدم تذكره بالعودة؟ هل كرهتْ مدينتنا لأنها جرحت كبرياءها عندما لم يتقدَّم أحد من شبابها لخطبتها عندما كانت متواجدة فيها؟

أما الاحتمال الثاني من الإلحاح على الخطوة القانونية وعلى الإشهار، فمفاده يا صديقي أنها تحاول جعل انسحابي أصعب بعد اكتشاف ما يخفونه. نعم، هم لربما يحاولون تعقيد سبيل العودة والرجوع عليَّ. نعم، هناك حفرة لا يريدون لي الوقوع فيها وأنا بحوزتي حبلًا، لكي لا يتاح لي الخروج. هذا يا صديقي أكَّده استمرارهم بالإلحاح على الخطوة القانونية والإشهار، بالرغم من تقليصي للمُدَّة التي سأحتاجها للسفر والالتقاء بهم لأقصى حد، وعلى الرغم من إظهار أنني أُقدِّم تنازل كبير وذلك لكوني أتمرد على رغبتي بالاستقرار في مدينتنا لحاجتي للعزلة التي تخدمني في بحثي الفلسفي ونتاجي الأدبي. نعم، إلحاحهم لم أرَ مثيلًا له، وهذا هو سبب تيقني بأنهم يُخفون أمرًا خطيرًا.

أما الاحتمال الثالث من الالحاح، فمفاده أنهم يحاولون إكراهها على الزواج بي، محاولين الوقوف في وجه ذاك الواقعة في حبه. وهذا يدفعنا يا صديقي للتساؤل: لماذا يقفون في وجهها؟ ما سر عدم تمردها عليهم وهي في دولة

تُتيح لها ذلك؟ هل يأسرونها؟ هل يعنِّفونها نفسيًا وجسديًا؟ هل هي مُتقبّلة لذلك التعنيف، لشعورها بالذنب جرَّاء فعل أقدمتْ عليه؟

أما الاحتمال الرابع لإلحاحها يا صديقي، فمفاده أنها تحاول الاستعلام والتحري عما إذا كانت خطواتهم تلك فعالة أم لا. نعم، لربما يكون الهدف من تواصلها معي هذه الفترة، قراءة أبعاد الخطوة التي خططوا لها، ومحاولة اكتشاف ما إذا كانت تساعد في دفعي لتقديم المزيد من التنازلات أم لا، لكي يتاح لهم التراجع عنها في حال كانت غير مُجدية أو ضارة بخطتهم. نعم، هم يحاولون إبقاء أحدهم بقربي، للتأكد فيما إذا كنتُ أتعذب من تلك الخطوة، وفيما إذا كنتُ متعلِّق ومستعد للتضحية. نعم، ادعاءاتي الكبيرة التي قدَّمتها في البداية، أوحتْ لهم بذلك، ولهذا أبقوا أحدهم بقربي ليحصُد ويطلب ويأمُر ويُوجّه. نعم، لربما لم تقبل الخبيثة بالانسحاب إلا بعدما ابتلعت طعمي، أي عندما تيقَّنتْ أنني واقع في حبها. نعم، لقد نجحتْ بدفعهم للطمع أكثر وذلك بتقديمي المزيد والمزيد من التنازلات، وبهذا تعرَّفتُ على نواياهم وكشفتُ خططهم. نعم، كان لا بد لي من الإيحاء لهم بأنني التقطتُ الطعم، وأنني وقعتُ في فخهم مُجددًا، وذلك ليعتقدوا أنَّ بمقدورهم التلاعب بي، ليعتقدوا أنني دميتهم التي يحركونها بحبالهم كيفما شاءوا، وذلك يا صديقي لدفعهم للاستهانة والاستخفاف بي، وارتكاب الأخطاء معي والكشف لي عن نواياهم. نعم، إذا استدرجتَ عدوك لاغتيالك بنقاط الضعف تلك التي ادعيتها للإيحاء بضعفك، ضلَّلته عن نقاط ضعفك الحقيقة، واستدرجته لتحديك في نقاط قوتك، وبالتالي إلى هزيمته.

لعلك تتساءل عن كيف تعاملتُ مع أفراد عائلتي. تعاملتُ معهم يا صديقي كما بدأتْ، بالإيحاء لهم أنني أحبها ومعجب بها، وأنني بتأجيلي أحاول مساعدتها وعلاجها نفسيًا، وبالتأكيد لهم أنني سأنفذ ما يطلبونه ويرغبون به عندما أجد الوقت الملائم، مُهددًا إياهم في حال الضغط عليَّ بإلغاء كل شيء، وإغلاق ملف الزواج، فانتهوا عن إزعاجي واطمأنوا بعدما صدَّقوا ادعاءاتي، ولأضمن عدم عودتهم للإلحاح أخذتُ بتأليف قصص وسردها عليهم، ادعيتُ أنها جرت بيني وبينها بطريقة غير مباشرة قبل التقدُّم إليها، للإيحاء بأنني لن أتركها لغيري، وكان هذا مجدي يا صديقي، فلقد اطمأنوا وتيقنوا بأنني صادق. للقصص أثر عجيب على الناس يا صديقي، ولهذا استعانت بها الكتب السماوية.

هذا كل ما جرى خلال الأيام الماضية. لعلك يا صديقي الآن تتساءل عما أتوقعه. أتوقع في البداية عودتهم للإلحاح عليَّ مجددًا للمضي قُدمًا في

الإجراءات القانونية للخطبة ليتاح لهم إشهارها، وهذا بالتأكيد سأستمر برفضه، ورفضي أتوقع أنه سيدفعهم للخطة "ب" والتي مفادها دفعها لمراسلتي والتواصل معي، ولا أستبعد هذه المرة مطالبتها لي هي بذاتها بالمسير في الإجراءات القانونية للخطبة والإشهار، عائدة لربما لإنكار جميع ما اعترفتْ به، ولربما أيضًا الذهاب للادِّعاء بأنها تحبني، أو على الأقل تخفيف حدة ما اعترفتْ به وإنكار بعض التفاصيل خوفًا من أن تكون هي سبب رفضي لطلبهم.

لربما تتساءل عما إذا كنتُ سأراجعها في فعلها في حال عادت للتواصل معي. لا يا صديقي، لن أفعل. سأتركها تعتقد بأنني نسيتُ لها فعلها، لكي أساعدهم بالطمع بي أكثر، وبالتعامل معي بسذاجة أكبر، وبالتالي دفعهم لارتكاب المزيد من الأخطاء التي تكشف عن نواياهم، إلى أن أفاجئهم في النهاية وفي الوقت المناسب بقراري الصادم غير المتوقع، لأتركهم بعده حائرين، غير مدركين لما جرى، غير ملمين بأسباب ذلك القرار. سأوجّه لهم ضربة واحدة تفقدهم توازنهم، يتساءلون بعدها عن سر صدورها مني أنا الذي اعتقدوني وديع، ودمية بإمكانهم التلاعب بها كيفما ووقتما شاءوا. هذه النوعية من الضربات هي التي أفضلها يا صديقي، فهي تتيح لصاحبها إفقاد خصمه وعيه بدون رؤيتها، بدون توقّعها، بدون حتى معرفة مصدرها ووقت تسديدها. هذه النوعية من الضربات، أكثر ضحاياها المُتبجحين الذين يعتقدون أنهم أذكى من غيرهم بالرغم من غبائهم الملاحظ، وأقوى من غيرهم بالرغم من ضعفهم ذو الرائحة المنثورة بسذاجتهم، وأغنى من غيرهم بالرغم من فقرهم الذي يكشفه شجعهم وماديتهم.

هل سبق ورأيتَ كيس ملاكمة ممزق من اللكمات؟ طبعًا، الإجابة هي لا. ولهذا أنا يا صديقي لا أمانع لمعرفة عدوي من أن أكون في البداية أمامه كيس الملاكمة ذاك الذي في صالته، لأفاجئه ذات يوم بلكمة خاطفة أنَّ الذي أمامه محمد علي كلاي. نعم، لا نصر بدون معرفة العدو، ولا معرفة بدون إتاحة الفرصة له بتوجيه بعض اللكمات التي ستدفعه للتبجح والخطأ. يا إلهي كم يبث في النفس من غرور وكبر الشعور بالانتصار. لا انتصار لنا بدون إشعار أعدائنا أنهم انتصروا. نعم يا صديقي، الهزائم التي تُشعر بنقيضها تُديم الانتصارات.

دعك الآن من حديث الحرب هذا الذي صدَّعتُ به رأسك، وعد لتحليل ما أطلعتكَ عليه، وزودني باستنتاجاتك، وأطلعني على الاحتمالات التي غفلتُ عنها، ولا تبخل عليَّ باقتراحاتك، ولا تتردد حزنًا عليهم، فلقد أطلعتكُ على

حقيقتهم، وكشفتُ لك عن بعض ممايكيدونه لي. أنا يا صديقي من هو بحاجة لتعاطفك ودعمك لا هم. أرجوك لا تتأخر عليَّ بتزويدي بما طلبته.

في ختام رسالتي، أود أن أعرب لك عن مدى شوقي للتحدُّث إليك وجهًا لوجه، عن مدى حنيني للقاءاتنا وأحاديثنا وتأملاتنا ونقاشاتنا، متمنيًا الالتقاء بك في أقرب وقت ممكن.

صديقك المشتاق

ت.ه

4 حزيران (يونيه)

صديقي العزيز ج.ل

ها هم يا صديقي يُقدِمون على تلك الخطوة التي توقعتُ إقدامهم عليها في رسالتي الأخيرة إليك. لقد عادوا للإلحاح عليَّ مجددًا للمضي قُدمًا بالإجراءات القانونية والإشهار.

لقد راسلتني أمها مجددًا، آخذة بالإلحاح عليَّ لمراسلة ابنتها من جديد خوفًا من تدهور حالتها النفسية، راجية مني التنازل لها، وعائدة للتأكيد على أنَّ ابنتها لم تدخل في علاقة عاطفية مع أحد من قبل، ولشرح كيف أنَّ الخطأ الطبي الذي لم يؤثِّر على عينها وبصرها أثَّر على نفسيتها.

نعم يا صديقي، رسالتها توحي بأنهم يعتقدون أنني تراجعتُ وانسحبتُ لعِلْمِي بهذه العلاقة، وهذا أردتُ استغلاله لدفعهم للانسحاب بإغرائهم، أي بعرضي المساعدة في علاقة ابنتها بحبيبها الذي عرفتُ من هو مؤخرًا.

لا لم أصل إليه من خلال الاستعانة بوسائل اتحادنا العالمي، فتلك الوسائل ليست للاستخدام الشخصي، وأنا لا أسمح لنفسي باستخدام ما كُرّس لخدمة الإنسان لخدمتي، وبالتأكيد لم تلطعني هي عليه ولا حتى محيطها. لقد وصلتُ إليه من خلال أحد معارفي الذي أود التحفظ على اسمه الآن لكي لا أثير تساؤلاتك عن كيفية معرفتي به وخدمته لي.

لقد زُودتُ بكثير من المعلومات عن حبيبها. هو يعمل في إحدى المكتبات، يساعد فيها بتوجيه القرَّاء ورواد المكتبة في اقتناء الكتب، وذلك من خلال مقالة أسبوعية وندوة شهرية. علمتُ أيضًا بأنَّ له معجبين كثر وخاصة من بين النساء. اطَّلعتُ مؤخرًا على بعض مقالاته، ووجدتها جيدة، جودتها مع الوقت متحسنة، دلَّت على أنه مجتهد مثابر.

لعلك تتساءل عن سر وقوعها في حبه، وهي بذلك القدر من السذاجة والجهل. يا إلهي كم هو مضحك هذا التساؤل. ألا تعلم بأنَّ الجاهلات وحدهن من يقعن في حب الكُتَّاب؟! نعم، لا عاقلة لديها ميل لكاتِب. كيف يكون لها ميل لذلك الذي سيُهملها، سيتركها مُعلَّقة، سيتجاهلها على الدوام، سيطالبها بالهدوء باستمرار؟! أنت لا تعرف كم هو مستفز للمرأة مطالبتها بتوفير الهدوء، أنت لا تعرف كم هو مؤلم للمرأة مطالبتها بتوفير المساحة والانسحاب، ولهذا السبب تساءلت عن سر إعجابها به بالرغم من جهلها وسذاجتها. هناك سبب آخر لذلك الطلب. هناك يا صديقي دافع للجاهلة للإعجاب بالكاتب، هو حاجتها لمداراة جهلها والتباهي أمام صديقاتها الجاهلات. نعم، النساء يُحببن التباهي كثيرًا أمام بعضهن، حتى لو كان ذلك الذي يتباهين به هو الجحيم بحد ذاته. يا إلهي كم جرَّ التباهي على النساء من صنوف العذاب ودروب الشقاء! انظر إلى كيف تسبب تساؤلك بانحرافي للحديث عن النساء، فدعني أعود لأكمل لك سرد ما جرى.

في البداية أخذتُ برسالتي بإبداء الإعجاب بكتاباته، وبالتأكيد على أنَّ حب ابنتها له طبيعي وإعجابها به مُستحق، ثم أخذتُ بالتأكيد على أنَّ ابنتها مُتعلِّقة به جدًا، وبأن الوقوف في وجه ارتباطها به سيتسبب بتدهور حالتها النفسية، ثم أخذتُ أدَّعي بأنه كان لدي نية بمراسلته لمعرفة ما حدث بينه وبين ابنتها منه، ومحاولة تحسين العلاقة وإرجاع المياه لمجاريها ومطالبته بالتقدُّم لخطبتها، ثم أخذتُ بالادعاء بأنني قمتُ بتأجيل هذه الخطوة لأخذ إذنها بها واستشارتها في البداية. ثم أخذتُ يا صديقي بنبرة حادة بعض الشيء بالتعبير عن غضبي وبحثها على عدم التعامل برجعيَّة مع ابنتها، واحترام خياراتها وميولها العاطفية، ومطالبتها بعدم الوقوف في وجه رغبة ابنتها بالارتباط به. ثم أخذتُ بتلطيف نبرتي لضمان تفهُّمها لعرضي الذي مهَّدتُ له بالقول بأننا نحن الكتَّاب بمقدورنا التفاهم والتواصل بشكل أفضل مع بعضنا البعض، لقدرتنا على تفهُّم ظروف المهنة التي نعمل فيها، طارحًا بعد ذلك مساعدتي في التعرُّف لهم على طلباته ومحاولة التوفيق بينه وبينهم، مُذكرًا باحتمال أن يكون هو الشخص المناسب لها وهي المرأة الملائمة له، عائدًا للتذكير بأنه شاب مُثقف مجتهد منغمس في العمل في مكان سمعته طيبة،

ومؤكدًا لطمأنتها أنَّ كل كاتب لديه مُعجبات، وموضحًا بأنَّ وجودهن في حياة أي شخص لا يعني أنَّ ذاك الشخص لعوب وصاحب تسلية ولهو ومتعة، ثم أخذتُ أعرض عليها المساعدة في حال كانت مُتشكِّكة في نواياه وسلوكه، وذلك بإبداء استعدادي لاستكشافه والتعرُّف على معدنه، والتأكد فيما إذا كان شخص مناسب لابنتها أم لا، عارضًا لإغرائهم وإخافتهم احتمال أن يكون حكمهم فيه غير منصف، وأنَّ صورته عندهم غير حقيقية ومشوَّهة لموقعه.

لربما من رسالتها ليس لديك استنتاجات جديدة فهي متوقعة، ولكن من رسالتي لا بد أنك توصَّلتَ لما أهدف إليه. نعم، عرضي يهدف في البداية لدفعهم لإعادة ترتيب أوراقهم، وإرباكهم، ودفعهم لإعادة حساباتهم. عرضي لا مجال لرفضه، وبالأخص من أناس بهذا القدر من الجشع والخبث، إلا في حالة واحدة، سأذكرها لك لاحقًا.

نعم يا صديقي، تشكيكهم بصحة حكمهم عليه، سيربكهم ويدفعهم للاعتقاد بأنهم قد يكونوا مخطئين بحقه، ويدفعهم للقبول بعرضي، وبهذا يتاح لهم ما يريدونه ويتاح لي ما أريده. يا إلهي كم سيسعدني قبولهم بعرضي. نعم، فهذا سيُريحني ويجعلني غير مضطر لإكمال خطتي.

يا صديقي لا تعتقد أنَّ عرضي لهم هدفي منه كشف نواياهم فقط، فأنا جاد بتقديم المساعدة لهم إذا كان ذلك لن يأخذ من وقتي كثيرًا، وسيساعدني في تحقيق أهداف خطتي بدون الحاجة لإكمالها.

لربما سيترددون مخافة الاعتقاد بأنني أختبرهم، وبأنني أحاول خداعهم للكشف عن نواياهم، وفي هذه الحالة سأدرك أنهم يرغبون بذلك، وعندها سأحاول معهم مجددًا بأساليب مختلفة وحجج متنوعة، وسأواصل طرح عرضي إلى أن يطمئنوا ويقبلوه.

في حال تم رفض عرضي رفضًا قاطعًا، فهذا سيكون دليل على أنهم يعرفونه حق المعرفة، وأنَّ صلتهم به وطيدة، وأنَّ علاقته بابنتهم لربما تكون أكبر من كونها علاقة حب، ولربما أيضًا تكون علاقتهم به أكبر من تلك العلاقة التي قد تنشأ بين المحب وأهل محبوبته. هل العلاقة بينهما كانت علاقة زوجية، أم علاقة خِطبة، أم علاقة حب؟ نعم، سيكون هناك حلقة ناقصة. لماذا يرفضونه بالرغم من معرفتهم له، ويُلِحُّون عليَّ أنا الذي بالكاد لديهم معرفة عني؟ نعم، إذا قاموا برفض عرضي وعادوا للإلحاح عليَّ، حينها سأتيقن أنَّ العلاقة بينهم وبينه لم تكن عابرة كما حاولوا توصيفها لي.

لربما لاحظتَ أيضًا في رسالتي محاولتي لاستدراجهم للبوح بسبب الانفصال، وهذا أيضًا لي هدف من ورائه. نعم، رفضهم البوح لي بذاك السبب، سيُؤكد لي أنَّه غير مقبول وغير مُستحسن بمقاييس مجتمعنا، وأيضًا سيجعلني متأكد أنَّ العلاقة كانت أكبر مما تم تصويرها لي.

لعلك تقول بعد انبهار وإطراء: "كيف لمثله أن لا يكون لديه خطة بديلة في حال كانت جميع احتمالاته التي افترضها خاطئة.". نعم، أنت مُحق، بحوزتي خطة بديلة، ولكنني أرجّح أنني لن أضطر إليها. الأيام ستثبت لك ذلك، فخطتي الأساسية لا تستبعد أي احتمال، لا تترك مجال لي للخطأ، وحتى لو أخطأت، فهي تطرح خيارات تتيح لي تفادي عواقب أخطائي. صدِّقني لستُ فخور بهذا، فهذه القدرة التحليلية المُبهرة التي اكتسبتُها على مدار كل هذه السنين من بحثي الفلسفي، من السفه ومن سخرية القدر استخدامي لها في هذه القضايا التافهة بدلًا من استثمارها في القضايا الفلسفية. نعم، أنا أهدر تعب السنين في قضية تافهة، في قضية شخصية، بدلًا من استغلالها في قضية عالمية، وهذا يؤلمني جدًا يا صديقي.

دعك من معاناتي الآن، وتوقف عن الإعجاب والإطراء عليَّ، وحاول مساعدتي. بحوزتي الآن ثلاثة عشرة خطوة إلى الأمام لقول "مات الملك" وأطمع بتقليص ذلك، فأرجو منك تزويدي باقتراحات، ومدي بمزيد من الاحتمالات والفرضيات والاستنتاجات.

صديقك على الدوام

ت.ه

11 حزيران (يونيه)

صديقي العزيز ج.ل

لقد قوبل عرضي يا صديقي برفض قاطع لم يُتح لي حتى التفكير بإعادة طرحه. لقد أخذتْ أمها بتوصيف عرضي على أنه حماقة وطيش، وبالتأكيد على أنَّ ابنتها غير واقعة في حبه، وأنَّ كل ما في الأمر هو أنها تحاول دفعي للغيرة عليها، وإبداء أنها مطلوبة ومرغوبة، ثم أخذتْ باستجدائي

لمراسلة ابنتها، وبالادعاء بأنَّ حالتها النفسية تدهورت بسبب انسحابي، طالبة مني بتذلل مُقزّز المواصلة معها وعدم تركها لغيري.

هذا الإلحاح يا صديقي وراؤه سبب خطير جدًا. وأيضًا بما أنه تم رفض عرضي بالرغم من جشعهم، فهذا أكد لي على أنَّ صلتهم به قوية ومعرفتهم به كبيرة. وهذه المعرفة الآن تدفعني للتعامل مع احتمال أن تكون ابنتهم مُكرهة على التواصل معي، مثلما أنني مُكره على التواصل معها. نعم، هذا الاحتمال وارد يا صديقي، ولكنني سأتعامل معه بحذر، فلقد التقطتُ مؤشرات توحي بأنه مستبعد في بعض الأوقات. لا تعتقد يا صديقي أنَّ تعاملي مع هذا الاحتمال سيفقدني تركيزي وتعاملي مع الاحتمال الآخر، أي احتمال أن تكون هي متآمرة ومشاركة معهم في لعبتهم القذرة.

لربما لم يخطر ببالك يا صديقي أنها قد تكون مكرهة ومشاركة معهم في نفس الوقت، ولكن هذا خطر ببالي، وخططتُ للتعامل معه، وأرجّح أنني سأجد نفسي في النهاية أتعامل مع هذا السيناريو لضمان العوائد للمستحقين وضمان الخسارة للجميع كلٌ بقدر احتماله أو استحقاقه. نعم، لربما خططي للتعامل مع هذا السيناريو، ستتيح لي عدم تسديد الضربة القاضية لأحد لا يستحقها، وستتيح لي إخراج المُكرهين بضربة فيها الخسارة ربح، ضربة يضمنوا بعدها عدم تلقيهم أخرى ليس فيها إلا الخسارة من أخرين. نعم، الظلم ليس شيمي، ولهذا أرجّح أنني سأتعامل مع هذا السيناريو، دعنا ننتظر لنرى، فلا داعي للعجلة، فلربما مع الوقت سأتوصَّل لاحتمالات جديدة تضطرني للتعديل على بعض خطوات خطتي، لضمان النتيجة المثالية.

دعني الآن أُطلعك يا صديقي على سر إلحاحها عليَّ للتواصل مع ابنتها. عندما انقطع التواصل بيني وبين ابنتها، في البداية كانت تلح عليَّ للتواصل تاركة ابنتها على الرغم من أنها في نظرهم هي المخطئة في حقي بانسحابها، وهي التي من المفترض عليها البدء بالتواصل معي. هذه الوقاحة يا صديقي نتيجة الجشع الذي تنامى لادعاءاتي التي استمريتُ بتقديمها وبالأخص ادعائي بأنني عاشق لها منذ القدم وإلى الأبد. لا، لم أقبل بالتواصل مع ابنتها تنازلًا لطلبها كما يجدر بي الفعل لضمان تصديقهم بأنني عاشق، وأخذتُ بالتظاهر بأنني عاشق مجروح، وتبرير رفضي لطلبها بالادِّعاء بأنني أريد توفير المساحة لها للتعافي من أثر انفصالها عن حبيبها، وبالادعاء بأنني لا أريد الضغط عليها وفرض نفسي، محاولًا التظاهر بأنني متألم وذلك للتخلص من إلحاحها ولضمان ألا يَكشِف رفضي عن حقيقة مشاعري تجاه ابنتها.

نعم، التظاهر بالحزن يجعل ادّعاء الحب أسهل، ويُصِّعب اكتشاف الحقيقة. لعلَّ هذا أول رفض لي معهم، ولعلَّه أول طلب لي منهم. يا إلهي كم هم جشعون! ألم يلاحظوا أنني لم أطلب، لم أرفض، كنتُ على الدوام مطواعًا، أتنازل بسهولة وسرعة. نعم، كان تنازلي السريع، وطواعيتي المتواصلة، وعدم حيازاتي لطلبات، جميعها أفعال ستكشفني في حال كنتُ أتعامل مع غيرهم. نعم، الجشع أعماهم، جعلهم يرغبون باستمرار، ويطلبون على الدوام، بدون تقديم تنازلات، أو حتى السؤال عن مطالبي ورغباتي.

نعم يا صديقي، لقد قمتُ باغتيالهم بادعاءاتي، لقد هزمتهم في تلك اللحظة، وهم لن يتاح لهم الشعور بهزيمتهم إلا في تلك اللحظة التي أُعلن فيها انتصاري بالضربة القاضية.

نعم، من الحنكة والدَّهاء خَلْقُ أعداء لا يشعرون بأننا نُنْهكُهم بالركلات واللكمات. لن يتاح لهم يا صديقي لسذاجتهم وجشعهم إدراك أنهم هزموا منذ تصديقهم ادعاءاتي، ولهذا ستكون لحظة إدراكهم أنهم هزموا صادمة، مُحيّرة، قاسية، فيها أسباب الخسارة مجهولة.

يا إلهي ما أشد قسوتها تلك المعركة التي كانت الانتصارات تُعلن فيها بدلًا من الهزائم،يا إلهي ما أشد وقعها في النفس تلك الخسارة التي أعقبت إعلان النصر، يا إلهي ما أعنفها تلك الهزيمة المُستبعَّدة باحتمالات وتوقعات النصر الكبيرة. يا إلهي كم هم البشر مولعون بالانتصار. نعم، وحده الطمع بالانتصار من يقود للخسارة، ووحده تفادي الخسارة من يقود للنصر.

دعنا الآن من أحاديث الخسارة والانتصار، واتركني أعود لسرد بقية ما جرى.

عندما يا صديقي واصلتُ برفض طلبها، دفعتْ ابنتها للتواصل معي. ألم أقل لك أنها ستعود. نعم، عادت كما توقعتُ للإبقاء عليَّ كخيار في حال فشلتْ عودتها لحبيبها، ولربما لضمان استمراري في طلبها بعدما شعروا بالقلق والخوف من عدم تنازلي لإلحاحهم، ورفضي لأول مرة لإحدى طلباتهم.

هنا لعلَّك ترجّح أنني قبلتُ بالتواصل معها بعدما تواصلتْ معي للاعتذار وطلب استمرار تواصلنا، ولعلك تذهب أيضًا إلى أنني استقبلتها بود خوفًا من اكتشافها لحقيقة مشاعري نحوها، ولكنك هنا يا صديقي لم تحزر. نعم، لقد تعاملتُ معها بجلافة وغلظة وفضاضة لدرجة اعتقدتُ بها أنني غالبت، وأنني على وشك فضح أمري. لماذا فعلتُ ذلك؟ فعلته لكي تعتقد أنني عاشق

مجروح، وبالتالي دفعها للبوح عن بعض ما تخفيه، وأيضًا لأضمن لعودتي التي أخطط لها النجاح في دفعهم للاعتقاد بأنني غير قادر على الابتعاد عنها بالرغم من الجرح الذي سببته لي، لدفعهم للطمع وبالتالي لمزيد من الطلب الذي سيتيح لي معرفة المزيد عن نواياهم واكتشاف خططهم.

نعم، أريد توجيههم لحصد بعض الانتصارات التي ستجعل هزيمتهم أَمَرْ وأشد إيلامًا. يا إلهي كم ستغريهم عودتي التي سأضطر إليها، وكيف ستجعل طلباتهم على درجة من الوقاحة غير مسبوقة.

أنسيتَ لماذا أنا مضطر للعودة؟ لتصويرهم لي لأهلي على أنني المُنسحب. كوني المنسحب يا صديقي، يجعلني المذنب، وبالتالي لا يوقف إلحاح أهلي عليَّ بالزواج حتى ولو كان ذلك من غيرها، وبالتالي لا يمنحني على الأقل بعض الشهور التي فيها الهدوء الذي أحتاجه لعودتي إلى كانط. لقد كنتُ أخطط لتكون هي المُنسحِبة، لكي يتاح لي ادعاء الحزن الذي سيدفع الجميع للابتعاد عني مراعاة لحالي، ولأنني فشلت، فأنا الآن مضطر لعودتي التي سأستكمل بها خطتي. يا إلهي كم هو مؤلم أن أكون مضطر للعودة إلى هذه الساذجة، بدلًا من العودة إلى كانط. لكثرة المعطيات والمستجدات والاحتمالات خفتُ أن تكون قد نسيتَ هدفي من وراء كل هذا، فأحببت تذكيرك.

لقد استجدتني الساذجة في آخر رسائلها بالقبول بمكالمة هاتفية أخرى، وأفكر بالقبول لإهانتها، لتكون عودتي -بعد الفترة التي قاطعتها فيها- دافعة لها للطمع أكثر، للانتقام مني لما فعلته بها. الطمع الذي أعززه لديها هو أفتك أسلحتي، وهو بتعاظمه سيتيح لي تقليص عدد التنقُّلات التي أحتاجها للقول "مات الملك". أجمل الانتصارات وأكثرها تعبيرًا عن الدهاء، هي تلك التي نُكبِّد فيها خصومنا الهزائم بدون قول "كش ملك"، وهذه النوعية من الانتصارات هي التي أفضِّلها وأنوي طلبها في هذه اللعبة.

أعلم أنك كثير القلق، ولهذا أرجوك ثق بخطواتي، ولا تقلق. هذه مواقف بمقدوري التعامل فيها، بالرغم من عزلتي التي قطعتني عن العالم لفترة طويلة. نعم، أنتَ لست قلق عليَّ من خبثهم، بل من حنكتي، متخوف عليَّ من كثرة التفكير، ومن الجهد الذي يتطلبه التعامل مع كل هذه الاحتمالات، ولهذا لا تحاول التوضيح والإشادة بي لدفعي للتوقف، رجاءً. نعم، أتفق معك، هي مهزلة ينبغي أن تنتهي، ولكن ليس قبل أن أحقق منها أهداف دخولي فيها. ذلك الوقت الذي أُهدرته في هذه المهزلة، لن أقبل أن لا يكون لي من ورائه العائد الذي أطمح إليه. نعم، الهدوء لسنتين هو هدفي، فالعودة

لكائط تتطلب ذلك، وهذا لن يتاح لي إلا بإكمال خطتي والمواصلة في هذه المهزلة.

لو كان الهدوء في حياتي، ما كنتُ سأضطر لهذا. لا يا صديقي، أنا لا أتذمر، ولا أشكو، وإنما أبرر، فالتذمر والشكوى للمنهزمين والمستسلمين والمتخاذلين، وأنا لستُ منهم. الحياة يا صديقي ليس من طبعها تمام الحظوظ، وأنا متقبل لهذه الحقيقة، غير متمرد عليها، متعايش معها.

الهدوء، أي حياة ستكون قادرة على تزويدنا به على الدوام، أي عمل سيتيح لنا استحقاق التمتع به باستمرار؟! لا، هذا ليس اعتراض يا صديقي، وإنما تعجُّب من المتبجحين باِدّعاء استحقاقه.

نعم، الهدوء نعمة لكرم لا لاستحقاق، ولهذا نحن لا نوفيه سبحانه حقه من الحمد والشكر. يا إلهي كم أشعر بالطمأنينة والسلام بالالتفات لكل هذا الكرم والعطاء. كيف لي الخوف ولي رب قدرتي على تصوُّر كرمه ورحمته وقوته محدودة، وأنا المتبجح بأنَّ قدرتي على التصوُّر عظيمة؟! كيف لي أن أخاف ولي رب يُحيط بي ولا أحيط به؟! يا إلهي كم أنعم الله عليَّ بإعلامي بوجوده. نعم، هي رحمة عظيمة شملتني بتلك المعرفة. أن يكشف الله لي أنا الحقير عن وجوده، هذا يدعو للتساؤل والتعجب، والأهم للحمد.

أوصيك يا صديقي في ختام رسالتي كما أفعل دائمًا، بعدم التردد بتزويدي بأي اقتراحات واستنتاجات، فأنا سأبقى دائمًا بحاجة لك، حتى في تلك اللحظات التي لا أبدو فيها كذلك.

صديقك المحب

ت.ه

15 حزيران (يونيه)

صديقي العزيز ج.ل

وقفتُ اليوم الساعة العاشرة مساءً -وهي الساعة التي حددتها لها للاتصال- بجوار الهاتف، أنتظر اتصالها الذي لم يكن لي سوى هدف وحيد من وراء

قبوله، وهو القسوة عليها. لم أخطط لما سأقوله، فسذاجتها تجعل مسار الحوار غير متوقع، ولهذا كنتُ قلق بعض الشيء. نعم، الخطط تبعث الطمأنينة في نفوس أصحابها.

دقائق بعد العاشرة ورن الهاتف، فالتقطتُ السماعة، وبدأتُ بالقول بدون ترحيب بنبرة جافة:

- أرجو أن يكون الحوار سريعًا وقصيرًا احترامًا لمشاعر أفراد العائلتين.

فبان عليها الصدمة والارتباك من قولي ونبرتي، وأخذتْ بالاعتذار بنبرة فيها تذلل بصوت مرتجف، وبالرغم من ردة فعلها التي كنتُ أستهدفها لدفعها للاعتراف بما فشل الكِبر بدفعها للبوح به، إلا أنني قدَّرت أنني تسرعتُ في هجومي العنيف، ورأيتُ أنه كان من المفترض تمهيدي إليه أولًا للإبقاء على طمعها الذي خفتُ عليه من خوفها، فقررتُ تلطيف أسلوبي ونبرتي في قادم الردود.

بعد صمت للحظات باعتقادي استشعرتْ فيها بالخطر من احتمال انسحابي، ولمستْ فيها أنَّ أسلوبها يأتي بنتائج غير مستحسنة، قالت بصوت خافت بان منه استصعابها للنطق:

- أحبك.

هنا يا صديقي صُدمت، فهذه الكلمة على الدوام كنتُ أخطط لعدم سماعها منها حتى ولو كانت تُعبّر حقيقةً عن مشاعرها تجاهي، كنتُ على الدوام أدفعها لعدم قولها بتعزيز الكبر لديها بادعاءاتي. يا إلهي كم هي مُربكة هذه الكلمة! تماسكتُ وأخذتُ أصدّها بجلافة وبحزم لم يسبق لها أن عهدتني عليه، قائلًا:

- أنتِ في حالة نفسية لا تعرفين فيها طبيعة مشاعرك تجاه أحد، فكيف تجرؤين على ...

قاطعتني يا صديقي هنا بعدما لاحظتْ استمراري بنبرتي الجافة القاسية، قائلة بتذلل أكبر بعدما استشعرتْ من نبرتي أنني لم أصدقها:

- أقسم أنني أحبك.

فكنتُ هنا يا صديقي بحاجة لتخفيف حدة نبرتي والعودة لدور الوديع، أولًا لضمان عدم عودتها لقول هذه الكلمة المربكة، وثانيًا لدفعها للطمع بي لا

بحبي، وثالثًا للتمهيد تدريجيًا للكلام الجارح، ورابعًا لدفعها للحفاظ على طمعها وتبديد خوفها الذي يُهدده، وخامسًا لدفعها للبوح بدون تحفُّظ، فأخذتُ أقول:

- يا إلهي كم يؤذيني ويجرحني ادعاؤكِ هذا. أنتِ لا تعرفين كم هي مُقدَّسة عندي كلمة "أحبك". نعم، هي كلمة لا ينبغي لأحد المجاملة أو المواساة بها، هي كلمة لا ينبغي لأحد العبث بها، هي كلمة لا ينبغي أن تقال لهذا وذاك. أقسم أنَّ قولكِ بأنك لا تحبينني أهون عليَّ. أنا لا أطالبكِ بحبي. نعم، يكفيني حبي لكِ، ولهذا أنتِ لستِ مضطرة للادعاء. نعم، حبي لكِ أسمى وأجل من أن يطالبكِ بحبي. لطالما كنتُ أدرك أن الحب لا يوصل، وأنا متألم ومتعايش مع هذه الحقيقة المُرَّة. ولهذا عليكِ أن تدركي أنكِ لا تجرحينني عندما تعترفين بحقيقة مشاعركِ تجاهي.

نعم، هي ادعاءات كبيرة هذه التي قدَّمتها مجددًا، هدفها بعث الطمع الذي أماته الخوف فيها. وأيضًا للتأكُّد من نجاحي في هذه المهمة، خططتُ لطرح بعض الأسئلة عليها أثناء المكالمة. وأيضًا هذه الادعاءات يا صديقي تدفعها للكبر الذي سيدفعها للامتناع عن الاعتراف لي بحبها، وتدفعها للخوف من احتمال طمعي بها واستغلالي لها في حال أقدَمتْ على ذلك. نعم، هدفي دفعها للخوف من أن أفعل بها، مثلما تفعل بي.

ردَّتْ عليَّ بنبرة مرتاحة هذه المرة، اختفى التذلل منها، ولكن بقي شيء من الخوف فيها، وذلك لصعوبة التغلُّب على مشاعر الخوف بسرعة بخلاف التذلل:

- أقسم أنني أريد المواصلة معك.

- أنتِ بترددكِ هذا تتلاعبين بمشاعر الجميع، مشاعر أفراد العائلتين، مشاعري، مشاعركِ. يجب عليكِ أن تدركي وتتفهمي أنَّ انسحابي الآن سيحمي الجميع من انسحاب سيكون له عواقب مرعبة في المستقبل. أرجوكِ تفهَّمي قراري، ولا تُصعِّبينه عليّ. صدِّقيني، إنني أفضِّل المُضي قدمًا فيه وأنت راضية، ولكن للأسف في حال لم تكوني كذلك، فأنا مضطر لذلك وأنتِ على تلك الحال.

- أرجوك هذا ليس حلًا. أنا لا أستطيع تفهُّم قرارك أبدًا.

من قولها هذا لمستُ أنها تريد استمراري معها، والسؤال هنا لماذا؟ هل هي تحبني حقًا، وعاجزة عن الاعتراف لتجاهلي لها وهي في مدينتنا؟ هل تريد

الإبقاء عليَّ كخيار ثاني في حال فشل الأول؟ هل تريد التسلية واللعب؟ هل هي خائفة من عدم استمراري معها لتهديد أحدًا لها بإيذائها في حال انسحبتْ، وبالتالي هي مُكرهة على القبول بي؟ هل هي تخوض تحدِّي ما؟ هل هي مُفتقِرة للحب والحنان والعطف، ووجدتهم عندي؟ هل هي مريضة بحاجة إلى علاج نفسي؟ هل ترغب بالانتقام من جميع الرجال والنساء بتعليق الرجال بها وإبعادهم عن بقية النساء؟

رددتُ عليها بحزم:

- قراري هذا لا رجعة فيه.

- لا تتراجع أرجوك، فأنا ليس لديَّ خيار.

- صدِّقيني، أن تكوني بدون خيار في هذه الفترة أسلم لكِ.

- بل أسلم لك، ولهذا تريد الانسحاب.

- لم أفكر بسلامتي يومًا، وهذا أكثر ما يبرهن عليه اختياري الفلسفة بل قبول الفلسفة بي.

هنا أطرقتْ للحظات، ثم عادتْ تقول بنبرة اشتممتُ فيها رائحة الخبث:

- رفضك يؤكد لي أنني تسببتُ لك بجرح عميق.

قولها هذا يوحي أنها صدَّقتْ أنني عاشق مجروح وهذا جيد، فهو سيجعل عودتي مثمرة. رددتُ عليها قائلًا:

- لا لم تفعلي. جرحي مُتسببة به دعوة كنتُ قد طالبت الله فيها بجروح أعمق لكي تتاح لي الكتابة. أنتِ تجهلينني، تجهلين كم وعدد ما أحوزه من وسائل وطرق لمداواة نفسي وتجاوز أحزاني. نعم، أنا أقوى مما تتصورين. ولهذا أرجوكِ اتركيني لأحزاني، ليتاح لي التعامل معها والإنتاج منها والتطور بها.

- يا إلهي كم أنت قاسٍ على نفسك.

- بل أنا رحيم بها.

- بالتأكيد كنتَ عندما تقدَّمت لي تطمع بحياة هادئة مسالمة.

- ربما ذلك صحيح، ولكن هل لها وجود حقًّا هذه الحياة الهادئة المسالمة؟ لا أعتقد ذلك، ولهذا نطلبها. نعم، أملنا بها هو من يخدعنا ويوهمنا بوجودها ويدفعنا للطمع بها. نعم، نحن ضحايا الأمل، ضحايا الطمع والجشع.

- يا إلهي، هل أفقدتُك الأمل؟

- هذا أكبر صنيع قدَّمته لي، فشكرًا لكِ. نعم، أنا بحاجة للتشاؤم، لكي أواصل في هذه الحياة، لكي يتاح لي الكتابة. أنتِ غير قادرة على تصور أهمية قلمي لي، ولهذا عاجزة عن تصور مدى حرصي على إيجاد الظروف التي تكتب وترسم به.

سكتت للحظات، ثم عادت وقالت بنبرة مُصطنع فيها الحزن والأسف والأسى والندم:

- أعتذر على كل ما سببته لك من أذى.

هذا استفزتني يا صديقي، فأنا بحاجة إليها على حقيقتها جشعة، بحاجة إليها غير منكسرة أمامي، أو بالأحرى مُدَّعية الانكسار، فقلتُ محاولًا الإيحاء لها بأن حبي لها يجعل قراري بالانسحاب صعب، وأنَّ هناك إمكانية لتراجعي عنه:

- أرأيتِ كيف أُفسدكِ وأُؤذيكِ بدفعكِ لاستغلال حبي لكِ بالخطأ بحقي والطمع بقبولي لاعتذاركِ، وكيف تُفسدينني وتؤذينني بدفعي لاستغلال حبي لكِ بالطمع باعتذاركِ. نعم، علاقتنا الآن قائمة على الاستغلال، وهذه الصفة التي أمقتها، هي التي أخاف منها على الحب. أرأيتِ كيف أنَّ اضطراركِ للاعتذار يؤذيني، واندفاعي للقبول يؤذيكِ. نعم، كلينا يضر الآخر، ولكن الفرق بيني وبينكِ هو أنَّ حبي لكِ يجعلني قادر على تحمُّل الضرر الذي تُلحقينه بي، بينما أنتِ عاجزة عن احتمال الضرر الذي ألحقه بكِ لكونكِ لا تحبينني، أو بعد لستِ متأكِّدة من طبيعة مشاعركِ نحوي. من هذا أستنتج أنكِ الطرف الخاسر في علاقتنا، ولهذا أنا بحاجة للانسحاب، وأنتِ بحاجة إلى تقبُّل وتفهُّم قراري.

- لماذا تقول هذا؟ أقسم أنني ...

- أرجوكِ لا تُكمِلي. لا تنطقيها، فأنتِ لستِ مضطرة لذلك، وأنا لستُ مضطر لسماعها.

نعم، لقد أبهركَ أدائي أمامها يا صديقي، أليس كذلك؟ نحن الروائيون لربما الأقدر على التمثيل، وذلك لحاجتنا الدائمة لتقمص أدوار وشخصيات شخوص حكاياتنا، ولحاجتنا لعيش ظروفها وأجوائها. نعم، تلك الحاجة هي من تجعلني أجيد التمثيل أمامها، هي من تجعلني قادر على إخفاء حقيقة مشاعري تجاهها، هي من تجعلني قادر على إخفاء شخصيتي الحقيقية، هي التي تجعلني قادر على الكشف عن نواياهم وإخفاء نواياي، هي التي تجعلني قادر على إخفاء خططي عنهم. نعم، للتمثيل دور مهم في تحقيق الانتصارات والإبقاء عليها، فهو يساعد بعدم اكتشاف العدو لخسارته وذلك بمنحه فقط الشعور بنقيضها.

سألتُها بعد الإيحاء لها أنني لا زلتُ أحبها، للتأكُّد فيما إذا كنتُ نجحتُ بدفعها للطمع، قائلًا:

- أعتقد أنكِ قررتِ الارتباط بي تنازلًا لرغبة أهلكِ، أليس كذلك؟

- هذا صحيح، هم يريدون مني ذلك.

اعترفتْ بذلك بسرعة لتوحي أنها مُكرهة أو متنازلة لإلحاح أهلها، وذلك لتدفعني لتقديم التنازلات. نعم، كون أحد الأطراف مُكره في علاقة ما على الآخر، يُتيح له هذا السيطرة والهيمنة، وهي أرادت أن تكون مُسيطرة بادعاء أنها مُكرهة.

هذا السؤال الذي وجَّهتُه لها هدفي منه التأكد من نجاحي ببعث الطمع فيها بعدما أماته الخوف، وبإجابتها بتُّ متأكد أنني نجحتُ في ذلك. يا لمفعولها ادعاءاتي في كشفها.

رددتُ عليها محاولًا التصعيد، قائلًا بنبرة حادة:

- تجاوبكِ معهم في حالتكِ هذه كان خطأ كبير. ماذا لو وقعتِ مع غيري؟ ألم تدركي أنه كان سيستغل حالتكِ هذه بدون التفات لموافقتكِ، وبالتالي ربطكِ به رغمًا عنكِ. نعم، هو حبي لكِ من دفعني للتراجع، مُعلِّقًا الأمل على المستقبل الذي قد يحمل الأجمل. أرجو منكِ ألا تحاولي مجاملة أحد في المستقبل، وتحديدًا في قراراتكِ المصيرية.

ولأنني أردتُ استفزازها بالإيحاء لها أنني أعرف نواياها، قلت:

- ولكن صدِّقيني، أنتِ لم تفعلي ذلك من أجلهم فقط، بل من أجل نفسكِ أيضًا، ولربما من أجل نفسكِ فقط. نعم، أنتِ أنانية طماعة.

فقالت ببرود وتكبر:

- لا أنكر ذلك؛ نعم أنا أنانية وطماعة.

لاحظتُ يا صديقي أنها تجاهلتْ الرد على اتهامي لها بأنها فعلت ذلك من أجل نفسها، ولربما ذلك بسبب غرورها الذي يمنعها من الاعتراف بحبي، وخوفها من أن يدفعني اعترافها ذلك للطمع بها كما تطمع بي، وذلك لربما للفشل الذي مُنيت به في تجاربها العاطفية السابقة، فتغاضيتُ عن تجاهلها هذا، ورددتُ على ردها قائلًا بنبرة الناصح اليائس من وصول نصيحته:

- تعلَّمي القناعة لا لتتركي لغيركِ، وإنما لتُبقي لنفسكِ.

- لم أفهم عليك.

ردها هذا ليس مفاجئًا، فهو متوقع يا صديقي، ولهذا تفاديتُ التوضيح، وأخذتُ بمطالبتها بالحذر من حالتها النفسية، وبحثها على عدم الاختيار هذه الفترة، مُحذرًا إياها من أنَّ إقدامها على ذلك في هذه الفترة سيُكلفها كثيرًا، وبأن اختياراتها جميعها ستكون خاطئة مهما اجتهدتْ في تجنب ذلك.

وفي أثناء محاولتي يا صديقي تقديم مجموعة من النصائح إليها، قاطعتني بالتساؤل عن سر انتقائي لها من بين كثير من النساء، ثم أخذتْ بتعداد أسماء بعض النساء المتاحات لي، ومن تلك النساء شقيقتها التي تصغرها والتي سبق لها أن أبدت إعجابها بي لي شخصيًا ولمحيطي، فأردتُ استفزازها يا صديقي بالادعاء بأنني قد أفكر بذلك في المستقبل.

محاولات إبعادي هذه وطرحها البدائل، سببها تصديقها ادعائي بأنني أحبها وبأنني لا أستطيع التعيش مع غيرها. نعم، لم تكن ستفعل ذلك، لو لم تكن متيقنة من ذلك. لقد ابتلعتْ طعمي يا صديقي بما لا يتيح لها المجال للإفلات منه أبدًا. لقد اقتدتُها بادعاءاتي لحدود من الطمع لا يمكن تصورها. إنها لا تكتفي بالتنازلات التي أقدِّمها، وتسعى لتلويعي لتجعلني أستكثر أصغر العطايا منها. يا إلهي كم هي دنيئة! كان الله في عون من سيرتبط بها -هذا إن وجد-، نعم حتى أكثر الرجال عطاءً، سيكونون عاجزين عن ملئ عينها لجشعها. امرأة بهذا القدر من الجشع ستفقر الجميع. نعم، وظيفة المرأة إغناء الرجل يا صديقي، وكذلك العكس، فإذا أفقر أحدهما الآخر مات الحب، وشُنق الود، وولدت الخيانة. ولكن توقف لوهلة يا صديقي؛ أيُعقل أن يكون عرضها للبدائل نتيجة فقدانها الثقة بنفسها، لكونها لم تُطلب في تلك السنوات التي كانت معروضة فيها للزواج، أو لكونها أتيح لها نظرة لتلك المرآة التي

كشفتْ لها عن صورتها الحقيقة وحجمها الفعلي؟ هذا وارد يا صديقي، ولكنني أُرجّح الاحتمال الأول، فهذه العائلة عُهِد عنها الجشع.

أردتُ بسبب فعلها التلاعب بها نفسيًا، فقررتُ العودة للقسوة عليها، ولزعزعة ثقتها ببقائي، فقلت بحزم:

- احترامًا لمشاعر العائلتين، سأعلِّق التواصل معكِ لفترة، فأرجو منكِ تفهُّم قراري والكف عن مراسلتي لكي لا أضطر لتجاهلكِ. واصلي في حياتكِ، وأرجو أن أكون بانسحابي أتحتُ لكِ المجال لاتخاذ خطوات في سبيل سعادتكِ. أتمنى لكِ الخير في الفترة القادمة. كوني قوية، وواجهي الحياة بواقعية أكثر.

- لا تذهب أرجوك. قل لي على الأقل أنك لست متضايق مني.

- لا، لستُ كذلك. أنا سعيد لسعادتكِ، ومرتاح لراحتكِ، ولكنني مُتألم بعض الشيء لحزن أفراد العائلتين. لا تقلقي، سعادتي ستدوم، وحزني مع الوقت سيتلاشى.

- لقد كان حزنهم نتيجة قرارك. نعم، لقد طلبتُ منك تجربة الخيار الثاني ولكنك رفضت.

يا إلهي ما أوضعها وأوقحها يا صديقي، تعاملني كأنني المُنسحب متناسية أنها هي من اتخذتْ هذا القرار بعد مساعدتي لها. لقد صدَّقتْ كذبتها. هذه الوقاحة لم أرَ لها مثيل. صحيح، أنني دفعتها لذلك، ولكن يا صديقي هذا ليس مبرر لها. لا بأس يا صديقي، فلقد جاريتها كما سبق ووعدتك، ولم أفاتحها بفعلها الدنيء الذي سبق وأقدَمتْ عليه، لأعاقبها بالنهاية الصادمة.

رددتُ عليها بحدة:

- الحياة الزوجية لا تنفع ولا تليق بها لعبة الاحتمالات.

- إنك لم تبذل أي محاولة معي، تركتني لوحدي أحاول. نعم، أنت من قلتَ تحسني لوحدكِ في البداية.

يا إلهي ما أوقحها يا صديقي حتى في استجدائي بالبقاء. هذا أغضبني فرددتُ عليها بحدة:

- صحيح، وما زلتُ مُصِر على موقفي. ولكن انتظري؛ ليس هذا ما قلته. لقد قلتُ أنكِ بحاجة لتكوني لوحدكِ، وأعتقد أنَّ هناك فرق واضح بين القولين. أتمنى ألا تكوني أوصلتِ الصورة بهذا الشكل للآخرين. "تحسَّني لوحدكِ" توحي بأنني استغنيت، وهذا ما لم أفعله. إن شئتِ تحميلي مسؤولية ما جرى، فأنا لا مانع لدي، ولكن لن أسمح لكِ باتهامي بأنني تهرَّبت.

- أنا آسفة، لم أقصد ذلك.

- أتمنى منكِ استغلال هذه الفترة والمساحة التي سأتيحها لكِ بانسحابي أفضل استغلال، والخروج عند تعافيكِ للبحث عمن سيحبكِ وتحبينه. أتمنى لكِ حياة سعيدة، وأتمنى منكِ نسياني والنظر للمستقبل والمواصلة.

- أرجوك، أنا لا أحتمل هذا. هل سنبقى على الأقل على تواصل؟

- لا، فهذا سيعيق تحقق هدفي من الانسحاب، سيُعيق بحثك عمن تحبينه، سيُعيق تعافيكِ. نعم، ينبغي أن يذهب كل منا في سبيله، لنكون قادرين على احترام بعضنا البعض على الأقل.

- لماذا هذه القسوة؟

- ليست قسوة، وإنما احترام.

- أنا متنازلة عن هذا الاحترام. أرجوك، ابقَ معي.

- لا لن أفعل. أنا لا أستطيع سوى إبداء الاحترام لكِ، ولهذا سأنسحب.

- كيف ستتعامل مع صورتي في مخيلتك؟ ألن يجرحك حضورها في عزلتك؟

- أنا لديَّ أبحاثي الفلسفية. نعم، سأُشغِل نفسي عنها بالمسائل الفلسفية.

- تعوَّدتُ على وجودك، أرجوك لا تعذبني.

- العادة بإمكانكِ التغلب عليها في ظرف أيام، لستُ قلق عليكِ.

- أرجوك لا تذهب.

- احترامًا لمشاعر الجميع ينبغي عليَّ ذلك.

- أرجوك لا تختفي، أنا بحاجة إليك.

- لا رجعة لي عن قراري الذي هو لمصلحتكِ.

- أنت تفعل هذا لمصلحتك. نعم، أنت تريد هذا لنفسك، ولربما هذا ما كنتَ تخطط له من البداية.

- نعم، أنا أريده لأنه فيه الخير لكِ. أنتِ غير مدركة لذلك الآن، ولهذا لن تتفهمي قراري، ومع ذلك أنا واثق أنكِ مع الوقت ستفعلين.

- أرجوك، رغبتي تتمثل في بقائك.

- رغبتكِ لن أحققها لكِ هذه المرة، أعدكِ. الآن حان وقت الرفض، لأُعلِّمكِ أنَّ الحياة لا تمنح كل شيء ولا تُشبع لنا جميع رغباتنا. أنتِ تريدين كل شيء، الخيار ونقيضه، أنتِ جشعة، أنانية. ألم تدركي بعد أنَّ الحياة في حال استمرت بتحقيق رغباتنا فإنها تفسدنا، ألم تدركي بعد أنها ترفضنا وترفض لنا الكثير من طلباتنا ورغباتنا لكي تتيح لنا أن نكون بشر أفضل.

التقطتُ أنفاسي، ثم عدتُ لرفع مستوى حدة نبرتي وعنف قسوتي، موقفًا إياها عن قول ما ترغب بقوله:

- أنتِ مُدللة، لم يتح لكِ بعد مواجهة الحياة ومجابهة عقباتها، لم تتعاملي بعد مع صعوبات كبيرة. أنتِ بسيطة جدًا بل ساذجة، وأعتقد أنَّ هذا سببه عدم خروجكِ بعد للعالم. جميع مشاكلكِ تريدين من الآخرين مساعدتكِ في حلها، جميعها تحاولين إشراك الآخرين فيها لتحميلهم المسؤولية وليتاح لك التهرب من مسؤوليتكِ. نعم، أنتِ فقيرة جدًا. أتمنى أن تخرجي من القوقعة التي تعيشين فيها لتواجهي الحياة وليتاح لكِ التعرُّف عليها، ليتاح لكِ التعامل مع مشاكلكِ لوحدكِ، ليتاح لكِ أن تكوني امرأة أفضل. نعم، نحن البشر لا نتعلم إلا من معاناتنا، ولهذا كان دوستويفسكي يستجدي ربه بأن لا يحرمه من معاناته.

- كل هذه المشاكل التي في حياتي، وتقول بأنني بعد ليس لديَّ مشاكل! أأنت ...

قاطعتها هنا بحدة، قائلًا:

- اخرجي للعالم، وانظري لمشاكله وأزماته وتحدِّياته، وأقسم أنه سيتاح لكِ تحقير نفسكِ التي اعتقدتِ أنها محور الكون بتهويلكِ لمشاكلكِ. نعم، ستجدين مشاكلكِ وأزماتكِ تافهة جدًا، بسيطة وحلولها متوفرة هنا وهناك بكثرة، بالنسبة لمشاكله، ولربما ستجدين أنه من المُعيب حتى توصيفها على أنها

مشاكل وأزمات. اخرجي للعالم لتطَّلعي على معاناة الشعوب، لتدركي أنكِ لا تعرفين شيئًا عن المعاناة والقسوة والألم. لقد أفسدكِ ذلك الفراغ الذي أحطِّي نفسكِ به، فبدلًا من الأخذ بخيار العمل به، أخذتي بخيار اللهو والتسلية والخمول. نعم، أنتِ بدون هدف. ألم تدركي بعد أنَّ الإنسان بدون هدف مُستنفَذ؟! نعم، ينبغي عليكِ البحث عن أهداف، لترهقي نفسكِ بالسعي إليها. أنتِ عاجزة عن تصور قدر اللذة الذي يمنحه الاستلقاء على الفراش بشعور الإنهاك. الملل يتيح للبشر خيارين، إما العمل والبحث عن هدف قيّم يُفيد البشرية، وإما التسلية واللعب واللهو، فأرجو أن تسمحي لنفسكِ بتجربة الخيار الأول. متوفر لديكِ إمكانيات كثيرة غير متاحة لغيركِ، لديكِ ظروف عمل أفضل من غيركِ، فاستغلي هذه الميزة. كوني أقوى.

نعم، لم تلتفت هذه الجشعة الخاملة لحديثي، وأخذتْ باستجدائي بتذلل وبترديد كلمة "أحبك" لإغرائي، مُعتقدةً بذلك أنني جشع مثلها، فقلتُ بحزم وبنبرة جافة:

- أتمنى أن تسمحي لي بالخروج من حياتكِ بأقل الأضرار. أتمنى أن يُحالفكِ الحظ والتوفيق في خطواتكِ القادمة.

فاستسلمت لعنادي، قائلة بصوت باكي ليس فيه لحن الدمع فبان أنه مُتصنَّع:

- ولكن ينبغي عليك أن تسمح لي بالتواصل معك عند حاجتي إليك.

- دعيني أفكر في الموضوع، وإلى أن أرد عليكِ أرجو منكِ عدم مراسلتي.

وهنا أغلقتُ معها.

سأتركها لأسبوع من الزمن أدفعها فيه للاعتقاد بأنها فقدتني كخيار، لأعود إليها بعد ذلك بادئًا مرحلة جديدة من خطتي، أدفعها فيها للشك فيما إذا كنتُ خيارًا متاحًا أم لا، وفي هذه المرحلة سأشترط عليها وجودي في حياتها بصفة الصديق، فهذه الصفة لربما ستكون مريحة لها أكثر من صفة الحبيب، وبالتالي دافعة إياها للبوح أكثر، ممهدًا بهذه المرحلة للمرحلة النهائية التي سأعود فيها للعب دور العاشق، والتي أيضًا سأوحي فيها للجميع بأن المياه عادت لمجاريها لأوجّه ضربتي القاضية لهم على غفلة، وأحصد من وراء ذلك العوائد التي لطالما طمعتُ بها، وكانت سبب بدفعي للمشاركة في هذه المهزلة.

هذه الفترة التي سأبتعد عنها فيها، سأخرج من غرفتي للاختلاط بأفراد العائلة لطمأنتهم بادعاء أنني عاشق، وبأنني سأعود إليها بعد تلويعها، دافعًا إياهم لعدم التأثُّر برسائل أفراد عائلتها الذين يلحّون عليهم للضغط عليَّ لإصلاح العلاقة والعودة للمسير بالإجراءات القانونية للخطبة ومن ثم العمل على إشهارها، ومطمئنًا الجميع بالادعاء بأنني أنوي فعل ما يرغبون به ويطلبونه.

هذه الخطوة مهمة يا صديقي، فهي ستمنحني عند الانفصال النهائي تعاطفهم الذي سيتيح لي سنة أو سنتين من الهدوء، ولهذا عليَّ تنفيذها بدقة وبحرص وحذر شديد وخاصة مع أخي الذي بدأتُ أشعر بأنه بدأ يشك في أمري، فلقد سألني متعجبًا مؤخرًا عن سر قيامي بكل هذا، موحيًا لي بأنه مدرك أنني أخفي شيئًا، ومحاولًا إيصال رسائل مفادها أنني تحت عينيه. سأحاول هذه الفترة تبديد شكوكه، بلعب دور المشتاق المحترق بالبعد عنها، بالشكوى من هذه الحياة التي سأصورها أنها غير عادلة، وفيها العيش صعب ويتطلب مجهودًا مضنيًا، وبطلب مشورته في طريقة التعامل مع النساء، وبعرض بعض الخطط التي سأدَّعي أنني أحوزها لمستقبلي معها وطلب رأيه فيها. نعم، أخي هذا خطير جدًا كما سبق وأخبرتك، بمقدوره كشفي من أصغر خطأ، ولهذا هو يستحق حذري وحرصي في لعب دور العاشق أمامه أكثر من غيره. في حال نجحتُ معه، سأكون نجحتُ مع الجميع، ولهذا هذه الفترة سأركز عليه.

هذا أبرز ما جرى معي اليوم، وهذه خطواتي للمرحلة القادمة، فإذا كان لديك اقتراحات أو استنتاجات لاحظتَ أنني غفلتُ عنها، فأرجوك زودني بها.

المؤمن بك

ت.ه

22 حزيران (يونيه)

صديقي العزيز ج.ل

يا إلهي كم رسالة تلقيتُ من أمها خلال هذا الأسبوع الذي قاطعتها فيه يا صديقي، تستجديني فيها بإلحاح وتذلل للعودة لابنتها، متنازلة مؤقتًا عن طلبها الذي كانت تلح عليه على الدوام -أقصد المسير في الإجراءات القانونية للخطبة والإشهار-، طامعة فقط بعودتي للتواصل معها، محاولة التصوير بأنَّ حالة ابنتها النفسية تدهورت، وبأنها دخلت في حالة اكتئاب شديد قد تشكل خطر على حياتها، وكذلك فعلتْ مع أهلي الذين أخذوا بمطالبتي بالعودة لها بأسرع وقت، للتخلص من إلحاح أهلها عليهم. كما سبق وأخبرتك، هذا الإلحاح له أسبابه التي بعد لم يفصحوا عنها، والتي لربما تُعد بمقاييس مجتمعنا جرائم وكوارث.

لا يا صديقي، لا تعتقد أنهم تنازلوا عن طلبهم مني بالمسير بالإجراءات القانونية للخطبة ومن ثم الإشهار، لا تعتقد أنهم فقط يطمعون بتحدُّثي وتواصلي مع ابنتهم لعلاجها نفسيًا. نعم، هم بعد يريدون ذلك وبشدة، وسيلحُّون عليه، ولكن ذلك بعدما يضمنون عودتي إليها بعدما شعروا أنهم بدأوا يفقدونني. نعم،تخوفهم الأكبر الآن من احتمال انسحابي بلا نية للعودة، وهذا يؤرقهم جدًا، ويدفعهم لهذا الإلحاح الذي فيه تذلل مُقزز. نعم، في حل عدتُ إليها، سيعودون للإلحاح عليَّ بطلبهم الرئيسي.

لعلك تسأل قائلًا: بمقدورك استغلالهم، فلماذا لا تفعل؟ بمقدورك مطالبتهم بتنازلات كبيرة، فلماذا لا تطالبهم؟ نعم، بمقدوري ذلك، ولكن لن أفعل، فأنا ليس بحوزتي سوى طلب وحيد منهم وهو انسحابهم ورفضي، ولقد أتحتُ الفرصة وهيأت الظروف لهم للقيام بذلك، ولكنهم رفضوا طلبي، ولهذا عليَّ الآن انتزاعه لا طلبه. بالإضافة لذلك يا صديقي، لن أقوم باستغلالهم لكي لا ترتفع كلفة الانفصال، ولكي لا أزيد من حدته، ولكي لا أشعرهم بأنَّ خسارتهم كبيرة. نعم، أريد أنَّ أشعرهم أنهم خرجوا كما دخلوا بلا تنازلات. لا أريد منهم الشعور بأنهم قدَّموا لي شيئًا، لكي أتفادى محاولتهم العودة لانتزاعه. أريد أن يكون انفصالي عنها أبدي، وذلك لن يكون إلا بشعورها أنها لم تخسر شيئًا معي، ولم تُقدِّم لي شيئًا. سأحاول تجنُّب عداوتهم، وفي حال فشلتُ فسأحاول تجنُّب سعيهم للانتقام وإلحاق الهزيمة بي، لا لشيء إلا لأنني لا أريد إضاعة وقتي مع أعداء سدَّج كهؤلاء. نعم، أنا يا صديقي أريد أعداء أحبهم ويحبونني، أريد أعداء لا أستطيع التعايش بدونهم، أريد أعداء أحترمهم ويحترمونني، أريد أعداء يجتهدون في هزيمتي كاجتهادي في هزيمتهم، أريد أعداء بإمكانهم المناورة، أعداء أشعر معهم أنني في بعض الأحيان أفقد السيطرة لحنكتهم، أريد أعداء جهدي ووقتي المبذولين في سبيل هزيمتهم لا أشعر بأنهما مهدران، أريد أعداء بمقدورهم دفعي لأكون أفضل،

أريد أعداء فرص الهزيمة والنصر أمامهم متكافئة. يا إلهي كم هي مملة تلك المعركة التي فرص الانتصار فيها أكثر من فرص الهزيمة، يا إلهي كم يشعرني بالملل الأعداء الذين يسهل الإطاحة بهم، يا إلهي كم يضايقونني الأعداء الذين أشعر بأنني أهدر وقتي بعداوتهم. نعم، خسارة تلك العداوة التي نوليها لأناس لا يستحقون الجهد والوقت المبذول في هزيمتهم.

لعلَّك تقول بأنَّ هذا قد يكشف عن نواياي لهم، قد يدفعهم للشك في صدق مشاعري، ذاهبًا للتأكيد بأنَّه من الطبيعي أن يكون لكلا طرفي العلاقة مطالب. نعم، هذا صحيح لو كان هذا مع غيرهم. ألم أصف لك بقدر كافي ما هم عليه من جشع؟! يا صديقي، إنهم به مغيبون، مضللون، يعتقدون بأنهم منتصرون، يعتقدون به بأنهم أذكياء جدًا، يعتقدون به بأنهم على بعد خطوة من نيل مطالبهم. نعم، من يحوز كل هذا القدر من الجشع، لن يُدرك ما يخطط له الآخر، لن يُفكر في أخطاء خصمه ويحللها للكشف عن نواياه، لن يتاح له إدراك الهزيمة التي تُلحق به لانشغاله بالنظر لما بين يديه وتحت قدميه. نعم، لقد ارتكبتُ العديد من الأخطاء التي كان من المفترض أن تكشف لهم عن نواياي وخططي وحقيقة مشاعري، ولكنهم لم يلاحظوها ويقفوا عليها لجشعهم. أنا يا صديقي لستُ إله لكي لا أخطئ، ولكنني معهم أشعر بأنني إله لقدرتي الكبيرة على تسيير الأمور كما أشاء والتحكُّم بالمصائر، لكوني لا أُحاسَب على أخطائي، لكوني في أحيان لا أشعر بأنَّ في خطتي أخطاء ينبغي عليَّ تعديلها. نعم، معركتي معهم لا عائد لي منها، لا أمل لي فيها بأن أكون إنسان أفضل، لا أمل لي فيها باكتشاف أخطاء تحليلي واستنتاجاتي. نعم، أنا بحاجة إلى أعداء لا أشعر بأنني إله معهم، فهذا الشعور مُضِر جدًا يا صديقي، مُعيق بشكل مُخيف لتطوري وتقدمي. نعم، أنا أريد أعداء ألتفتُ معهم لأخطاء تحليلي واستنتاجاتي، ألتفتُ معهم إلى نقصي وضعفي، ليتاح لي التعلُّم والتطور. نعم يا صديقي، الأعداء المحنكون يُلهموننا، يُحفزوننا، يُشعروننا بالحاجة والنقص، يُدفعوننا لطلب المساعدة.

دعنا الآن من تساؤلاتك، ودعني أطلعك على ما نويت عليه. غدًا سأعود إليها لأبدأ المرحلة قبل الأخيرة، والتي فيها سألعب دور الصديق. سأرسل لها رسالة أشترط عليها لقبولي بتواصلها معي الاكتفاء بدور الصديق مني، وعدم مطالبتي بدور المحب أبدًا. جشعها سيدفعها للقبول في البداية، فهي ستشك بأنَّ عودتي قد يكون سببها عجزي عن تحمُّل البُعد عنها، وهذا سيدفعها إذا تأكَّدت من ذلك، لمطالبتي مجددًا بدور المحب، لمطالبتي بالمسير بالإجراءات القانونية للخطبة ومن ثم الإشهار.

لقد هيَّأت نفسي لدور الصديق، وذلك بالتدرب على أن يكون لساني سليطًا بعض الشيء، صريحًا، لاذعًا، ناصحًا، مُعنفًا، موبخًا، وأيضًا بالتدرب على أن يكون صوتي مُختفي منه الارتباك الذي ادعيته بدور المحب، وأيضًا بالتدرب أن أكون أكثر عفوية وتحررًا ومزاجية. هذا الدور سيساعدها بالإفصاح عن بعض مما تخفيه ولم تفصح عنه عند لعبي لدور العاشق.

هذه الفترة أمَّنتُ نفسي فيها عند أفراد عائلتي، وضمنتُ عدم شكهم في نواياي وخططي ومشاعري، وذلك بالادعاء أمامهم طوال هذه الأيام بأنني محب متشوق للعودة لمحبوبته، وخصوصًا مع أخي الذي أخيرًا صدَّق ادعاءاتي، بعدما لعبتُ دور العاشق هذه المرة أمامه طوال الأسبوع الماضي بشكل يومي. الوقت الذي كنتُ أمضيه في تواصلي معها في البداية، كان يجعل عودتي إليه للادعاء صعبة جدًا عليَّ وعليه، ولهذا أتاح لي انقطاعي عنها، فترة التصقتُ فيها به لتبديد كل شيء لديه ونجحتُ فيها بطرد شكه.

هذا معظم ما جرى طوال الأسبوع الماضي، وهذا أيضًا معظم ما أخطط لفعله في المرحلة القادمة، ولهذا إذا كان لديك استنتاجات واقتراحات جديدة، فزودني بها في أسرع وقت بدون تردد وتأجيل.

لعلك تتساءل بتعجب عن سر طلبي منك المساعدة على الدوام، وخصمي هذه المرة على هذا القدر من السذاجة، أليس كذلك؟ هي العادة يا صديقي التي التصقتْ بي من مواجهة الخصوم الذين يستحقون عداوتي، وأيضًا لمحاولتي مقاومة الشعور بأنني إله، ذلك الشعور الذي يدفعونني إليه بسذاجتهم. يا صديقي، إنني أخاف أن أُعَادِي كانط وأنا بهذا الشعور وبهذه النفسية، ولهذا أحاول مقاومة هذا الشعور المقزز. كانط يستحق عداوة لا مثيل لها، لكي يتاح لنا فهمه، ومصادقته، والانتماء إليه. أنت لا تعلم يا صديقي كم تطلب مني الاستعداد لأكون قادر على بذل ذلك الصنف من الاحترام والتقدير الذي يستحقه كانط عندما قررتُ مطالعة نتاجه للمرة الأولى، أنت لا تعلم كم تطلب مني ذلك من وقت وجهد استمرا بإبعادي عنه وزيادة شوقي إليه حتى أوصلاني إليه. لهذا يا صديقي أنا خائف من هذه الفترة التي فيها أخطط للانتصار على هؤلاء السذَّج، خائف من تأثيرها عليَّ وعلى استعدادي للعودة إلى كانط. نعم، الاستعداد لكانط يتطلب منا الإطاحة بأعداء يستحقون العداوة، يستحقون احترامنا، أعداء عباقرة، مجتهدون، لهم لمستهم في عالمنا هذا، وأيضًا يتطلب منا الاستعداد حتى للإطاحة بالأصدقاء. أعرفتَ السر من وراء ذلك يا صديقي؟ إذا لا تتردد في مساعدتي.

صديقك إلى الأبد

ت.ه

25 حزيران (يونيه)

صديقي العزيز ج.ل

لقد بدأت يا صديقي في هذه المرحلة الجديدة، فلقد راسلتها وعرضتُ عليها شرطي للاستمرار بالتواصل معها، وبعدما وافقت طالبتها بمكالمة هاتفية كنتُ قاسيًا فيها عليها، فدعني أعرض عليك الحوار الذي دار بيننا وشاهد كيف كنتُ عنيفًا معها.

بعدما رفعتُ سماعة الهاتف، وبعد عبارات الترحيب الفاترة المُفتقِرة للحيوية، وبعدما أكدتُ عليها مجددًا الالتزام بشرطي، قلتُ بنبرة فيها الجد والهزار لكسر هذا الحاجز الذي شكَّلته الأزمة الأخيرة:

- لماذا أيتها المُدللة متسببة بالحزن لأهلكِ، وبالأخص لوالديكِ؟ ألا تدركين أنهما في سن عاجزان فيه عن احتمال الحزن والقلق. كان عليكِ تحمُّل المسؤولية وتطبيب جروحهم وطمأنتهم أنَّ المستقبل سيحمل الأجمل، لا أن تزيدي قلقهم وحزنهم وخوفهم عليكِ أيتها الأنانية. فور انتهاء هذه المكالمة أريد منكِ التوجه والذهاب للجلوس معهم بروح مرحة لطمأنتهم عليكِ. أيتها الساذجة، إياكِ الاعتقاد أنني كنتُ حزين لما جرى، فلقد كنتُ مشغول بكتبي وعملي. أرأيتِ ما أهمية أن يكون للإنسان هدف وشغف. نعم، الحزن تمكَّن منكِ، لأنه وجدكِ فارغة، ولأنكِ لم تجدِ غيره للانشغال به.

- نعم، أنت أقوى مني. أما بالنسبة لأهلي فهم يريدون مني الاعتذار لك.

- أنتِ لم تخطئ لتعتذري، فدعيكِ منهم.

- رغبتهم أن أستمر معك.

انظر ما أخبثها، رأت مني اهتمامًا بوالديها، فأرادت استغلال ذلك بعدما وجدتني غير مكترث لها وغير مهتم بها.

رددتُ عليها بحزم:

- دعيكِ من رغبتهم وتجاهليها، فهي ليست رغبتكِ، ولكن من حقهم عليكِ تخفيف حزنهم ومكافحة قلقهم فأنت السبب بهما، وذلك بالاهتمام بنفسكِ والإيحاء لهما بأنكِ بخير.

- ماذا أقول لهما؟

- لا تقولي شيئًا. اتركيهم على ما هم عليه. لا تحاولي خداعهم وإحياء آمالهم بأخبار ونوايا كاذبة. إياكِ وفعل ذلك.

- ماذا أفعل إذًا؟

- خففي عنهم صدمة تراجعنا فقط. وإذا كان في مقدوركِ حاولي إخفاء تواصلنا عنهم، لكي لا يعتقدوا أننا عدنا لاستئناف ما بدأناه. تحاوري معهم، فالحوار يُوصل وجهات النظر المختلفة ويُقربها. دعيهم يتفهَّموا قرارنا، وابتعدي عن أسلوبكِ الصدامي، حتى يتحقق لنا ما نريده بدون مشاكل ونزاعات وعواقب كبيرة وصادمة.

- أتعتقد حقًا أنَّ أسلوبي تصادمي؟

- نعم، هو كذلك. هو وسيلتكِ المعهودة لتحقيق ما تريدينه. ليس لديكِ لفقركِ أسلوب آخر، ولهذا هذه الفترة سأعلِّمكِ حيازة غيره. نعم، أنتِ بحاجة لبعض الدروس لتعلُّم كيفية التصرُّف مع الناس بشكل أفضل، فدعيني هذه الفترة أُعلِّمك بصفتي صديقتكِ.

- لماذا أنت قاسي عليَّ بهذا الشكل؟

- هذا ما ينبغي أن يكون عليه دور الصديق، وبالأخص في مثل هذه المواقف.

- لماذا عدت بهذه القسوة؟

- قررتُ عدم الانسحاب من حياتكِ هذه الفترة بصورة نهائية، وأكن لكِ صديقًا، فقط من أجل أمكِ التي رسائلها توحي بأنَّ قلبها يكاد يتوقف من حزنها عليكِ، وأيضًا لأخْلَصَ من توسلاتها لي بالعودة إليكِ.

اعتقدتُ هنا يا صديقي أنها ستغضب من أمها وتنوي توبيخها، ولكنها لم تلتفت لذلك، وقالت وهذا دلل على أنها موافقة على فعل أمها، بل قد تكون مشاركة:

- أيًا كان سبب عودتك، فأنا أقبله، ولكن أرجوك لا تنسحب من حياتي.

- أيتها الحمقاء، سأنسحب عاجلًا أم آجلًا، ولهذا توقفي عن استجدائي، وتجهزي وتهيئي لهذا الواقع ومن الأفضل لك تقبُّله. ولكن لا تقلقي، فلن أفعل ذلك قبل أن أمنحكِ بعض الدروس أيتها الساذجة، ليتاح لكِ عدم ارتكاب الأخطاء في المستقبل في بعض القرارات المصيرية.

- لن تنفعني دروسك وأنا بهذه الحالة، فوفِّرها أرجوك لوقت آخر.

- أيتها الحمقاء، أنتِ من أدخلتِ نفسكِ في هذه الحالة، وبقاؤك فيها إلى الآن خياركِ وقراركِ، ولهذا أخرجي هذه الأفكار السلبية من عقلكِ -إذا كنتِ تحوزين واحدًا-، وابدئي ببذل المحاولات للخروج أيتها المُدللة.

- لماذا تستخدم معي هذه الأوصاف القاسية والجارحة؟

- الإجابة واضحة أيتها الحمقاء، لأنها تصفكِ.

- أقصد لماذا الآن؟

- لأنني الآن أتعامل معكِ بدور الصديق، أيتها الغبية.

- آسفة لكوني سبب في حزنكِ.

- حزني؟! من قال لكِ أنني حزين؟! أيتها الحمقاء، إنني أترك مشاعري لحظة تولّدها، فأنا ليس لديَّ الوقت للتمسك بها. أنا لديَّ هدف أسعى لتحقيقه، لديَّ عمل أشغل نفسي به. بالعمل وحيازة الهدف ليس لديَّ لحظة وإنما لحظات، ولهذا ما يتولّد لديَّ من مشاعر وعواطف في لحظة، عاجزة عن الاستمرار معي في اللحظة التالية. حزني من الماضي، سعادتي من الماضي، كل شيء يستحيل عندي بالعمل من الماضي، لا شيء يستمر معي ليبقى في حاضري، وينتظر مستقبلي ليحل فيه. أنا بالعمل مُتجدد، منبعث على الدوام، لي مستقبل وحاضر وماضي. أنا لستُ مثلكِ أيتها الفارغة التي تجعل ماضيها يَحِل في حاضرها ومستقبلها. أنا أقوى منكِ.

- نعم، أنت أقوى مني.

- ألا تفكيرين بحيازة هدف، أليس لديكِ ميول لعمل ما؟ لماذا أنتِ فارغة على الدوام؟! ألا يعاتبكِ ضميركِ على كل هذا الوقت الذي تهدرينه؟ لماذا تهدرين حياتك؟! ألا تدركين أنكِ بدون عمل مُستهلَكة لا مُستهلِكة؟! يا إلهي كم أنتِ فقيرة.

- نعم، أنا لا أريد فعل شيء الآن.

- الآن أيتها الحمقاء ابنة الحاضر والمستقبل، فإذا لم تفعلي فيها، فلا حاضر ولا مستقبل سيكون لكِ.

- لماذا أنت غير قادر على تفهُّم أنني عاجزة الآن.

- أيتها الساذجة، انظري كم أدخل قولكِ هذا من حاضركِ ومستقبلكِ في ماضيكِ، انظري كيف أهدر حياتكِ.

- لن تتفهم ما أنا فيه.

- هذا صحيح، لأنَّ تفهُّمه يعني تبريره وتشجيعكِ على الاستمرار فيه. أيتها الحمقاء، من المفترض أن تكوني أكثر من لا يتفهمه، ليتاح لكِ تجاوزه. تفهُّمكِ له، يعني تبريركِ لاستمراره، يا صاحبة الرايات البيضاء.

- رجاءً، لا تصفني بهذه الأوصاف.

- ألأنني باستخدامها أكون مرآتكِ التي تتجنبين النظر فيها، مخافة مصارحتها لكِ بحقيقتكِ. سأستمر بالاستعانة بهذه الأوصاف رغمًا عنكِ، فإذا أردتِ تجنُّبي والابتعاد عني، فأنتِ بهذا تريحينني منكِ ومن مشاكلكِ.

- أريحك من مشاكلي؟! ألهذه الدرجة أنا عبء عليك؟

- نعم، أنتِ عبء لا عليَّ فقط، وإنما على الجميع. أنا صريح. إذا لم يكن مُحيطكِ صريح معكِ، فأنا لن أكون مثله. التعامل بوداعة معكِ ضار بكِ. نعم، الوداعة لا تستحقينها أيتها الساذجة.

- يا إلهي، لماذا هذا الهجوم العنيف؟ أأنت مُكره على العودة؟ ألهذه الدرجة أنت غاضب مني. ألهذه الدرجة بتَّ تكرهني.

- أيتها الحمقاء، الكره يُشغِل، وأنا ليس لديَّ الوقت لأكرهكِ. ثم سبق وأخبرتكِ أنَّ مشاعري لا تستحيل لنقيضها. قد لا أحبكِ، ولكن لن أكرهكِ. أتعرفين الفرق بينهما أيتها الساذجة؟ أأنا غاضب منكِ؟ نعم، غاضب من

محاولتكِ جعل حياة مُحيطكِ سوداوية بحزنهم وقلقهم عليكِ. إنهم لا يعنون لي شيئًا ولا أكترث لهم، ولكن إلحاحهم المزعج أنتِ المتسببة به. نعم، لهذا أنا مكره على العودة إليكِ.

- لماذا بتَّ صريحًا إلى هذا الحد؟

- تجنَّبتِ نعتي بالوقح مخافة اندفاعي بذلك لرفع درجة قسوتي عليكِ، أليس كذلك؟ إنها ليست وقاحة أيتها الحمقاء، إنه عقاب على وقاحتكِ. أرأيت كم هي مؤذية وقاحتكِ؟!

- أننا وقحة، لماذا تقول هذا؟

- نعم، وقحة. لا تتعجبي، وفقط التفتِ لتري كم أنتِ جشعة، لتدركي كم أنتِ وقحة.

- نعم، أنا طماعة، لا أنكر ذلك.

- إذًا فأنت وقحة. كيف لا تدركين ذلك؟! نعم، أنتِ جاهلة، ساذجة، فقيرة.

- يا إلهي ما أعنفك!

- إنكِ تودين سؤالي: "لماذا عدتَ طالما ستقسو؟ أليس الهدف من عودتك علاجي كما تقول، فلماذا القسوة؟"، ولكنكِ تتجنبين السؤال لكونكِ سعيدة بعودتي، ولخوفكِ إن سألتِ انسحابي. أليس كذلك؟ لا تخافي أيتها الحمقاء، لن أنسحب الآن، سأفعل ذلك في وقت لاحق عندما أرى الوقت مناسب لذلك. نعم، الهدف من عودتي علاجكِ، ولكن ألا تدركين أنَّ القسوة علاج أيضًا؟! نعم، كيف لفارغة مثلكِ أن تدرك ذلك؟!

- نعم، أنا سعيدة بعودتك، ولكن لستُ مرتاحة مع أسلوبك الجديد.

- راحتكِ لا تعنيني أيتها الخاملة الكسولة. نعم، لقد أفسدتكِ الراحة. أنتِ بحاجة إلى قسوة تتعبكِ، لكي ليتاح لكِ إدراك قيمة التعب ولذته.

- صدِّقني أرجوك، أنا متعبة.

- أيتها الجاهلة، لو كنتِ حقًا تدركين معنى التعب، لما وصفتِ نفسكِ بالمتعبة أبدًا. نعم، لو كنتِ متعبة حقًا، لكنتِ سعيدة، لكنتِ معافاة، لكانت لديكِ المناعة من الأمراض النفسية والجسدية، لكان لديكِ الشغف والطموح، لسعيتِ لطلب الراحة بحماس.

- أنا لا أفهم عليك.

- لأنكِ فقيرة. أنتِ بحاجة للتجارب ليتاح لكِ فهمي. نور الحكمة لا يستوعبه بسرعة من عاش في ظلمة الجهل طويلًا. لقد ذهب جهلكِ بنور الحكمة فتركك في ظلمات لا تبصرين، فكيف للنار التي أستوقدها لكِ الآن أن تكون ذات فائدة لكِ؟! نعم، أنتِ بحاجة في البداية لاسترداد بصركِ.

- أتدرك كم من وصف وصفتني به إلى الآن. وقحة، جشعة، عمياء، حمقاء، جاهلة، وغيرها من الأوصاف.

- جميعها صفات جرَّتْ بعضها البعض أيتها الساذجة، فلا تتعجبين. دعينا الآن من هذا الحديث وانتبهي معي. هذه الفترة ينبغي عليكِ أن تستعيدي شيء من عافيتكِ وحماسكِ، فلقد وضعتُ لكِ برنامجًا، سيكفل لكِ الخروج من أزمتكِ.

- لي أنا؟!

- بل لخيالكِ. بالتأكيد لكِ أيتها الحمقاء. أنتِ لا تعرفين كيف تخططين لحياتكِ، فدعيني أخطط لكِ مؤقتًا.

- ما طبيعة هذا البرنامج؟

- سأخبركِ لاحقًا، لا تتعجلي.

- أرجوك، أطلعني على الأقل على ملامحه.

- لن أطلعكِ على شيء. حاولي مقاومة فضولكِ قليلًا، أيتها الجشعة.

- أرجوك.

- لن أفعل، لأنكِ لن تحتملي ما سأشرحه ولن تفهميه. نعم، لن تستطيعي معي صبرا، وكيف تصبرين على ما لم تُحطي به خبرا.

- كما تريد.

- أحسنتِ القول. نعم، من الآن أريد سماع هذه المقولة باستمرار، لأن كل ما تريدينه الآن لنفسكِ لا يُناسبكِ.

- كل ما أريده أن تبقى معي.

- إذا كان هذا مطلبكِ في الحقيقة وهذا ما أستبعده، فأيضًا هو لا يُناسبكِ، ولهذا سأرحل قريبًا، فلا تعتادي على وجودي، وابدئي بالبحث من الآن عن غيري يملأ الفراغ الذي أنتِ فيه. نعم، فراغكِ ضيق، لا يتسع لشخص مثلي، ولهذا أنا لا أناسبكِ وأنتِ لا تناسبينني. أنا شخص جاد، وأنتِ صاحبة لهو وتسلية، فكيف سيتاح لي احتمالكِ، وكيف سيتاح لكِ احتمالي.

- أنا بمقدوري احتمالك.

- لستِ مُضطرة لذلك.

- لماذا تقول هذا؟

- لأنني أيضًا لستُ مضطر لاحتمالكِ. لن أتنازل لكِ بعد الآن. في حال سمحتُ لكِ باحتمالي، فستطالبينني باحتمالكِ، وهذا ما لن أفعله بعد اليوم.

- قسوتك هذه دليل على أنني تسببتُ لك بجرح عميق.

- بل دليل على أنني عقلاني.

- هل أفقدتك الثقة بالعاطفة؟

- بل أفقدتني الثقة بكِ. ما شأن ودخل العاطفة لأفقد الثقة بها؟! نعم، أنا عاطفي، ولكنني عقلاني في نفس الوقت. أصوّب العاطفة بالعقل، وألين العقل بالعاطفة.

- عن أي لين تتحدث، وأنت معي بهذه القسوة وبهذا العناد؟!

- أحيانًا عقلانيتنا تستوجب منها الإبقاء على قسوتها وتحييد أثر العاطفة عليها. ولكن توقفي، كيف تتعجبين من حديثي عن اللين؟! هل كنتِ ليّنة يومًا، لكي تستحقي أن أكون ليّنًا معكِ الآن؟!

- معك حق، ولكنك أفضَّل مني، فلماذا تعاملني بأسلوبي؟

- نعم، أنا كذلك. صحيح، معاملتي لكِ بأسلوبكِ تضر بي، ولكنها تنفعكِ. أنا أستطيع تحمُّل ذلك الضرر الواقع عليَّ من أسلوبكِ الذي أتخذه أسلوبًا لي معكِ، ولكن أنتِ لا تستطيعين تحمُّل ذلك الضرر الواقع عليكِ من أسلوبكِ، ولهذا سأجابهكِ به لدفعك لتركه والاستغناء عنه.

- إذًا فأنت تُضحّي من أجلي.

- بل أضحي من أجل نفسي، فإنساني ذاك الذي يلتفتُ لكل طالب للمساعدة، لا أستطيع أن أعصي له أمرا.

- أنا لم أطلب المساعدة.

- بل قمتِ بطلبها، بفقدانكِ السيطرة على حياتكِ، بفقدانكِ القدرة على توجيه دفة القيادة. هو الغرور فقط ما يمنعكِ من التعبير عن استغاثتكِ بالكلمات. نعم، استغاثتكِ يسمعها الصم، ويراها العُمي، حتى ولو لم تطلقيها بلسانكِ أو بتلويح يديكِ.

- لماذا تصورني عاجزة بهذا الشكل؟

- هذا سؤال لا يوجَّه للمرايا. ألم يسبق لي أن قلتُ لكِ أنني سأكون مرآتكِ.

- لم أعهدك عنيف بهذا الشكل من قبل.

- ذلك لأنني كنتُ أتصنَّع. هذه هي حقيقتي، هذا هو أسلوبي.

- لا، أنت لست كذلك.

- أصبحتِ الآن خبيرة بالتعرُّف على حقيقة البشر أيتها الساذجة؟! لقد فشلتِ في جميع تجاربكِ العاطفية، لأنكِ فاشلة في قراءة الشخصية التي أمامكِ، ولهذا لا تتبجحي وتطلقي الأحكام عليَّ، لا تدَّعي أنك تعرفينني. نعم، أنتِ آخر من يتكلم في هذا الموضوع.

- أنا لم أفشل، وإنما خُدعت.

- أن تكوني مخدوعة، يعني أن تكوني فاشلة، ألا تدركين هذا أيتها الساذجة؟!

- أرجوك، توقف عن رمي بهذه الأوصاف الجارحة، وعلى الأقل نادني باسمي.

- وهل أبقيتِ لنفسكِ اسم بعد كل هذا الفشل؟! هل يستحق اسمكِ أن أتذكره؟ ماذا كان اسمكِ؟ ذكريني به من فضلك. لا، لا تفعلي، فلا داعي لذلك، لأنني سأنساه مجددًا.

- لماذا تجابهني بكل هذا الحقد؟

- أنا حاقد عليكِ؟! لماذا أفعل؟ هل تستحقين أن أحقد عليكِ، هل تستحقين مني الالتفات إليكِ؟ أنا لستُ حاقد، وإنما حزين، وهذه طريقتي في التعبير عن حزني وتعاطفي.

- أنا لست بحاجة لحزنك.

- لو لم تكوني كذلك حقًا، لما وجد. أتعتقدين أنني الوحيد الذي يشعر بالحزن عليكِ؟ انظري حولكِ، الجميع كذلك، ولكن لكل منهم طريقته في التعبير. نعم، أنتِ لا ترفضين حزني وتعاطفي وإنما طريقة تعبيري عنهما، والبرهان قبولكِ بحزن الآخرين وتعاطفهم. ألا تخجلين من حزنهم عليكِ، ألا يجرحكِ تعاطفهم معكِ؟ يا إلهي كم أنتِ بليدة، كم أنتِ ذليلة! ألا تشعرين بالمهانة؟ هذا عجيب حقًا! لم يسبق لي أن رأيتُ مثيل لكِ.

- قلبي يتألم من كلامك الجارح. لم يسبق أن تأذى بهذا الشكل، وهذا دليل على أنني أحبك.

- ماذا تفعلين؟! إياكِ والتحدث إليَّ بهذا الشكل. التزمي بالحدود إذا سمحتي. لا تنسي أنني أتحدث معكِ بصفة الصديق. نعم، لن أقبل تجاوزاتكِ. إذا كنتِ عاجزة عن تقبُّل هذا، فأنا مستعد لأريحكِ بانسحابي.

- لا، أنا مستعدة لتقبُّل هذا، ولكن أرجوك لا تنسحب. أنا آسفة.

- هذا الخطأ إن تكرر، فلن أغفر لكِ. نعم، لن يكون لكِ فرصة ثانية إذا عدتِ لمثل هذا الخطأ.

- أرجوك، لا تتضايق، لا تغضب، فهذا لن يتكرر.

- حسنًا. الآن أريد منكِ الإغلاق معي والذهاب لطمأنة الجميع عليكِ. حاولي تغيير الأجواء التي هم فيها. أتجيدين الغناء؟

- لا، لا أجيده، لماذا تسأل؟

- لا بأس، يجب عليكِ على كل حال الغناء أمامهم، أو على الأقل إسماعهم بعض الدندنات من غرفتكِ لطمأنتهم عليكِ.

- لا، لن أفعل. صوتي نشاز.

- بل ستفعلين. من الآن لن أتسامح مع رفضكِ. الآن سيكون لديَّ لكِ عقاب على كل فعل منكِ لا يحظى بإعجابي.

- أرجوك، لا تضغط عليَّ. هم سيكونون بخير بمجرد معرفتهم بتواصلي معك.

- على الأقل أيتها الساذجة اخرجي واحتسِ معهم القهوة، وألق بعض النكات، أو اطلبي من أحدهم إلقائها، وإذا نجحتِ في تغيير الأجواء سيكون لنا غدًا في نفس التوقيت مكالمة أخرى، سأطلب منكِ فيها القيام ببعض النشاطات وفقًا للبرنامج الذي وضعته لكِ.

- حسنًا، كما تريد.

- أحسنتِ، هذه المقولة أريد سماعها منكِ كثيرًا هذه الفترة.

- حسنًا، كما تريد.

- الآن، اذهبي لتنفيذ مهمتكِ الأولى.

- أمرك. إلى اللقاء.

هذا هو الحوار الذي دار بيننا يا صديقي. لا، لم أدَّعِ فيه أنني غاضب، إلا في تلك اللحظات التي استوجبت مني ذلك، أما طوال المكالمة فقلد أوحيتُ لها أنني مرتاح، هادئ، وفي أحيان مسرور، لكي تعتاد بسرعة على دور الصديق وترتاح له، وبالتالي تندفع للإفصاح عما تخفيه، أو على الأقل تتجاوز أزمتها النفسية.

بالتأكيد لاحظتَ التذلل الذي كانت عليه، وهذا يعني يا صديقي أنها شبه فاقدة الأمل بعودتي لدور العاشق. هذا جيد في هذه الفترة لعلاجها من غرورها الذي تسببتْ به ادعاءاتي. الغرور يقتل صاحبه، وأنا لا أريد أن أكون سبب في موتها. سأحاول أن أكون سبب في عودتها للحياة ببعض الصدمات واللكمات في هذه الفترة، لكي تكون -إذا كانت في الحقيقة مُحبطة جدًا- عودة الشغف والأمل والحماس إليها ممكنة حتى مع ضربتي القاضية.

لا تقلق هي ستحتمل هذا الأسلوب الذي أعاملها به، وستعتاد به على تقديم التنازلات. نعم، ينبغي عليها ذلك، ليتاح لها إدراك حقيقة أنَّ الحياة تتطلب منا تقديم التنازلات ليكون بمقدورنا العيش فيها.

هذا الدور يا صديقي سيُقوّم سلوكها، ويُصحِّح بعض المفاهيم لديها، وسيتيح لها التخلُّص من تصوراتها المشوهة، وبالتالي سيكفل عودتها للحياة. لا لن تكون روحي معها طويلة، فأنا على عجلة. سأقدِّم لها بعض مما لدي والذي

يسمح به الوقت الذي حددته لهذا الدور، فإذا استفادت كان بها، وإذا لم تستفد أكملت مهمتي، وانتقلتُ للمرحلة التالية والتي فيها سأعود للعب دور العاشق. سأعوّل على الفراغ الذي هي فيه في دفعها للاستفادة من هذا الدور في حال لم تستفد منه الآن.

لعلَّك تتساءل: "كيف ستتصرف -في حال استفادت من هذه المرحلة أقصى استفادة- في المرحلة التالية التي ستستوجب عليك لعب دور العاشق، أي كيف سيتاح لك تحفيز جشعها اللازم لخطواتك التالية، في حال استطاعتْ مقاومته؟". هذا سؤال جيد يا صديقي، لقد فكرتُ به طويلًا. لا تقلق، هي لن تستفيد من هذه المرحلة استفادة ستتيح لها مقاومة مغريات عوائد جشعها، أولًا لكونها مدمنة على الطلب، ومعتادة على كونها جشعة وثانيًا لكون هذه المرحلة قصيرة سأعجز فيها عن علاجها بالقدر الكافي، وثالثًا لكونها غبية وساذجة بعض الشيء، وبطيئة الاستقبال والتحليل والفهم. لا تقلق يا صديقي، سيُبعث جشعها في لحظة ضمانها عودتي بصفة العاشق، وضمانها أنني مستعد لتقديم التنازلات. نعم، هي لا تستحق ثقتك وتفاؤلك وحسن ظنك بها، هي جشعة وتفضِّل الاستمرار بكونها كذلك.

الخبيث يا صديقي يَسهُل الإيقاع به لكون تركيزه على الآخر، لكونه عاجز عن الالتفات لنفسه للتعرُّف على نقاط ضعفه لإخفائها أو معالجتها، وذلك لكونه جشعًا. نعم، الخبيث يوقعه خبثه. هذه العائلة يا صديقي تتعامل بخبث، وهذا سر سهولة تلاعبي بهم. بالرغم من قدرتي على إلحاق أكبر ضرر بهم، إلا أنني لن أفعل ذلك، وذلك لأنني مُنْصِتٌ جيد لصوت الإنسان في داخلي. سأقدِّم لابنتهم العلاج، ومن ثم سأنسحب، فإذا كان علاجي مُجدي انسحبتْ من محيطها الفاسد واستقلتْ بحياتها بعيدًا عنهم، وإذا لم يكن كذلك استمرتْ في محيطها وبيئتها. سأحاول بضربتي القاضية منحها الأسباب والمبررات لتوفير الدعم لما سيدفعها إليه علاجي. ومع ذلك أرجّح يا صديقي أنها لن تنسحب، فماذا ترجّح؟ أطلعني على ذلك في رسالتك القادمة، ولا تنسى تزويدي بالاقتراحات، ولفت انتباهي لمزيد من الاحتمالات والاستنتاجات.

المخلص لك

ت.ه

30 حزيران (يونيه)

صديقي العزيز ج.ل

لقد كان لعبي لدور الصديق معها يا صديقي خطأ كبير، فحمقاء جشعة مثلها لا تعرف قيمة الصداقة ولا معناها، ولهذا كان عليَّ التخلُّص من هذا الدور بسرعة قبل أن أفقد صوابي معها، وهذا ما نجحتُ فيه في مكالمتي الأخيرة معها.

يا صديقي، هذه امرأة لعوب، تريد التسلية واللهو على الدوام، لا تريد بذل الجهود، لا تريد حيازة هدف، لا تريد أنْ تُشغل نفسها بعمل. سبق وأعددتُ لها قائمة بأسماء روايات قصيرة بسيطة لتطالعها فلم تطالع حتى ولو رواية، وأعددت لها قائمة ببعض النشاطات اليومية لتقوم بها فلم تقم حتى ولو بنشاط. كيف لإنسان أن يحتمل التعاقب المتواصل للذة والمتعة والراحة؟! كيف لإنسان أن يحتمل الاستلقاء على فراشه طوال اليوم؟! كيف لإنسان أن يحتمل الفراغ؟! إنها يا صديقي فظيعة.

ماذا تريد مني هذه الساذجة بإلحاحها عليَّ بالبقاء معها؟ أتريد أن تشوّه صورة المرأة بعيني وفي مخيلتي؟ نعم، أنا بحاجة للتعرُّف بعدها على امرأة مهيبة، تعيد لي الصورة الحسنة الجميلة للمرأة في مخيلتي؟ أقسم أنني لو قابلتها كصديقة قبل معرفتي ما هي الصداقة لعزفت عن تكوين الصداقات للأبد. يا إلهي، لقد كان الأسبوع الماضي جحيمًا. نعم، الجحيم هو امرأة ساذجة، جشعة، جاهلة، فارغة.

أعتذر على افتتاح رسالتي بالتعبير عن غضبي المُحبط. دعني الآن أطلعك على المكالمة التي أنهيتُ بها ذلك الدور.

بعد عبارات الترحيب، أخذتْ يا صديقي بسؤالي لإشباع فضولها وحصاري عما كنتُ أفعله طوال الفترة التي ابتعدتُ فيها عنها والتي قاطعتها فيها سابقًا، فأجبتُ قائلًا:

- كنتُ أعمل على إنهاء إحدى كتبي.

- أنت تجيد إشغال نفسك.

- هذا صحيح، ذلك لأنني أحوز هدف. ينبغي عليَّ مساعدتكِ في حيازة هدف، لتنشغلي بالسعي في سبيله عن أحزانكِ وهمومكِ ومشاكلكِ اليومية.

- أنا في مزاج ليس لديَّ فيه الرغبة بفعل أي شيء. لا أريد أهداف الآن.

- ماذا تريدين إذًا.

- لا أريد شيء. ليس لديَّ رغبة بأي شيء. أنا مُنطفئة الآن. أريد البقاء على ما أنا عليه.

- كما تريدين، ولكن بشرط بوحكِ بما تخفين.

- لا أستطيع.

- ينبغي عليكِ أن تكوني صريحة وجريئة. ما كنتِ تخافين من الإفصاح عنه لدور العاشق، الآن يجدر بكِ الإفصاح به لدور الصديق.

- أيضًا لا أستطيع. مانعي لستُ سبب به. أفهمتَ ما أعنيه.

رجَّحتُ هنا يا صديقي أنها تقصد أنها مُكرهة، فقلتُ بهدوء:

- لا أعرف إذا كان ما التقطتُه من تلميحكِ هو ما تعنيه، ومع ذلك لن أطالبكِ بمزيد من التوضيح، ولكن أطالبكِ بمحاولة بذل المزيد من الجهود معي.

- أيضًا لا أستطيع. تأثير الماضي عليَّ أكبر مما تتصور، أعنف مما تعتقد.

- ما هو هذا الذي دفعكِ لكل هذه السلبية وكل هذا الانغلاق؟ أهو الحب؟ ألهذه الدرجة تحبينه؟

- من تقصد؟

- لا تدَّعي أنك لا تعرفين عمن أتحدَّث.

- لماذا عدتَ للحديث عنه؟ إنك حتى لا تعرفه.

- أنا لم أعد له وإنما عدتُ لكِ. ومن قال لكِ أنني لا أعرفه؟ أنا أعرفه جيدًا، ولدي معلومات عنه في حال أطلعتُكِ عليها ستصدمين ليس فقط من طبيعتها، ولكن أيضًا من قدرتي على الوصول إليها.

- أنت لا تعرف شيء، أنتَ تدَّعي لاستدراجي للحديث عنه.

- إذا كنتِ تودين أن أكشف لكِ عن اسمه لتتبيَّنين صدقي فعلت، ولكن في البداية ستتعهدين بأن تكوني صريحة.

- حسنًا، أعدكِ بذلك.

فأطلعتها على اسمه، وعندها صُدمتْ وارتبكتْ فلقد اعتقدتْ أنني أمازحها، وأخذتْ تسألني بخوف وارتباك بعدما كانت واثقة:

- كيف عرفته؟ كيف وصلت إليه؟ من أطلعك على اسمه؟

- لا أحد ممن تعرفينه أطلعني على اسمه.

- إذًا كيف عرفت؟

- لديَّ مصادري التي لا أستطيع الكشف عنها.

- أي مصادر هذه القادرة على النفاذ إلى شؤوني الخاصة؟!

- لا أستطيع البوح، فلا تضغطي عليَّ.

- ولكنني متفاجئة.

- سؤالي الآن: أتريدين بعض المعلومات عنه؟

- معلومات عن ماذا بالتحديد؟

- لديَّ معلومات لا أبالغ إذا قلتُ أنها قادرة على الكشف عن حقيقته التي يُخفيها، وقادرة على التوغل في كثير من نشاطاته اليومية والمختلفة. نعم، لديَّ ما يمكِّنكِ من الاطلاع على صورته التي أرجّح أنكِ لا تعرفين شيئًا عنها.

- يا إلهي، ماذا تقول؟!

- لعلكِ تتساءلين قائلة: طالما لديه القدرة على الوصول إليه، فلماذا عجز عن الوصول إليَّ؟! أيتها الجاهلة، أنا لم أعجز، والدليل وصولي إليه. نعم، عُرِضَ عليَّ ملفكِ، ولكنني امتنعتُ عن أخذه والاطلاع عليه أولًا لكي لا أشعر باطلاعي عليه بمسؤوليتي تجاهكِ، وثانيًا لكي أتيح لكِ الفرصة للبوح لكونه علاجًا، وثالثًا لكي لا أستغلكِ، ورابعًا لكي أحافظ على خصوصيتكِ وعلى المسافة بيننا، وخامسًا لكي أتيح لكِ القدرة على الثقة بالآخر، فاطِّلاعي على ملفكِ سيشعركِ بأنني خنتكِ، وهذا ما لم ولن أفعله.

بعض مما تعللتُ به، فيه شيء من الحقيقة، ولكن السبب الرئيسي يا صديقي محاولتي اختبار قدرتي على التحليل والوصول إلى الاستنتاجات وقراءة

الاحتمالات، والانتقاء من بينها. نعم، هذه الفترة قررتُ الاستفادة منها وعدم إهدارها، لكي يتاح لي القول بأنني فعلتُ فيها شيئًا مهمًا، كطوير قدرتي على التحليل.

أخافها وأربكها يا صديقي ما قلته، فأحببتُ طمأنتها بالقول بنبرة صادقة:

- لا تقلقي، أنا شخص ذو مبادئ، أنا شخص ألتزم بتعهداتي، ولهذا أتعهد لكِ بأن لا أنتهك خصوصيكِ. أرجو ألا تعتقدي أني أطلعتُكِ على قدرتي لابتزازكِ وإكراهكِ على البوح بما لديكِ.

تعهدي أراحها، فأخذت تقول بنبرة ممتنة:

- هذا نبل منك، شكرًا لك.

- الآن، ألا تريدين مني اطلاعكِ على بعض مما أعرفه عنه؟

- أعرف كل شيء عنه.

قولها هذا يا صديقي أبان لي أنَّ علاقتها به كانت وطيدة وطويلة، فالمعرفة الكبيرة لا تأتي من علاقة عابرة. وأيضًا قولها أكَّد لي أنها ما زالت تحبه، وتكره أن يتكلم عنه الآخرين بسوء. ولكن يا صديقي في تلك اللحظة رجحتُ أنَّ فضولها سيُعيدها لاستجدائي للبوح بما أعرفه، فقلت ببرود:

- إذًا لا داعي للحديث عنه، ودعيني أسمع منكِ بصدق عن طبيعة مشاعركِ تجاهه.

- حدِّثني أنت في البداية عما تعرفه.

- ألم تقولي بأنكِ تعرفين كل شيء عنه؛ إذًا لا داعي لاطلاعكِ عما أعرفه.

- صحيح قلتُ ذلك، ولكن أرغب أيضًا بسماع ما لديك.

- سأطلعكِ على ما أعرفه في وقت لاحق وبالتدريج.

لم أكن صادق هنا يا صديقي، فأنا لم أكن أنوي اطلاعها على أي شيء بحوزتي عنه. صدِّقني، ملفه لم أفتحه إلى الآن، وذلك احترامًا لخصوصيته، وأيضًا لرغبتي باستمرار حبها له، لكي أضمن انسحابها عند عودة علاقتها معه. سأفكر لاحقًا فيما إذا كان قرار السير في تحسين العلاقة بينهما جيد أم العكس. أنا متردد، لمحاولتي تفادي تحميلي مسؤولية الانفصال إن حدث في

المستقبل. نعم، سيكون له تداعيات خطيرة ينبغي عدم المجازفة بتعريض نفسي لها. ومتردد أيضًا يا صديقي، لعدم معرفتي إذا كانت تستحقه أم لا، أو إن كان يستحق امرأة جشعة مثلها. نعم، سيكون من الظلم الجمع بينهما بدون معرفة ذلك، ولأنني لا أنوي تحصيل المعرفة الكافية عنهما، أرجّح بأنني لن أسعى للجمع بينهما أبدًا.

ردَّتْ عليَّ بنبرة أوحتْ بغضبها:

- بل ستطلعني على كل شيء الآن.

فقلتُ محاولًا استفزازها ودفعها لبلوغ أقصى درجات الغضب:

- لن أفعل.

- ماذا تريد مني، لماذا تفعل هذا معي؟

- وأخيرًا سألتِ عما أريده منكِ أيتها الجشعة.

- إذًا فأنت تريد شيئًا مني للبوح بما تعرفه عنه.

- هذا صحيح.

- ماذا تريد؟

- حدثيني بصدق عن طبيعة مشاعركِ نحوه، وعن أسباب انفصالكم، وحينها سأفكر باطلاعكِ على ما لدي، والذي ستكونين متشوقة جدًا لسماعه. معكِ عشر دقائق، فابدئي من الآن، وإلا أقسم أنني لن أطلعكِ على شيء مما أعرفه عنه.

- إذًا فأنت تساومني.

- افهمي طلبي كما شئتِ، فهذا لا يعنيني. إذا لم ترغبي بسماع ما لدي، فهذا قراركِ لن أغصبكِ على شيء. إذا أردتِ التحفُّظ، فأنا لا مانع لدي، ولن أكرهكِ على البوح.

- لم تكن بهذه القسوة.

- لستِ بعد معتادة على دور الصديق، أليس كذلك؟ اعتدتِ على دور العاشق الذي يُعطي باستمرار بدون طلب.

- نعم، لربما ما تقوله صحيح.

- إذًا فالأفضل لكِ التكيُّف مع هذا الدور، ليتاح لكِ الاعتياد عليه وفهمه. الآن دعيكِ من هذا الحديث وعودي لموضوعنا. ابدئي الآن، وإلا سأغلق صفحته، ولا أعود إليها مجددًا.

- لا أستطيع البوح لك بشيء.

- إذًا دعينا رجاءً لا نتحدث عنه مجددًا.

- أرجوك، أريد معرفة ما لديك.

- أبمقدوركِ التحدُّث بصدق عن علاقتكِ به من البداية حتى النهاية؟

- لماذا لديك الرغبة بهذه المعرفة؟

- إذا قلتُ لكِ أنَّ هذا دافعه الفضول، فسأكون حينها غير صادق. نعم، لدي الرغبة بهذه المعرفة، ليتاح لي الاستعانة بكِ كحالة في إحدى الدراسات السيكولوجية التي أعمل عليها.

- إذًا فأنت تستغلني لأبحاثك.

- كما أنكِ تستغلينني لتسليتكِ وإشباع فضولكِ.

- ألا تشعر أنني أفسدتك؟ أين ذلك البريء والوديع؟

- لا، بل أشعر أنكِ منحتني تجربة أكسبتني الخبرة في التعامل مع مثيلاتكِ، مع الساذجات والجشعات.

- إذًا فأنت لا تريد البوح.

- طالما أنكِ لا تريدين ذلك أيضًا.

يا صديقي إلحاحها هذا على معرفة ما لدي من معلومات عنه، تجعل احتمال أن تكون علاقتهم مستمرة إلى الآن احتمال وارد ومُرجَّح. نعم، لربما تريد الإبقاء عليَّ في حياتها لتبقي عليَّ كخيار بديل، أو للتغطية على تواصلها معه أمام أهلها. إنها جشعة يا صديقي، ولهذا لا أستبعد هذا.

قلْتُ بعد لحظات صمت بان منها تفكيرها بعرضي:

- صدِّقيني، هذا لمصلحتكِ.

- بل هو لمصلحتك، ولهذا لا تدَّعي أنك تحرص عليَّ.

- ما هي مصلحتي من هذا الموضوع. علاقتكِ به لا تعنيني، فكيف فكرتي أنَّ إثارتي لهذا الموضوع هدفها مصلحتي؟! ماذا تقصدين؟ فلقد بدأتُ أشعر أنكِ تُلمحين إلى أنني مسؤول عن انفصالكِ عنه، وتحاولين الإيحاء بأنني أريد تدمير العلاقة بينكما ليتاح لعلاقتنا التطور.

- عرضك يوحي بأنَّ لك مصلحة من وراء ذلك.

بردِّها هذا يا صديقي ارتفعت نسبة صحة احتمال أن تكون علاقتهم بعد مستمرة، ولهذا شعرتُ أنه ينبغي عليَّ الدفاع عن نفسي لدفعها للثقة بأنني أدعهما بحبها له، فقلتُ بنبرة حادة، جافة، موحية بالغضب الشديد، هادفًا لتوتير الأجواء وإشعالها:

- يا إلهي كم أنتِ وقحة! أقسم ألا أتقدَّم إليكِ مجددًا حتى ولو كنتِ المرأة الوحيدة على وجه الأرض المتاحة للزواج.

- أنت الوقح.

- أعدكِ أن أكون كذلك بعد اليوم.

هنا يا صديقي شعرتْ بأنها أخطأت بالرد عليَّ، وشعرت بالخطر من احتمال اغلاقي السماعة بوجهها وانسحابي، فأخذتْ تقول بنبرة هادئة توحي بأنها تعتذر بها وذلك لتفادي الاعتذار المباشر الذي قد يجرح كبريائها:

- لماذا تتحدث معي بهذه الطريقة، ماذا فعلتُ لك؟ لماذا تحاول دائمًا تفسير كلامي بهذا الشكل؟ أنا لم أعنِ ما ذهبتَ إليه. نعم، أنا أخطأتُ بتوصيفي وباتهامك بأن لديك مصلحة. كان عليك لفت انتباهي لذلك بهدوء.

- بهدوء؟! أتعرفين الهدوء لكي تطالبيني به؟! لا بأس، أنا المخطئ من البداية بطرح عرضي. من الآن، لا أريد سماعكِ تطالبينني باطلاعكِ على ما أعرفه عنه.

- لا أرجوك، أنا بحاجة لمعرفة ما لديك من معلومات. أنا مستعدة لاطلاعك على ما تريد مقابل ذلك.

- لا أريد أن أسمع منكِ شيء، علاقتكِ به لا تعنيني. أنا سحبتُ عرضي.

- اهدأ أرجوك، أقسم أنني لم أقصد إغضابك.

- إن استمريتِ بالإلحاح سأغلق معكِ، ولن تسمعي صوتي بعد الآن.

- حسنًا، كما تريد.

كنتُ هنا يا صديقي بحاجة لزيادة فضولها لإغلاق الموضوع لدفعها لفتحه لاحقًا مع رغبة بالبوح واستعداد لتقديم التنازلات، فقلتُ بهدوء:

- اسمحي لي بسؤالكِ عن سبب عجزكِ عن الالتفات للحظات الجميلة في حياتكِ. هل هي قليلة، أم هي غير موجودة، أم هي غير مهمة؟ لماذا دائمًا تتعلقين باللحظات البشعة وتحكمين منها على الحياة؟ لماذا لا تستحضرين اللحظات الجميلة في حياتكِ في فترات حياتكِ المريرة، لترسمي على شفتيكِ ابتسامة على الأقل إذا كان ذلك يعجز عن تعديل مزاجكِ؟! ألا تدركين أنَّ اللحظات الجميلة جمالها ليس للحظة وقوعها فقط، وإنما أيضًا للحظة وقوع اللحظات البشعة؟ أفاقدة أنتِ للذاكرة، أم لا وجود للحظات الجميلة في حياتكِ؟ أنا بصراحة أرجِّح الاحتمال الثاني. نعم، بصراحة أعتقد أنَّ بيئتكِ سامة، ولهذا حياتكِ مُسمَّمة.

- لماذا تحاول إغراقي في ذلك الظلام مجددًا، لماذا تحاول بإصرار اقتيادي للاحتراق بذلك البؤس؟! أرجوك، راعِ أنني لا أستطيع التحدث.

ردّها هذا يا صديقي يوحي بأنها إما أنها تحاول دفعي للاعتقاد بأنها نادمة على تلك الأفعال التي ارتكبتها والتي سأعرفها عاجلًا أم آجلًا في حال ارتبطتُ بها قانونيًا وأشهرتُ ذلك، أو أنها تحاول تسوُّل التعاطف وذلك بالادِّعاء أنها تعاني وبأنها خائفة في حال تذرعتْ ببعض المشاكل المُختلقَة أن أكتشف كذبها، أو أنها مرتكبة لفعل مُغضب أهل السماء والأرض وخائفة من رد فعلي في حال علمتُ به، أو أنها مُراقَبَة على الدوام وخائفة في حال باحت بما لديها أن تعاقب، أو أنها متمسكة بالإخفاء لتُبقيني بقربها على الدوام أسعى لمعرفة ما يزعجها. نعم، هذه التافهة يا صديقي تريدني على الدوام متأهب لتسليتها، مُعتقِدة أنها مبتلية بأعظم الكروب والمنغِّصات. هذه الساذجة يا صديقي لم تدرك بعد أنَّ إلحاحي عليها للاعتراف هو محاولة لدفعها للابتعاد، وفي حال فشل ذلك تكون محاولة لمعرفة ما يساعدني في إبعادها.

تيقَّنتُ يا صديقي بإجابتها هذه أنها لا تستحق دور الصديق، وتحققتُ بأنني كنتُ مخطئ بلعبه معها هي العاجزة عن احترام هذا الدور لجشعها الذي

أرجح أنه سبب بعدم وجود أصدقاء لها، وتأكدتُ يا صديقي أنَّ قراري بإنهاء هذه المرحلة والبدء بالمرحلة الأخيرة في خطتي هو القرار الصائب. خطوة الانتقال هذه سبق وأن خططتُ لها، وأدركتُ أنه لن يكون بإمكاني إتمامها إلا في حال اختلقتُ مشكلة كبيرة أكن فيها معها بغاية القسوة والعنف لدفعها للاعتقاد بأنني لم أعد أحتمل لعب دور الصديق معها، ومتشوق للعودة لدور العاشق، لأضمن بعث جشعها الذي سأوجّه لها الضربة القاضية وهي عليه، لتدرك أنَّ جشعها لم يكن يخدمها، وبالتالي أُفقِدها الثقة به، وأدفعها للتعامل مع البشر بقناعة وذوق وأدب، والتعامل معهم كغايات لا وسائل.

فرصة افتعال المشكلة التي ستكفل لي العودة لدور العاشق، أُتيحتْ لي بعودتها لسؤالي باستجداء بعد لحظات صمت عما أعرفه عن عشيقها، فأخذتُ بالقول بادئًا الهجوم بعنف لدفعها للاعتقاد بأنَّ غضبي سببه غيرتي منه:

- أعتذر منكِ، لن أستطيع الاستمرار معكِ بعد اليوم.

- أرجوك لا تفعل، لقد اتفقنا أن نبقى أصدقاء.

- أريد اليوم التواصل مع والديك وإعلامهم بما عزمت أمري عليه.

- أتوسل إليك، لا تفعل.

- لا تحاولي، فلقد عزمتُ أمري. أنا لديَّ مشروعي الفكري والأدبي الذي تعبتُ في سبيله ودفعت ثمنًا باهظًا من أجله. وجودي معكِ يُهدر جهودي التي بذلتها على هذا المشروع ويُعرقل أهدافي.

- أرجوك، سأتعرَّض للضرب في حال فعلتَ ذلك. إذا كنتَ مُصِر على ذلك، فأرجوك امنحني الوقت بتأجيله قليلًا.

أقرأ من قولها هذا أنها إما مُكرهة بحق على الارتباط بي، أو أنها تحاول دفعي للتعاطف معها بالادعاء بأنها تتعرض للتعنيف، أو أنها تحاول كسب الوقت بعدما خافت من عزمي وإصراري لدفعي للتراجع، أو أنها تحاول كسب الوقت لمعرفة قرار حبيبها النهائي ليتاح لها استرضائي وإبقائي كخيار، ولأنني عاجز يا صديقي عن ترجيح احتمال، قررت الاستقرار على خيار عدم تحميلها مسؤولية ضربتي القاضية وتحميلها لغيرها لكي لا أظلمها في حال كانت مظلومة بالإكراه حقًا. نعم، يا صديقي، في حال كانت مكرهة حقًا، فتحميلها مسؤولية ضربتي القاضية سيُعرّضها لعنف جسدي ونفسي

من محيطها، وبهذا سأكون مشارك في هذه الجريمة. دعك من تحليلاتي ونواياي، ودعني أكمل لك بقية الحوار.

قلتُ بحزم لم يسبق أن أبديته لها:

- معكِ ثلاث أيام لتجدِ الحُجج والمبررات التي تلائمكِ، وبعدها سأقوم بما عزمت عليه.

- أرجوك، أقسم أنني من الخوف بالكاد أستطيع الوقوف.

- إياكِ أن تفكري بالتواصل معي بعد الآن.

- أنا أعتذر. أرجوك اهدأ، ودعنا نتناقش. أنا بحاجتك.

- مشاكلكِ لا تعنيني. أقسم بعد الآن، ألا ألتفت إليكِ، وأن لا أعرض عليكِ المساعدة حتى لو استجديتني لتقديمها إليكِ.

- أرجوك، لا تفعل هذا بي.

- أنتِ لا تناسبينني. أنا أستحق امرأة أفضل، ولهذا لن أضيّع وقتي معكِ.

- أرجوك سأكون أفضل، ولكن امنحني الوقت.

- لا لن أفعل. أنتِ مهما بتّ أفضل،ستبقين سيئة، قبيحة، جشعة. لن أسامحكِ على الموقف المحرج الذي وضعتني فيه أمام والديكِ، وعلى الموقف المحرج الذي وضعتيهما فيه أمامي. نعم، لن تكوني مسؤولة أبدًا في حياتكِ أيتها المُستهترة. نعم، لو كنتِ مسؤولة لكان بمقدوركِ اختيار الشخص المناسب وإقناع والديك به، ولكن لأنكِ لستِ كذلك كنتِ لعوبة وعاجزة عن دفعهم لتأييد اختياركِ ودعمه. نعم، أنتِ باحثة عن اللهو والتسلية، ولهذا أنتِ لا تناسبينني أنا الجاد. استمري في تسليتكِ مع غيري، بعيدًا عني.

- أرجوك، راعِ حالتي النفسية، وتفهَّم أنها السبب في دفعي لكل هذا.

- استمري أيتها الحمقاء الساذجة في تبرير أخطائكِ بحالتكِ، وستدفعين الثمن. أيتها المدللة،اخرجي للعالم لترَي دور النساء فيه لتغاري. ألا تخجلين من وضعكِ؟! أين هو دوركِ في هذا العالم؟ أنتِ عار على النساء. نعم، كنتُ سأرتكب أكبر خطأ في حياتي في حال ارتبطتُ بكِ. كيف لم أفكر بموقفي أمام الأصدقاء عندما كنتُ سأضطر لتقديمكِ إليهم؟! بأي صفة كنتُ سأقدمكِ، بأي إنجاز كنتُ سأفاخر بكِ، بأي تيار فكري كنتُ سأقول بأنكِ تنتمين إليه؟!

نعم، هذا كان سيكون كارثة بكل المعايير. كيف لم أفكر بموقفي أمام الرفيقات اللاتي حملن شعلة الثورة ويواصلن تقديم التضحية تلو التضحية والإنجاز تلو الإنجاز؟! لماذا لم أفكر بصورتي أمامهن وأنا معكِ وأنتِ بكل هذه الرجعية والتخلف والجهل؟! يا إلهي كم كانت ستكون جارحة نظراتهن التي كانت ستقول باستهزاء: "أهذا هو اختيارك؟!"، لماذا لم أفكر بصورتي التي اهتممتُ طوال حياتي بها؟! نعم، كان قرار ارتباطي بكِ سيفقرني، سيشوهني، سيحط من شأني.

- أرجوك، اهدأ قليلًا، فكلامك جارح جدًا.

- أقسم أنني بالكاد أستطيع تقبُّل نفسي بسبب تقدُّمي لامرأة فقيرة مثلكِ. نعم، كل سنين ركوزي وثباتي وثقتي وعملي على شخصيتي، أهدرتها وأضعتها أمام امرأة ساذجة مثلكِ. لقد بتُّ أحتقر نفسي لكل هذه التنازلات التي قدَّمتها لكِ أيتها الجشعة.

- أرجوك لا تقسو على نفسك. أنا آسفة لكل هذا الذي سببته لك.

- نعم، كان ينبغي عليَّ التعامل معكِ بتعالي. الصدق، والتواضع، والحب لا يليقوا بكِ.

- يكفي أرجوك.

- نعم، أنتِ غير مسؤولة في جميع شؤون حياتكِ. ألم تتساءلي يومًا عن دوركِ تجاه شقيقاتكِ بصفتكِ الأخت الأكبر؟! ألم تفكري بأن تكوني قدوة حسنة لهن؟! ماذا قمتِ بتعليمهن خلال هذه الفترة غير الاستسلام والخنوع بدلًا من المقاومة والمواجهة والصمود والتحدي والصبر. نعم، أنتِ غير مسؤولة البتة، ولهذا أنتِ لا تصلحين لدور الزوجة والأم.

- أرجوك، تفهَّم أنني مررتُ بظروف صعبة.

- توقفي عن التبرير والتحجج، تبًا لكِ ولظروفكِ. أتحسبين أنكِ الوحيدة التي مرَّتْ بظروف صعبة؟! جميعنا أيتها المدللة لدينا مشاكلنا الخاصة التي نداريها وتجرح أروحنا، ومع ذلك نستمر في الحياة. أتعتقدين أيتها الساذجة أنكِ مركز الكون، أتعتقدين أنكِ الوحيدة التي تعاني في هذا العالم، أتعتقدين أن الله غير موجود لكِ؟ أيتها الجاهلة، الله أعظم وأجل وأكرم من أن يهمل أحد ما. نعم، أنتِ غير مؤمنة، وأنا لا تناسبني امرأة غير مؤمنة، لا تناسبني امرأة رايَتُها على الدوام بيضاء أنا الذي على الدوام رايَتي سوداء.

- أرجوك، اهدأ.

- الآن أعلميني بما تريدينه من وجودي.

- لا أريد سوى وجودك.

- هذا لن يتاح لكِ، فوجودي لأهدافي السامية لا لكِ.

- أهذا كله لأنني كنتُ صريحة معك.

- تبًا لكِ. أنتِ كنتِ صريحة؟! متى كنتِ كذلكِ؟ أتعتقدين أنكِ صريحة لمجرد أنكِ أعلمتني أنه سبق وأن دخلتي في علاقات عاطفية؟! تبًا لكِ ولسذاجتكِ. ألا تعلمين أنَّ معظم النساء يصارحن الرجال بهذا؟ أقسم أنكِ لم تطلعينني على ذلك، إلا لكي لا أتهمكِ بنقيض ذلك لإخفائكِ ما يمقت سماعه جميع الرجال.

- رجاءً، اهدأ ودعنا نتناقش.

- لماذا لم تُقدِّري إلى الآن عدم محاسبتي لكِ على تحميلي وحدي مسؤولية إيقاف السير في الإجراءات القانونية للخطبة والإشهار؟! أيتها الأنانية، لقد علمتِ بالحرب التي شُنَّت عليَّ بسبب فعلكِ، وبعنف التهم التي وجِّهت إلي، ولم تفكري بالاعتذار. تركتِني أتحمَّل وحدي المسؤولية كاملة، بدون أن يرف لكِ جفن. بل إنكِ أيتها الوقحة صدَّقتِ كذبتكِ، فأخذتِ تتعاملين معي كأنني أنا الذي انسحبت. نعم، لم ولن أجد من هي أشد وقاحة منكِ.

- أنا حقًا آسفة.

- لماذا لم تُقدِّري أنني لم أتذرع وأدَّعي أنني قمت بذلك لكونكِ في علاقة عاطفية بآخر، لماذا لم تقدِّري سعيي للحفاظ على حسن صورتكِ في عيونهم، وأنتِ تعلمين جيدًا أنَّ مثل هذه العلاقات قبل الزواج تشوهها، لماذا لم تقدِّري حرصي عليكِ بالرغم من غدركِ بي. نعم، أنتِ أردتِ أن أكون أمامهم بدون سبب لإحراجي وزيادة الضغط علي. لقد علمتِ أنني شخص ذو مبادئ، وأحفظ الأسرار وأردتِ استغلال ذلك.

- صدقني لم أقصد ذلك.

- إذًا ماذا كنتِ تقصدين أيتها الخبيثة؟

- أقسم أنني لم أكن أقصد شيء. أنا مُغيَّبة هذه الفترة، لا أدرك ما أفعله وما أقوله.

- إن كنتِ صادقة وجريئة، اذهبي وقولي لوالديكِ أنك لا ترغبين بي، أنك لا تحبينني ترفضين الزواج بي، اذهبي وصارحيهم بالحقيقة. كوني شجاعة لمرة في حياتكِ.

- متى قلتُ لك أنني لا أحبك ولا أريدك؟! أقسم أنني أحبك، ولكن ليس لديَّ القدرة الآن بسبب أزمتي النفسية على التعبير عن هذا.

- أفهميني الآن، ماذا تريدين مني؟ أتريدين مني أن أتزوجكِ لأخلِّصَكِ من أهلكِ ثم لاحقًا لأتركَكِ لحبيبكِ؟

- صدقني، لقد بات بالنسبة لي من الماضي.

- ماذا تريدين إذًا من وجودي في حياتك؟ أتريدين لي أن أكون سبب فيما سيجري لوالديكِ من صدمة الانفصال؟

- لا، لا أريد هذا. أرجوك اهدأ.

- إذًا اخرجي وتحدَّثي معهم على انفراد في إحدى الحدائق العامة، وأقنعيهم بوجهة نظركِ، أطلعيهم على ميولكِ.

- صدقني، أنا أميل لك، أنا أحبك.

- لماذا مُصِرة على الكذب؟ تبًا لكِ وللحب.

- أقسم أنني أحبك.

- أتريدين مني البكاء، لكي تتركينني. أقسم أنني الآن أبكي، فاعتقِني أرجوكِ.

- أرجوك صدقني.

- لماذا مُصِرَّة على التلاعب بعواطفي، لماذا مُصرَّة على تجريدي من كل ذرة احترام لنفسي.

- أقسم أنني لا أهدف لذلك. صدقني، إني أتمنى لو كنتُ بجوارك الآن لعناقك.

- أرجوكِ، ابحثي عن حل. أقسم أنني أشعر بضيق لم يسبق لي أن شعرتُ به. أقسم أنني عاجز عن إمساك الكتب التي لم يسبق أن كنتُ عاجز عن إمساكها مهما كانت الظروف. نعم، لقد قلبتي حياتي رأسًا على عقب. لقد أصبحت حياتي بسببكِ رماد.

هنا يا صديقي انهارت بالبكاء، فأدركتُ أنني نجحت بخداعها وبالانتقال لدور العاشق.

قلتُ بتلعثم مصطنع مُدَّعيًا الحزن والغم:

- ما هو المطلوب مني الآن.

- أريد أن تستمر معي.

- كم هي المدة التي تحتاجينها.

- أقصد على الدوام. أرجوك، أجبني بصدق، أما زلت تحبني؟

- أقسم أنني غاضب من نفسي لعدم قدرتي على الكذب عليكِ بالإجابة على هذا السؤال.

- أحبك جدًا. شكرًا لك على كل شيء. أرجوك، امنحني فرصة أخرى. أقسم أنني لن أسامح نفسي في حال أضعتك. أرجوك، ارحمني بالموافقة، أقسم أنني تعبتُ من البكاء.

- أنا لن أكون مناسبًا لكِ.

- بل أنت كذلك. أقسم أنني لن أجد أحد يحبني كما تحبني.

- ستظلمين نفسكِ معي.

- بل سأرحمها باختياركِ. أرجوك، فرصة أخيرة.

- حسنًا، ولكن لدي شرط.

- ما هو؟

- أن تكون مواضيعنا بعد الآن جادة. ينبغي علينا تبادل الآراء ووجهات النظر في مواضيع مختلفة، كالأدب والفلسفة والسينما والرسم والموسيقى.

- حسنًا، كما تريد.

- أعتذر على انفعالي عليكِ، صدقيني لقد تأذتْ روحي من ذلك.

- لا تعتذر، معك حق في كل ما قلته.

- ومع ذلك أنا آسف. الآن دعينا ننهي المكالمة، فلقد تأخر الوقت.

- حسنًا، ولكن أريدك أن تدرك قبل ذلك أنني كنتُ وما زلتُ أرى أنك تستحق من هي أفضل مني، ولهذا السبب أعتقد أنني كنتُ جافة معكِ، ولكن أعدك أنني لن أكون كذلك بعد الآن.

- صدقيني، لا أحد يعلم ما يُخبئه المستقبل، فدعينا لا نفكر به كثيرًا، ونعيش اللحظة الراهنة ونتعلم فيها من بعضنا البعض. دعينا أرجوكِ لا نستبق الأحداث. تصبحين على خير.

بهذه الجملة التي لمَّحتُ فيها لما أخطط له بدون قصد، أنهيتُ المكالمة التي أنهيتُ بها مرحلة وبدأت أخرى ستكون هي الأخيرة قبل توجيه ضربتي القاضية.

سأبدأ يا صديقي في هذه المرحلة بإعداد وتجهيز بعض الرسائل الرومانسية لأحفز جشعها، للتعرُّف على ما تبقى من نواياها، وسأبدأ بتشويه صورتها عند أهلي بأسلوب غير مباشر مع الاستمرار بالادعاء أنني أحبها وراغب بالارتباط بها، وذلك لتهيئة الأجواء لضربتي القاضية.

هذه المرحلة تتطلب مني المزيد من العمل والحذر والتركيز، والموازنة بين خططي مع عائلتي وخططي معها في الجهد، والموازاة في موعد التنفيذ وتوقيت أثره المستهدف.

بعدما نجحتُ في عزف الشتاء والربيع، بات عليَّ عزف الصيف والخريف معًا، وهذا يتطلب تركيز شديد، ودقة غير معهودة للخروج بمعزوفة تطرب الآذان كما خرج لنا فيفالدي بواحدة. أنا الآن بحاجة لإشعال الحرائق بدون دخان، لأفاجئ الجميع بالجحيم الذي كنتُ أخفيه عنهم واعتقدوه نعيمًا.

نعم يا صديقي، لم يتبقَ سوى القليل لأعود لكانط الذي لم أعد أحتمل حروق شوقي إليه. يا إلهي كم يُحزنني أن أعود إليه وأنا بانتصار أنا فيه الخاسر الأكبر، يا إلهي كم يؤلمني دخولي إليه بالخروج من هذه العداوة المُفقِرة. نعم يا صديقي، كانط يستحق منا الدخول إليه بالخروج من عداوات مُثرية.

أرجو أن تشفع لي تلك العداوات التي سبق وأن دخلتُ إليه بخروجي منها. إنني خائف يا صديقي من شعوري بحاجتي للتأجيل، فأنا لم أعد أحتمل.

في ختام رسالتي أدعوك يا صديقي لعدم التردد بتزويدي بالاقتراحات والقراءات، لتتاح لي النتيجة المثالية.

صديقك الممتن

ت.ه

7 تموز (يوليو)

صديقي العزيز ج.ل

طيلة الأسبوع الماضي يا صديقي أغرقتها بالرسائل الرومانسية، حتى أوصلتها إلى أقصى درجات الجشع، ودفعتها للكشف عما تخطط له.

لعلك تتساءل عن سر قدرتي على فعل ذلك؟ نعم، امرأة بهذا الجهل والحمق والجشع تطفئ لدى أي رجل مقدرته على كتابة هذه النوعية من الرسائل، ولهذا كنتُ يا صديقي بحاجة لاستحضار صورة تلك المرأة التي في خيالي والتي لم تلتفت بعد للكشف لي عن كامل ملامحها، ليكون بمقدوري الكتابة. يا إلهي كم كنتُ أعاني من توجيه هذه الرسائل إليها هي التي رغبتُ برميها بأبشع الأوصاف وأقبح النعوت، هي التي رغبتُ بالتخلص منها في أسرع وقت. دعني الآن أُطلعك على مقتطفات من هذه الرسائل، فأنا أكاد أنفجر من إهداري لها على هذه الساذجة.

من بعض افتتاحات رسائلي الصباحية إليها الآتي: "صباحكِ عبق الياسمين ونعومة الأقحوان وملمس الياسمين"، "أبالصباح أصبحتِ؟! كلا، بل هو الصباح من أصبح بكِ."، "صباح الخير يا إشراقة كل صباح، صباح الخير يا أجمل أقحوانة"، "البشر صباحهم نور وأنا صباحي نورين. صباح الخير يا حبيبتي، وإذا كان وقت مدينتكِ أعلن المساء، فأيضًا أقول صباح الخير، فكيف سيكون ليومكِ مساء وأنتِ فيه، كيف؟! نعم، بكِ بات لعالمنا صباح لا يخلفه أي مساء."، أما من خواتيم رسائلي المسائية الآتي: "نوم فيه أنا لكِ وأنتِ لي، والعالم سعيد وجميل"، "تصبحين على جمال وجه الرب، على

أناقة هذا الكون، على جمال صورتكِ في المرآة، على كل ما هو جميل"، "أسدلي ستائر عينيكِ يا حبيبتي، ودعيني أهمس في أذنكِ أغنية حب ما قبل النوم، فأغاني الحب تلاحقنا في أحلامنا لتطرد كوابيسنا"، "نوم في الأحلام السعيدة، وصباح فيه عبير الورود". نعم يا صديقي، مؤلم إهدار هذه الافتتاحات والخواتيم على امرأة كهذه، مؤلم ليس لي فقط وإنما أيضًا لتلك التي احتلَّت صورتها خيالي بالرغم من عدم التقائي بها بعد. في حال التقيتُ بها، أول ما سأفعله يا صديقي هو الاعتذار على فعلي هذا، وأنا متأكد بأنها ستتفهم موقفي،وتسعد بأنَّ صورتها في خيالي أنقذتني، ستسعد لأنَّ صورتها أتاحت لي سبيل للهرب من هذه الساذجة.

وأيضًا من مقتطفات بعض رسائلي التي كنتُ مضطر لكتابتها لها الآتي: "سأحبكِ كل يوم أكثر، سأظهر لكِ كل يوم بحب جديد، سأعمل على ضمان عدم شعوركِ بالملل من حبي، سأجدده على الدوام، سأفاجئكِ كل يوم بحب مغاير، وأعبّر لكِ كل يوم بطريقة مختلفة"، "تتعجبين من حبي لكِ، يا ألف علامة استفهام تبِعَتْها ألف علامة تعجب! تتعجبين من علامة استفهام وعلامة تعجب؟! ألحقي علامات استفهامكِ بإجابات قبل الالتفات لسؤالكِ البسيط، ألحقي علامات تعجبكِ بتفسيرات قبل التعجب من حبي لكِ. نعم، لا يحق لكِ التعجب والاستفسار. استسلمي لحبي ولا تندهشي منه، استسلمي ولا تتساءلي عن سببه، استسلمي وطالبيني بأن أحبكِ أكثر وأكثر، كوني دائمًا مُلِحَة في مطالبتي بالمزيد. أيتساءل الله عن سر إعجاب خلقه به؟! فلماذا تتساءلين وقد خلقني حبكِ، وقد بعثني من الموت للحياة. لا تتعجبي أرجوكِ، لا تتساءلي، طالبيني بالمزيد فقط، استنفذيني فأنا بحاجة لمن يستنفذني لكي لا أتعفن. تتساءلين عما إذا كنتُ لم أستنفذ بعد؟ أنا بئر لا تجف، أنا نهر لا ينقطع، أنا بحر لا ينفذ. نعم، لا يفرغ قلبي من حبكِ، هو ممتلئ طافح على الدوام."، "صدّقيني كنتُ أطاردكِ في أحلامي كما يُطارد شعاع الشمس وجه البحر، كانت روحي تسافر للقاء روحكِ بدون الالتفات لطول الطريق ومشقة السفر، كان تفكيري يتلمَّس صورتكِ كلما طارد جلال الله في جمال الطبيعة، كان لساني يلهج بذكركِ في كل حضور لفضلكِ، كان وما زال لا ينبض قلبي إلا في سبيل إرسال رسائل شوقه للقائكِ، كنتِ دائمًا قريبة رغم البعد، وللأسف بعيدة رغم القرب."، "صلَّيتُ قبل قليل، ولقد لاحظتُ شيئًا مؤخرًا. لقد أصبحتُ في صلاتي خاشعًا ومتلذذًا أكثر، وهذا ليس له تفسير سوى أنَّ الله كشف عن نفسه لي من خلالكِ. نعم، أدركتُ جماله بجمالكِ، وحبي له بمحبتكِ، وكرمه بكرمكِ، وقوته بقوتكِ. نعم، لقد زدتِ بوجودكِ في حياتي إيماني، لقد جعلتي صورة الله في عيني أجمل

وأرق، لقد حطَّمتِ حدود معرفتي به. نعم، الله يريد إغرائنا بجنته بإيجادكِ في حياتنا."، "رأيتُ استحقاق الإنسان برؤيتكِ، فكان الإنسان جميل بجمالكِ، ومهم بأهميتكِ، ومستحق باستحقاقكِ. نعم، وجودكِ نصر إنساني على شيطاني. نعم، أنتِ السبب في أعظم انتصاراتي."، "صدِّقيني، هناك أشياء فيكِ لا تتطلب منا سعي لتفسيرها، فقط تتطلب منا إعجاب وانبهار واندهاش على الدوام. نعم، أنتِ أعظم معجزة. ألا تدركين أنه أمام المعجزات يتوقف العقل عن التفسير، وفقط يُعجب ويندهش، ألم تدركي بعد أنكِ معجزة لي."، "تتعجبين من كيف كان لديَّ القدرة على كتم كل هذا الحب. لا تتعجبي، بل لا تغضبي، فالخمر المُعتَّق لفترات أطول يُقال بأنه ألذ وأطيب، وباعتقادي هكذا الحب. نعم، أنا لم يهُن عليَّ تقديم حبي لكِ إلا بهذه اللذة التي تستشعرينها به الآن، فاشربي منه ولا تتذمري."، "هذه الأيام أدخلتني جنة لم يستطع خيال مؤمن أن يحلم بها، جنة لا يكافئ بها الله خلقه إلا بعد مماتهم. ماذا أبقيتِ لجنة الله التي يُرغِّب بها خلقه؟!"، "ما هي الزلازل غير أنها نبضاتُ قَلْبَيْ عاشقين التقيا، ما هي الحمم البركانية غير أنها قيح نيران شوق العشاق."، "تقولين بأنني سأحب المدينة التي تقطنين فيها لكونها فسيحة بغاباتها، أجوائها لطيفة ببحارها، أرضها خضراء بأنهارها. صحيح، قد أحبها لذاك، ولكن سأحبها أكثر لاحتضانها لكِ، لأنَّ أنفاسكِ في أجوائها، لأن رائحتكِ في نسمات هوائها، لأنَّ أرضها عليها آثار أقدامكِ، لأن نظراتكِ متناثرة في مناظرها الطبيعية. نعم، سأحبها لحبكِ لها ولحبها لكِ."، "تتساءلين من أين أستلهم كلامي الذي وصفته بالجميل. أستلهمه من عيونكِ، من حضوركِ، من أنفاسكِ، من نظراتكِ، من جميع حالتكِ المزاجية، من عشقي لكِ. تتعجبين من كل هذا الحب الذي أكنه لكِ. لا تتعجبي، ففيكِ استحقاق لكل شتلة حب أنبتت في قلبي. تتعجبين من كثرة تغزلي بكِ، وتتساءلين قائلة: من ماذا أنت مخلوق؟ مخلوق من حبكِ. سأجعل يومي لكِ نصفه غزل، والنصف الآخر خدمة. سأتشرب جميع لغات الأرض لكي يتاح لي على الدوام التعبير لكِ عن حبي، لكي أغازلكِ باستمرار.".

يا إلهي كم هو مؤلم يا صديقي أن تكون مضطر لتوجيه كلام كهذا لامرأة ساذجة رعناء جشعة خبيثة كهذه. يا إلهي ما أكبر خطئي في حق تلك المرأة التي قمتُ باستغلال صورتها في خيالي لمنحي هذا الكلام. ولكن يا صديقي ما كان يهوّن عليَّ مأساتي هذه عدم قدرتها على استيعاب رسائلي في معظم الأحيان، عجزها عن الانتباه للجمال فيها، فمثلها يا صديقي لا يستحق التمتع بهذا الجمال. نعم، الجمال يا صديقي ممل لفقيرة مثلها، وهذا كان وما زال يواسيني.

طوال هذه الفترة يا صديقي كنتُ أميل لما تميل، وأوافق على ما توافق، وأمشي إلى ما تمشي، وأنظر إلى ما تنظر، فلماذا لم تشك بي؟ هذا لأنها جشعة. أتعلم يا صديقي: لا يُصدِّق المبالغين والمغالين سوى الجشعون، ولهذا صدَّقتني. لقد سبق وسألتُني قائلة: لماذا تحبني إلى هذا الحد؟، فأجبتها بأن سؤالها خاطئ، مع التأكيد لها أنَّ الحب شعور يتَّقِد بلا سبب، موجهًا إليها سؤال آخر: لماذا لا أحبكِ إلى هذا الحد؟ لم تلتفت للتلميح في سؤالي لجشعها، ولهذا تجاهلتْ الإجابة، واكتفتْ بالاعتقاد بأنني أطالبها بعدم السؤال عن ذلك مجددًا. لقد سبق وقالتْ لي بأنها تحتاج لسبب لكي تحب، فلماذا اقتنعتْ بأنني أحبها بلا سبب؟! نعم، هذا لأنها جشعة، لأنها مغرورة.

سبق وأن اشترطتُ عليها لعودتي لدور العاشق أن تكون مواضيعنا جادة، ولقد فشلتْ بالالتزام بهذا الشرط، وأنا تعاميتُ عن ذلك، فلقد كانت فارغة ساذجة إلى درجة لا توفر لي الفرصة لمفاتحتها في موضوع جاد، موضوع في الفلسفة أو الموسيقى أو الرسم أو الأدب، أو حتى في المواضيع السياسية والاقتصادية والاجتماعية. كيف لفارغة، لاهية باستمرار، باحثة عن المتعة واللذة على الدوام، أن يكون بمقدورها تحمُّل الخوض أو الاستماع لموضوع جاد. نعم، يحق لها وصفي بالملل البارد.

مؤخرًا يا صديقي لاحظتُ أنَّ لديها رغبة شديدة في استدراجي لإتاحة المجال لها للحديث في المواضيع الجنسية، وهذا دفعني للشك في احتمال أن تكون مشكلتها جنسية، وهذا قادني لاحتمال جديد مفاده أنها لربما تكون تعرضتْ للتحرش أو الاغتصاب أو الإغواء، ولكونها لم تكن تخرج من بيتها كثيرًا عندما كانت متواجدة في مدينتنا، فأرجح اثنين لفعل ذلك الأول طبيبها، والثاني أخيها المنحرف الذي يحاول باستمرار التغطية على انحرافه بعباءة الدين. نعم، لربما تكون مشكلتها جنسية، فالجنس قادر على ترك مثل هذه المشاكل النفسية التي لديها. نعم، غضبها الشديد، ورغبتها التدميرية، وتحميلها المسؤولية للجميع، جميعها مؤشرات تجعل فرضية أن يكون الجنس سببًا مُرجَّحة. نعم، قد يكون اعترافهم بعلاقاتها العاطفية مسبقًا هدفه التغطية على حدث مهين جدًا جرى معها في مدينتنا، ولهذا لربما أيضًا هو سبب رفضها العودة إليها. نعم، كون الحب سبب في مشاكلها بدأتُ أشك في صحته، فمثل هذه الساذجة اللعوبة الجشعة لا تعرف ماهية الحب. هناك احتمال آخر يا صديقي. هل يُعقل أن يكون ابن أخيها هو ابنها الذي أبعدوه عنها مخافة الفضيحة؟ هذا سبب محتمل لأزمتها النفسية. يا صديقي العجز عن البوح، باعتقادي في معظم الأحيان يكون لدوافع جنسية مُتعلِّقة بحدث أو رغبة، ولهذا بتُّ أرجح الجنس سببًا لأزماتها.

بعض رسائلها مؤخرًا تدَّعي أنها كتبتها لي بعد استيقاظها في منتصف الليل خائفة قلقة. هذه الرسائل فحواها مطالبات بالوقوف معها وبالبقاء بجانبها، وعرض لمعاناتها من الكوابيس وقلة النوم ومن القلق والخوف اللذين استمرت بالادعاء بأنهما بلا أسباب. طالبتها باطلاعي على كوابيسها لتحليلها، ولكنها تجاهلت طلبي، وأرجّح أن هدفها من ذلك تفادي كشفي لكذبها. يا صديقي، ادعاؤها بأنها تعاني هدفه نيل تعاطفي، وبالتالي دفعي للتمسك بها وتقديم التنازلات إليها. نعم، جميع الرجال يحبون مساعدة تلك التي تعترف لهم بمعاناتها من الخوف والقلق وتعرب لهم عن حاجتها إليهم. جميعنا نضعف أمام ضعف الأنثى. نعم، هي تحاول ادِّعاء الضعف، لتدفعني للاعتقاد بأنني الوحيد القادر على مساعدتها، وبالتالي دفعي للتمسك بها حتى في حال تمنُّعها. نعم، النساء يُحببن التمنُّع، فهل هي تعاني في الحقيقة أم تدَّعي ليتاح لها ذلك؟ ما أرجحه يا صديقي أنها تحاول استعطافي لدفعي للعب دور البطل المُنقِذ، بغض النظر عما إذا كانت تعاني في الحقيقة أم تدَّعي.

هذه الفترة يا صديقي أيضًا لاحظتُ أنها تتفادى وتتهرب من التحدُّث عن حياتها في المدينة التي تقيم فيها. أليس لديها حياة هناك، أم لديها حياة ولكن تخجل من التحدُّث عنها؟ نعم، هي لا تريد التحدُّث لا عن ماضيها القريب ولا البعيد، ولا عن حاضرها ولا عن مستقبلها، وهذا دليل على أنَّ ما تتهرب من التحدُّث عنه، تخفي فيه شيئًا يعيب كل امرأة وكل عائلة، شيء منفِّر، شيء مقزز، شيء لا يُغتفر. لدى جميعنا ما نُخفيه في بعض مراحل حياتنا، ولكن جميعنا لديه مراحل وفترات في حياته يُحب التحدُّث عنها، لا يشعر بالضيق من الكشف عن أحداثها وعن الإنجازات فيها. أيضًا جميعنا لدينا أصدقاء نُحب التحدُّث عنهم، لدينا لحظات معهم نحب سردها على مسامع من نحب. ولهذا أتساءل عن سر تفاديها التحدُّث عن أصدقائها. أيُعقل أنها بلا صداقات؟ إذا كان الأمر كذلك، فلماذا هذا؟ هل هي في سجن؟ حتى حياة السجن فيها لحظات يمكن التحدُّث عنها. أتريد بالارتباط بي محو ماضيها وفتح صفحة جديدة؟ أتريد الإيحاء لي أنني بدايتها بكل هذا الإخفاء؟ أتريد القول لي أنني مفتاح عالمها الجديد بكل هذا التكتم؟ نعم يا صديقي، ما هي عليه من جشع وسذاجة وفراغ وجهل دليل قاطع على أنَّ ماضيها فيه الكثير مما هو مُخجل، مُعيب، مُقزز، ولهذا لربما معها الحق بالتكتم، ولكن ليس معها الحق بالطمع بي، فأنا كثير جدًا عليها.

في هذه الفترة يا صديقي أخذتُ بمطالبتها بالاستماع إلى بعض الأغاني العاطفية المُقززة -التي رجحتُ أنها من الممكن لها دفعها للتيقن من أنني

مُغيَّب- التي ادعيتُ أنني أستمع إليها كثيرًا في الفترة الأخيرة لدفعها للطمع بي واستغلالي. يا صديقي الأغاني العاطفية قليلة الطرب مُضلِّلة بشكل كبير، ولهذا كان عليَّ الاستعانة بها للإيحاء بأنني مُضلَّل لتضليلها. نعم، بالأغاني أريد الإيحاء بأنني ساذج، فالأغاني تعبّر عن مزاج وفكر ونفسية المُستمِع. نعم، الأغاني ضعيفة اللحن والكلمات تطفئ العقل الذي لا يعمل إلا في حضرة الجمال. ذوقها الموسيقي مُقزز، فهي تميل للأغاني ذات الإيقاع الراقص الذي لا فيه طرب ولا عاطفة، وهذا يُضعف فرضية كون أزمتها النفسية مُتعلِّقة بالحب، فأصحاب هذا الميل والذوق دوافعهم في غالب الأحيان جنسية لا عاطفية. نعم، أصحاب هذا الميل يعتقدون أنَّ العاطفيين سذَّج، ولهذا دفعتها للاعتقاد بأنني ساذج، وهذا دفعها لمطالبتي بتقديم بعض التنازلات الجديدة.

أيضًا يا صديقي، نتيجة رسائلي الرومانسية مؤخرًا بُعث جشعها الذي عادت به تطالبني بإلحاح الأطفال بالمسير بالإجراءات القانونية للخطبة بأسرع وقت ممكن. نعم، هذا الإلحاح وراؤه فخ كبير يريدون إسقاطي فيه بدون أي وسيلة للخروج. تريد مني المسير في هذه الإجراءات وأنا بعد لم أرَ وجهها، لم أتعرَّف على شيء مما تُخفيه، لم أتعرَّف على ما بإمكانها تقديمه لي، أليست هذه وقاحة؟! نعم، هي وقاحة، هي استغلال، هي خديعة، هي خيانة. لا مبرر بإمكانه أن يشفع لها عندي، ولهذا هي تستحق ضربتي القاضية التي أنوي توجيهها إليها.

دعنا منها الآن، ودعني أسرد عليكِ فعلي مؤخرًا مع أفراد عائلتي الذين بهم قررتُ توجيه ضربتي القاضية. نعم، يا صديقي لا ينبغي علينا توجيه ضرباتنا بقبضاتنا المرصودة، لضمان أن تكون مفاجئة وقاضية.

جلستُ مؤخرًا مع شقيقتي وأخذتُ أقول لها لدفعها بأسلوب غير مباشر للتراجع عن موقفها الداعم لارتباطي بها بعد اختلاق بعض القصص حولها: "ليست قريبة حتى من تلك التي صورتِها لي. أخبرتني أنها عميقة فوجدتها غاية في السطحية، أخبرتني أنها رقيقة فوجدتها خشنة في كثير من الأحيان، أخبرتني أنها مثقفة وهي ليست كذلك، أخبرتني أنها قريبة من ربها فوجدتها بعيدة كل البعد عنه، أخبرتني أنها هادئة فوجدتها صاخبة، أخبرتني أنَّ لديها اهتمامات فوجدتها بلا اهتمامات وأهداف ومشاغل، فارغة على الدوام، أخبرتني أنَّ ذوقها الموسيقي رفيع فوجدته على النقيض من ذلك، وهذا دليل على أنَّ فكرها ليس سليم، فالذوق السليم يتبع الفكر السليم، أخبرتني أنَّ لدينا قواسم مشتركة فوجدتُ أن لا شيء يجمعني بها ويجمعها بي. أنا لا أقول

لكِ هذا لعتابكِ، وإنما لإعلامكِ أنَّ صورتها لديكِ غير دقيقة. لا تقلقي، أنا أحبها، ولهذا لديَّ الاستعداد لتغييرها ومساعدتها. ولهذا لا تلومي نفسكِ على تأكيدكِ فيما سبق بأنها ستكون مناسبة لي. نعم، هي غير مناسبة، ولكن بمقدوري التأقلم مع ذلك." بهذه الكلمات التي تلاعبت نفسيًا بها، لمستُ بأنها شاعرة بالندم وبالرغبة بالتعويض والمساعدة. لقد شعرتُ بأنها ترغب بالقول بأنني لستُ مضطر للاستمرار معها، لقد شعرتُ بأنها توشك على القول لي: "أرجوك انسحب"، لقد شعرتُ بأنها تقول لي من نظراتها: "أنت تستحق من هي أفضل، أنت تعبت في حياتك وبحاجة لامرأة ترتاح معها، لا لامرأة تتطلب منك بذل المزيد من الجهود معها"، لقد شعرتُ يا صديقي أنها توشك على استجدائي بالانسحاب، وهذا ما كنتُ أهدف إليه.

نعم يا صديقي، أريد من جميع أفراد العائلة الوقوف في وجهي، لكي أشعرهم بأنهم أخطأوا في حقي بدفعي إليها من البداية، ومن ثم بالوقوف في وجهي حينما قررت الارتباط بها، وبالتالي يتوقفوا عن الإلحاح عليَّ بالزواج.

الادعاء بأنني أحبها بالرغم من كل هذه العيوب التي فيها، سيدفعهم للاعتقاد بأنني مُضلل تائه مُستغَل، وبالتالي يدفعهم للوقوف في وجهي، وهذا سيدفعني لادعاء الحزن والغضب وبالتالي أصرفهم عني لفترة طويلة بدون حتى منحهم فرصة لعرض بديلة. أرأيت ما أهمية ادعائي هذا من البداية.

وكما فعلتُ مع شقيقتي فعلتُ مع كل فرد في العائلة، آخذًا بالوقوف أمام كل منهم على أكثر العيوب التي يمقتونها في الآخرين ولا يتسامحون معها، ومن ثم الإشارة بطريقة غير مباشرة إلى أنها تعاني من هذه العيوب. أمام أمي اختلقتُ قصص توحي بأنها غير ملتزمة دينيًا، أمام أخي اختلقتُ قصص توحي بأنها عديمة المسؤولية، أمام أبي اختلقت قصص توحي بأنها مادية، وبهذا يا صديقي تمكنتُ من إطفاء رغبتهم بالسير بالإجراءات القانونية للخطبة والإشهار وإحياء رغبتهم بالانسحاب. لقد لاحظتُ مؤخرًا، بأنهم يجتمعون سرًا لمناقشة فكرة الانسحاب، وهذا دفعني -لضمان اتخاذهم الموعد المناسب لذلك القرار والذي أنا من سأحدده- إلى ادعاء حبها لتعقيد الأمر عليهم، ودفعهم لانتظار اللحظة المناسبة لذلك.

لعلك تتساءل: لماذا اختلقتَ قصص، بالرغم من حيازتكَ قصص حقيقية قادرة على الإيحاء بكل ما أردتَ الإيحاء إليه؟ صحيح يا صديقي لديَّ قصص حقيقية قادرة على أداء الغرض، ولكنها قصص لا ينبغي عليَّ البوح بها، لأنها أولًا صادمة بشكل كبير وقد تدفعهم للانسحاب على الفور، وهذا

ما لا يخدم خططي الآن، وثانيًا حفاظًا على خصوصيتها، ولضمان عدم مواجهة أحد من أفراد عائلتي لها بهذه القصص.

لعلك أيضًا تتساءل متعجبًا عن سر وصفي لها بالمادية أمام أبي، وعما إذا كان لديَّ قصص حقيقية توحي بذلك. نعم يا صديقي، لديَّ قصة تؤكد ماديتها. لقد سبق وأبدت إعجابها بالمرتبات والأجور التي يقدِّمها المكان الذي يعمل فيه حبيبها، وبهذا استنتجتُ أنها مادية، ولهذا كنتُ مضطر لإخفاء حجم ثروتي ومقدار دخلي عنها، لكي أضمن ألا تطمع بي أكثر وتذهب نتيجة لذلك للتمسك بي والادعاء بنهم أنها تحبني وتطالبني بإلحاح أكبر بالإسراع في الإجراءات القانونية للخطبة والإشهار. أما عن سر كشفي لصفتها هذه وتحديدًا أمام أبي، فهو ليس فقط لكونه يمقت الماديين، وإنما أيضًا لأهداف مُستقبلية سأطلعك عليها في الوقت المناسب.

نجاحي بالإيحاء بأنني أحبها في ذات الفترة التي كنتُ مضطر فيها لتشويه صورتها،نجاح تطلَّب مني التعامل بحذر شديد، وحنكة رفيعة،وخفة ماكرة، وهو أيضًا نجاح يدفعني للإحماء -لإنهاء هذه المرحلة وتوجيه ضربتي القاضية-، لتجنُّب الإصابة بشد عضلي يُعرقل عودتي إلى كانط.

في ختام رسالتي يا صديقي أتمنى منك تزويدي بأسرع وقت بآخر ملاحظاتك واقتراحاتك واستنتاجاتك، لضمان النتيجة المثالية.

صديقك الوفي

ت.ه

16 تموز (يوليو)

صديقي العزيز ج.ل

لقد وجهتُ ضربتي يا صديقي بنجاح، فاطمئن ودعني أسرد لك كيف جرى ذلك بسرعة.

مع ازدياد إلحاحها وأمها في مطالبتي بالمسير بالإجراءات القانونية للخطبة والإشهار، كان عليَّ الموافقة على طلبهم لضمان عدم شكهم بي، وهذا ما فعلته وذلك للتجهيز لضربتي القاضية.

بعدما أعلمتُ أفراد عائلتي بقراري بان على بعضهم القلق والخوف، وبان على بعضهم السعادة والراحة، وهذا ما كنتُ أسعى له منذ فترة طويلة وأعد وأهيئ الظروف والأجواء له.

في آخر رسائلي إليها أخذتُ باستخدام أسلوبها وكلماتها، مُدعيًا فيها الخوف والقلق، ومعربًا عن حاجتي إليها، وأيضًا أخذتُ بالتظاهر بالارتباك من الأجواء الاحتفالية التي يستعد الجميع لها بانتقاء الأغاني ورسائل التهنئة والمباركة، وأخذتُ أدَّعي بأنني أعاني على الدوام من وسواس قاتل يُبدد كل فرصة لي للفرح، مفاده أنَّ هناك وراء كل احتفال وسعادة حزن وغم وهم، موضحًا لها أنني قد أكون أعاني من هذا الوسواس لشعوري على الدوام بأنني لا أستحق اللحظات السعيدة، ولاعتقادي باستمرار أنَّ خطواتي خاطئة، وأنَّ هناك شيء غير صائب يحدث، ولاعتقادي أنَّ قرارتي دائمًا مصيرية وخطيرة. ثم أخذتُ أدَّعي الغضب من خوفي هذا في هكذا خطوة ينبغي أن أكون فيها في قمة سعادتي وراحتي، ثم أخذتُ بادعاء حاجتي في مثل هذه اللحظات للعتمة، وللمكوث في فراشي تحت أغطيتي لشعوري بالأمان هناك. هذا يا صديقي كله بهدف الإيحاء لها أنني ضعيف وبالتالي دفعها لاستغلالي، ومطالبتي صراحة برغباتها التي تخفيها، وأيضًا للإيحاء أنَّ العثرات تلاحقني، وبالتالي تخفيف صدمة ضربتي القاضية عليها.

مؤخرًا كان أبي مضطر لإجراء مكالمة مع أبيها للاتفاق على بعض الأمور لإتمام الإجراءات القانونية للخطبة، وفي هذه المكالمة حصل خلاف بينهما أثناء الاتفاق على بعض الالتزامات المالية، خلاف سبق وخططتُ له من البداية. أتَذْكُر عندما تساءلتَ عن سر اطلاعي أبي -على وجه التحديد- على ماتِيتها، وأخبرتُك حينها أنني سأعلِمك بهذا لاحقًا؟ قبل المكالمة اتفقتُ مع أبي على اختبارهم من الناحية المادية، وهذا وافق أبي عليه على مضض. بعدما حصل الخلاف حفزتُ أبي بشكل غير مباشر على إلغاء كل شيء، وهذا ما كان بإرساله رسالة لأبيها يُعلمه فيها بانسحابنا وتراجعنا عن الخِطبة غير الرسمية. في هذه اللحظات ادعيتُ أنني غير موافق على هذه الخطوة التي لم يطلبوا موافقتي عليها وقاموا بها من ورائي، وأخذتُ بلعب دور الغاضب، ثم بلعب دور الحزين البائس.

بعد رسالة أبي أرسل أبيها رسالة لي يطالبني فيها بمكالمة هاتفية عاجلة فاستجبت لطلبه، وعندما بدأ بالتحدث طالبني على الفور بالهدوء، وأخذ بالتأكيد على أنَّ لكل مشكلة حل، فأخذتُ أسأله عن سر مطالبته لي بذلك، مدعيًا عدم معرفتي بما جرى، فأخذ يسرد لي ما جرى بينه وبين أبي وبقراءة الرسالة التي أرسلها إليه، فأخذتُ أدعي الغضب الشديد، وبالإعراب عن اعتراضي على فعل أبي، فأخذ بمكر بمطالبتي بعدم التصادم معه وذلك لدفعي لذلك، معتقدًا أنني ما زلت بعد بشخصيتي القديمة الصدامية، ثم أخذ بمطالبتي بالمسير بالإجراءات القانونية للخطبة بدون علمه، والسعي لقهره والانتقام منه على فعله، ثم السفر لمدينتهم للزواج بابنته هناك بعيدًا عن عائلتي التي أخذ يرميها بأبشع الصفات مستغلًا غضبي، وبهذا يا صديقي أوقعته بفخي ودفعته للكشف عن نواياه الخبيثة التي تمثلت باقتلاعي من محيطي، وذلك لربما لدفعي للقبول بابنته حتى بعد معرفتي لما تخفيه، بعيدًا عن تأثير محيطي عليَّ.

أغلقتُ معه مدعيًا أنني سأحاول إيجاد حل لهذه المعضلة بدون الحاجة إلى فعل ما طلبه، ولكن مع التأكيد بأنني في حال فشلتُ بذلك التفكير بعرضه بجدية، ومنحني للرد عليه وإعلامه بقراري مدة معينة.

لقد كانت يا صديقي ثقته كبيرة بأنني سأتصادم مع أبي وأنني سأنفذ ما طالبني به، وذلك نتيجة الادعاءات التي قدَّمتها من البداية، ولهذا كانت الرسالة التي أرسلتُها له بعد يومين والتي وجَّهتُ بها ضربتي القاضية وذلك برفضي طلبه وبالدفاع عن أبي وموقفه معه، صادمة للغاية له، لدرجة فقد معها صوابه، وأخذ هو وزوجته بإرسال الرسائل التي بها كشفا عن حقيقتهما التي كانا يحاولان إخفاءها لضمان إقدامي على المسير بالإجراءات القانونية للخطبة والتي بدورها ستُعقِّد التراجع.

بعدما قمتُ بإرسال رسالتي إليه، جلستُ مع جميع أفراد العائلة بعدما جمعتهم، وأطلعتهم على عرضه لي وعلى رسالتي التي جاء فيها رفضي، آخذًا بالادعاء أنني قمتُ بذلك لأجلهم بالرغم من رغبتي بالارتباط بها، ومحاولًا ادعاء الحزن والألم لما آلت إليه الأمور، ومحاولًا إشعارهم بضرورة التوقف عن مطالبتي مجددًا بالزواج، دافعًا إياهم للاعتقاد بأنه ينبغي عليهم مراعاة حزني، وتركي لبعض الوقت، وبهذا تمت خطتي وحصدتُ منها ما كنتُ أطمع به من نتائج.

لعلك تتساءل عن موقفها بعدما أعلمها أبيها بقراري. أخذتْ يا صديقي بإرسال رسائل تستجديني فيها بتذلل بالتراجع عن قراري وبالعودة إليها،

مُدَّعية حاجتها لي بعدما اعتادت علي. ماذا فعلتُ معها؟ لم أفعل شيء، تجاهلتُ رسائلها بعدم الرد عليها، ومؤخرًا بإهمالها وعدم قراءتها. أنا بهذا يا صديقي لربما أكون أفقدتها الثقة بجشعها، وبالتالي أتحت لمرضها العلاج. هل ستستفيد من هذه التجربة؟ هل ستعود لتقرأ تلك الرسائل غير المباشرة التي كنتُ أحاول إيصالها لها في رسائلي؟ هل ستعود لمحاولة التغلُّب على شخصيتها التي أعربتُ لها فيما سبق عن فقرها؟ هل ستعود للأخذ بنصائحي التي على الدوام كنتُ أقدِّمها لها؟ هل ستحدد لنفسها أهداف؟ هل ستكون صريحة وصادقة مع الآخرين؟ لا أعتقد ذلك يا صديقي، ولكن صدقًا أتمنى أن يتاح لها ذلك، أتمنى أن أكون قد تركتُ لها ما تستفيد منه، ما يمكنها به أن تكون إنسانة أفضل.

لا تقلق عليها، فلقد حمَّلتُ أبيها مسؤولية انسحابي، وبهذا جنَّبتها أي تعنيف قد تخضع له في حال كانت مُكرهة ومهددة بالعقاب في حال فشلتْ بالإبقاء علي. أما في حال كانت مشاركة في مكيدة أبيها -وهذا ما أرجّحه-، فهي نالت نصيبها من ضربتي القاضية الذي سيكفل لها الالتفات لمراجعة فعلها ونواياها الخبيثة وتقييم موقفها.

أتعتقد يا صديقي أنني أرى أنها الوحيدة المطالبة بمراجعة موقفها؟! لا يا صديقي، ليست هي فقط المطالبة بمراجعة موقفها، فجميعنا مطالبون بذلك، وأنا أول المطالَبين.

لقد كان ينبغي عليَّ من البداية رفض الارتباط بها مباشرة، ولكن طمعي بعائد خطتي، ضللني وجعلني ضحية الجميع، وجعل الجميع ضحاياي. نعم، الاستثناء تسبب بانحطاطي أخلاقيًا. انظر إلى كم من مرة وصفتُ الحالة التي أنا فيها بالاستثنائية لكي أبرر لنفسي كذبي. نعم، لقد كان كائط محقًا، الاستثناء يفسدنا أخلاقيًا. ما أقبحها نفعيتي، ما أحمقني عندما اعتقدتُ أننا نحن البشر نجيد القياس النفعي.

في النهاية يا صديقي، لربما عدم بوحها بما تخفيه سببه عدم وجود شيء في الحقيقة، أي كون كل ما قالته محض ادعاءات، ولربما سببه فداحة أخطائها بمقاييس مجتمعنا، ولربما سببه خضوعها لرقابة لصيقة لا تتح لها المساحة والمسافة الكافية لفعل ذلك، ولربما سببه الخوف من العودة لماضي قاسي وعنيف، ولربما سببه رغبة بدفعي للمشاركة أولًا بلعب أدوار في التغطية عما تخفيه، ولربما سببه رغبة بحمايتي أو رغبة بإسقاطي، ولربما رغبة بإبعادي أو رغبة بالإبقاء عليَّ، ولربما رغبة باستغلالي أو عدم استغلالي. جميعها احتمالات واردة وممكنة.

ولكن أيضًا لربما جميع استنتاجاتي وتحليلاتي خاطئة، لربما لم تكن إلا توافقًا وتماشيًا مع رغبتي بعدم الارتباط بامرأة، وسعيًا لتبرير محاولاتي في دفع الجميع بعيدًا عني، من يدري؟ نعم، لربما جميع الاحتمالات التي توصَّلتُ إليها وقراءاتي السيكولوجية لشخصيتها وأحاديثها وأفعالها، ليست سوى محاولة مني لتبرير محاولاتي في إبعادها عني. نعم، لربما قدرتي على قراءة الاحتمالات والخروج بالاستنتاجات التي أكسبتني إياها الفلسفة، جعلتني غير صالح للحياة العامة، غير صالح لدور الحبيب أو الزوج أو الأب.

في النهاية يا صديقي، الجميع سيشعرون بأنهم مظلومون بالنظر فقط لخساراتهم في هذه الفترة، ولكن سيتاح لهم الشعور بأنهم ظالمون بالنظر لعوائدهم منها، ولأفعالهم ونواياهم فيها. في كل جانب من هذه القصة، لكل طرف هناك نصر وهزيمة، وعليه السؤال هنا: هل سيقبل كل طرف بهذه النتيجة، أم سيسعون لنتائج أخرى؟

لا تقلق يا صديقي واطمئن، فلقد أتحتُ للجميع زوايا للنظر منها إلى دور الظالم الذي لعبوه لتخفيف حدة غضبهم من شعورهم بأنهم مظلومون بالضربة القاضية التي وجَّهتها إليهم.

الآن سأعود إلى كانط بإدراك أكبر لأهمية طرحه، وبإيمان أكبر به، فاعذر لي يا صديقي انقطاعي الذي ستتسبب به عزلة بحثي.

صديقك المحب

ت.ه

تمت

هـذه المهزلـة دفعـتني للكـذب كـثيرًا هـذه الـفترة يـا صديقـي، وهـذا يـؤذيني نفسـيًا. انظـر إلى مـاذا أوصـلني الادعـاء والتبريـر بـأنني لـن أضطـر إلا لبضـع كذبـات، انظـر إلى مـا قـادني إليـه الاسـتثناء. ألاحظـتَ كيـف كنـتُ نفعيًـا، ألاحظـتَ كيـف أخطـأتُ في قيـاسي النفعـي؟ نعـم، لعلّنـا جميعًـا لا نُجيـد القيـاس النفعـي، ولهـذا على الـدوام نصطـدم بالنتائـج الكارثيـة. نعـم، لربمـا كانـط كان محقًـا برفضـه حالـة الاسـتثناء، وتضييـق حـدود الفعـل الأخلاقي، لعـلّ ذلـك العظيـم منحنـا الحـل لمشـاكلنا نحـن الـبشر مـن دون أن نـدرك ذلـك بعـد. متى سنسـتحق فهمـه لكي نفهمـه، متى سنسـتحق حيـازة القـدرة على الالتفـات للحقيقـة والصـواب والأنـوار في نتاجـه؟ لعـلّ مـا يجـدر بنـا فعلـه الآن، لا شيء سوى العودة إلى كانط.